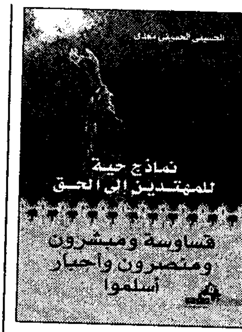
٧٠١

1

نماذج حية

للمهتدين إلى الحق

قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا



اسم السلسلة: نماذج حية للمهتدون إلى الحق

اسم الكتاب: قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا

اسم المؤلف: الحسينى الحسينى معدى

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧٢٩/ ٢٠٠٥

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-144-4

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

الطبعة الأولى
٢٠٠٦

دار الكتاب العربى
دمشق - القاهرة

URL: http://www.daralkitab.net

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٦٥٢٢٤١/٠٣ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

1

نماذج حية
للمهتدين إلى الحق

قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا

◆

الحسينى الحسينى معدى

◆

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾

(النصر: ١ ـ ٣).

●●●

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾

(آل عمران: ٨٥).

صدق الله العظيم

مقدمـــــة

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشداً..

أما بعد..

فهذا إهداء إلى كل من يبحث عن الحق في زمن انتشر به الباطل..

إلى كل ضال يسعى إلى الهداية..

إلى كل حزين يبحث عن السعادة..

إلى كل عاصٍ يتمني التوبة..

إلى كل أمة تعيش على أفكار ومعتقدات زائفة تسوقها إلى النار لتكون مصيرها الأبدي.. وهي لا تدري..

هذه قصصهم يروونها بألسنتهم قائلين للناس:

﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (يوسف: ٤٠).

وهذا الكتاب هو خلاصة ما جمعته من موقع ابن مريم الإسلامي تحت عنوان «لماذا أسلم هؤلاء؟» وقد قام الأخ/ قذيفة الحق بجمع ما يقرب من مائة

شخصية اعتنقوا الإسلام، وجمع الباحث باقي الشخصيات الأخرى التي دخلت في الدين الإسلامي من مواقع ومصادر عديدة، وأردت أن يطبع هذا الكتاب ابتغاء لمرضاة الله، ورغبة في هداية الناس إلى طريق الرشاد، وإلى الدين الحق، والله الموفق لما يريد. وأسأل الله أن يتقبل جهدي المتواضع هذا وأن يجعله ذخراً لي يوم العرض عليه. وأرجو من الله أن ينفع به المسلمين وغيرهم، إحقاقاً للحق، وإظهاراً للحقيقة إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الحسيني الحسيني معدي

قساوسة ومنصرون أسلموا

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله

1 ـ رئيس لجان التنصير بأفريقيا
القس المصري السابق إسحق هلال مسيحه[1]

الاسم: القس إسحق هلال مسيحه.

المهنة: راعي كنيسة المثال المسيحي، ورئيس فخري لجمعيات خلاص النفوس المصرية بأفريقيا وغرب آسيا.

مواليد: 3/ 5/ 1953 ـ المنيا ـ جمهورية مصر العربية.

يقول:

ولدت في قرية البياضية، مركز ملوي، محافظة المنيا.. من والدين نصرانيين أرثوذكس زرعا في نفوسنا ـ ونحن صغار ـ الحقد ضد الإسلام والمسلمين.

حين بدأت أدرس حياة الأنبياء بدأ الصراع الفكري في داخلي وكانت أسئلتي تثير المشاكل في أوساط الطلبة مما جعل البابا (شنودة) الذي تولَّى بعد وفاة البابا (كيرلس) يصدر قراراً بتعييني قسيساً قبل موعد التنصيب بعامين كاملين لإغرائي وإسكاتي، فقد كانوا يشعرون بمناصرتي للإسلام ـ مع أنه كان مقرراً ألا يتم التنصيب إلا بعد مرور 9 سنوات من بداية الدراسة اللاهوتية. ثم عيِّنت رئيساً لكنيسة المثال المسيحي بسوهاج ورئيساً فخريّاً لجمعيّات خلاص النفوس المصريّة (وهي جمعيّة تنصيريّة قويّة جدّاً ولها جذور في كثير من البلدان العربية ـ وبالأخص دول الخليج). وكان البابا يغدق عليّ الأموال حتّى لا أعود لمناقشة مثل تلك الأفكار لكني مع هذا كنت حريصاً على معرفة حقيقة الإسلام، ولم يخبُ النور الإسلامي الذي أنار قلبي فرحاً بمنصبي الجديد بل زاد، وبدأت علاقتي مع بعض المسلمين سرّاً وبدأت أدرس وأقرأ عن الإسلام. وطُلب منّي

(1) قصة إسلامه بصوته علي هذا الرابط:

Http://www.aljame3.com/modules.php?name=Audio&l op=viewaudio&cid=21

إعداد رسالة الماجستير حول مقارنة الأديان وأشرف على الرسالة أسقف البحث العلمي في مصر سنة 1975، واستغرقت في إعدادها أربع سنوات وكان المشرف يعترض على ما جاء في الرسالة حول صدق نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأُمِّيته وتبشير المسيح بمجيئه. وأخيراً تمت مناقشة الرّسالة في الكنيسة الإنكليكيّة بالقاهرة، واستغرقت المناقشة تسع ساعات وتركزت حول قضيّة النّبوّة والنّبي صلى الله عليه وسلم علماً بأن الآيات صريحة في الإشارة إلى نبوّته وختم النّبوّة به. وفي النهاية صدر قرار البابا بسحب الرسالة مني وعدم الاعتراف بها. أخذت أفكر في أمر الإسلام تفكيراً عميقاً حتّى تكون هدايتي عن يقين تام ولكن لم أكن أستطيع الحصول على الكتب الإسلامية فقد شدّد البابا الحراسة عليّ وعلى مكتبتي الخاصّة.

ولهدايتي قصة:

في اليوم السادس من الشهر الثامن من عام 1978م كنت ذاهباً لإحياء مولد العذراء بالإسكندرية أخذت قطار الساعة الثالثة وعشر دقائق الذي يتحرك من محطة أسيوط متجهاً إلى القاهرة وبعد وصول القطار في حوالى الساعة التاسعة والنصف تقريباً ركبت الحافلة من محطة العتبة رقم 64 المتجهة إلى العباسيّة، وأثناء ركوبي في الحافلة بملابسي الكهنوتية وصليب يزن ربع كيلو من الذهب الخالص وعصاي الكرير صعد صبيٌّ في الحادية عشرة من عمره يبيع كتيبات صغيرة فوزعها على كلّ الركّاب ما عداي وهنا صار في نفسي هاجس لم كل الركاب إلا أنا، فانتظرته حتّى انتهى من التوزيع والجمع فباع ما باع وجمع الباقي قلت له: «يا بنيَّ لماذا أعطيت الجميع بالحافلة إلا أنا». فقال: «لا يا أبانا أنت قسيس». وهنا شعرت وكأنّني لست أهلاً لحمل هذه الكتيّبات مع صغر حجمها ﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩). ألححت عليه ليبيعني منها فقال: «لا دي كتب إسلاميّة» ونزل، وبنزول هذا الصبيِّ من الحافلة شعرت وكأنّني

جوعان، وفي هذه الكتب شبعي، وكأنّني عطشان وفيها شربي. نزلت خلفه فجرى خائفاً منّي فنسيت من أنا وجريت وراءه حتّي حصلت على كتابين، عندما وصلت إلى الكنيسة الكبرى بالعبّاسيّة (الكاتدرائيّة المرقسيّة) ودخلت إلى غرفة النّوم المخصّصة بالمدعوّين رسميّاً، كنت مرهقاً من السفر، ولكن عندما أخرجت أحد الكتابين وهو (جزء عم) وفتحته وقع بصري على سورة الإخلاص فأيقظت عقلي وهزت كياني، بدأت أرددها حتى حفظتها وكنت أجد في قراءتها راحة نفسية واطمئناناً قلبيّا وسعادة روحية، وبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ أحد القساوسة وناداني: «أبونا إسحاق»، فخرجت وأنا أصيح في وجهه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١)، دون شعور منّي.

على كرسي الاعتراف:

بعد ذلك ذهبت إلى الإسكندرية لإحياء أسبوع مولد العذراء يوم الأحد أثناء صلاة القداس المعتاد وفي فترة الراحة ذهبت إلى كرسي الاعتراف لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأن القسيس بيده غفران الخطايا.

جاءتني امرأة تعض أصابع الندم. قالت: «إني انحرفت ثلاث مرات وأنا أمام قداستك الآن أعترف لك رجاء أن تغفر لي وأعاهدك ألا أعود لذلك أبداً». ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ويغفر له خطاياه. وما كدت أرفع الصليب لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١)، فعجز لساني عن النطق وبكيت بكاءً حارّاً وقلت: «هذه جاءت لتنال غفران خطاياها منّي فمن يغفر لي خطاياي يوم الحساب والعقاب؟». هنا أدركت أن هناك أكبر من كل كبير، إلهٌ واحدٌ لا معبود سواه، ذهبت على الفور للقاء الأسقف وقلت له: «أنا أغفر الخطايا لعامة الناس فمن يغفر لي خطاياي». فأجاب دون اكتراث: «البابا». فسألته: «ومن يغفر للبابا»، فانتفض جسمه ووقف صارخاً وقال: «أنت قسيس مجنون، واللي أمر بتنصيبك مجنون

حتّى وإن كان البابا، لأنّنا قلنا له لا تتصبّه لئلاّ يفسد الشعب بإسلاميّاته وفكره المنحل». بعد ذلك صدر قرار البابا بحبسي في دير (ماري مينا) بوادي النطرون.

كبير الرهبان يصلّي:

أخذوني معصوب العينين وهناك استقبلني الرهبان استقبالاً عجيباً كالوا لي فيه صنوف العذاب علماً بأنّني حتّى تلك اللحظة لم أسلم، كل منهم يحمل عصا يضربني بها وهو يقول: «هذا ما يصنع ببائع دينه وكنيسته». استعملوا معي كل أساليب التعذيب الذي لا تزال آثارها موجودةً على جسدي وهي خير شاهدٍ على صحّة كلامي، وأمروني بأن أرعى الخنازير. وبعد ثلاثة أشهر أخذوني إلى كبير الرهبان لتأديبي دينيّاً وتقديم النصيحة لي فقال: «يا بنيَّ.. إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، اصبر واحتسب. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب». قلت في نفسي ليس هذا الكلام من الكتاب المقدس ولا من أقوال القديسين. ومازلت في ذهولي بسبب هذا الكلام حتى رأيته يزيدني ذهولاً على ذهول بقوله: «يا بنيَّ نصيحتي لك السر والكتمان إلى أن يعلن الحق مهما طال الزمان» تُرى ماذا يعني بهذا الكلام وهو كبير الرهبان. ولم يطل بي الوقت حتى فهمت تفسير هذا الكلام المحيّر. فقد دخلت عليه ذات صباح لأوقظه فتأخر في فتح الباب، فدفعته ودخلت وكانت المفاجأة الكبرى التي كانت نوراً لهدايتي لهذا الدين الحق دين الوحدانيّة عندما شاهدت رجلاً كبيراً في السنّ ذا لحية بيضاء وكان في عامه الخامس والستّين وإذا به قائماً يصلي صلاة المسلمين (صلاة الفجر). تسمرتُ في مكاني أمام هذا المشهد الذي أراه ولكنّي انتبهت بسرعة عندما خشيت أن يراه أحد من الرهبان فأغلقت الباب. جاءني بعد ذلك وهو يقول: «يا بنيَّ استر عليّ ربّنا يستر عليك.. أنا منذ 23 سنة على هذا الحال.. غذائي القرآن، وأنيس وحدتي توحيد الرحمن، ومؤنس وحشتي عبادة القهّار، الحقّ أحقّ أن يتّبع يا بنيَّ».

بعد أيّام صدر أمر البابا برجوعي لكنيستي بعد نقلي من سوهاج إلى

أسيوط لكن الأشياء التي حدثت مع سورة الإخلاص وكرسي الاعتراف والراهب المتمسّك بإسلامه جعلت في نفسي أثراً كبيراً لكن ماذا أفعل وأنا محاصر من الأهل والأقارب وممنوع من الخروج من الكنيسة بأمر البابا شنودة.

رحلة تنصيريّة:

بعد مرور عام جاءني الخطاب المودع بالملف الخاص بإشهار إسلامي بمديرية أمن الشرقية - ج.م.ع يأمرني فيه بالذهاب كرئيس للجنة المغادرة إلى السودان في رحلة تنصيريّة فذهبنا إلى السودان في الأوّل من سبتمبر 1979م وجلسنا به ثلاثة شهور، وحسب التعليمات البابويّة بأن كلّ من تقوم اللجنة بتنصيره يسلّم مبلغ 35 ألف جنيه مصريّ بخلاف المساعدات العينيّة فكانت حصيلة الذين غرّرت بهم اللجنة تحت ضغط الحاجة والحرمان خمسة وثلاثين سودانيّاً من منطقة «واو» في جنوب السودان. وبعد أن سلمتُهم أموال المنحة البابويّة اتّصلت بالبابا من مطرانيّة «أم درمان» فقال: «خذوهم ليروا المقدسات المسيحيّة بمصر (الأديرة)» وتم خروجهم من السودان على أساس عمّال بعقود للعمل بالأديرة لرعي الإبل والغنم والخنازير وتم عمل عقود صوريّة حتّي تتمكّن لجنة التنصير من إخراجهم إلى مصر.

بعد نهاية الرحلة وأثناء رجوعنا بالباخرة (مارينا) في النّيل قمت أتفقّد المتنصرين الجدد وعندما فتحت باب الكابينة 14 بالمفتاح الخاص بالطاقم العامل على الباخرة فوجئت بأن المتنصر الجديد عبدالمسيح (وكان اسمه محمّد آدم) يصلّي صلاة المسلمين. تحدّثت إليه فوجدته متمسّكاً بعقيدته الإسلاميّة فلم يغره المال ولم يؤثّر فيه بريق الدنيا الزائل. خرجت عنه، وبعد حوالي الساعة أرسلت له أحد المنصّرين فحضر لي بالجناح رقم 3 وبعد أن خرج المنصّر قلت له: «يا عبدالمسيح لماذا تصلّي صلاة المسلمين بعد تنصّرك؟»، فقال: «بعت لكم جسدي بأموالكم، أمّا قلبي وروحي وعقلي فملك للّه الواحد القهّار لا أبيعهم بكنوز الدنيا، وأنا أشهد أمامك بأن لا إله إلا اللّه وأنّ محمدا رسول اللّه.

بعد هذه الأحداث التي أنارت لي طريق الإيمان وهدتني لأعتنق الدين الإسلامي وجدت صعوبات كثيرة في إشهار إسلامي نظراً لأنّني قس كبير ورئيس لجنة التنصير في أفريقيا وقد حاولوا منع ذلك بكل الطرق لأنه فضيحة كبيرة لهم. ذهبت لأكثر من مديريّة أمن لأشهر إسلامي وخوفاً على الوحدة الوطنيّة أحضرتْ لي مديريّة الشرقيّة فريقاً من القساوسة والمطارنة للجلوس معي وهو المتّبع بمصر لكل من يريد اعتناق الإسلام. هدّدتني اللجنة المكلّفة من ٤ قساوسة و٣ مطارنة بأنها ستأخذ كلّ أموالي وممتلكاتي المنقولة والمحمولة والموجودة في البنك الأهلي المصري - فرع سوهاج وأسيوط والتي كانت تقدّر بحوالي ٤ ملايين جنيه مصريّ وثلاثة محلات ذهب، وورشة لتصنيع الذهب بحارة اليهود، وعمارة مكوّنة من أحد عشر طابقا رقم 499 شارع بور سعيد بالقاهرة، فتنازلت لهم عنها كلّها فلا شيء يعدل لحظة الندم التي شعرت بها وأنا على كرسي الاعتراف. بعدها كالت لي الكنيسة العداء، وأهدرت دمي فتعرضت لثلاث محاولات اغتيال من أخي وأولاد عمّي، فقاما بإطلاق النّار عليّ في القاهرة وأصابوني في كليتي اليسرى والّتي تم استئصالها في 7/1/1987م في مستشفى القصر العيني والحادث قيّد بالمحضر رقم 1762/1986 بقسم قصر النّيل مديريّة أمن القاهرة بتاريخ 11/11/1986م. أصبحت بكلية واحدة وهي اليمنى ويوجد بها ضيق الحالب بعد التضخم الذى حصل لها بقدرة الخالق الذي جعلها عوضاً عن كليتين. ولكن للظروف الصعبة الّتي أمر بها بعد أن جرّدتني الكنيسة من كل شيء والتقارير الطبّيّة التي تفيد احتياجي لعملية تجميل لحوض الكلية وتوسيع للحالب، ولأني لا أملك تكاليفها الكبيرة، أجريت لي أكثر من خمس عشرة عملية جراحية من بينها البروستاتا ولم تنجح واحدة منها لأنها ليست العملية المطلوب إجراؤها حسب التقارير التي أحملها، ولما علم أبواي بإسلامي أقدما على الانتحار فأحرقا نفسيهما والله المستعان.

2- إبراهيم خليل فلوبوس أستاذ اللاهوت المصري السابق[1]

نبذة عنه:

- ماجستير في اللاهوت من جامعة برنستون الأمريكية.
- من كتبه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) و(المسيح إنسان لا إله) و(الإسلام في الكتب السماوية) و(اعرف عدوك إسرائيل) و(الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) و(المبشرون والمستشرقون في العالم العربي الإسلامي).

وقد كان راعياً للكنيسة الإنجيلية، وأستاذاً للاهوت، أسلم على يديه عدد كبير من الناس.

ردّه العقل الحر

يحدثنا الحاج إبراهيم عن رحلته إلى الإسلام، فيقول:

- «في مؤتمر تبشيري دعيت للكلام، فأطلت الكلام في ترديد كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام، وبعد أن انتهيت من حديثي بدأت أسأل نفسي: لماذا أقول هذا وأنا أعلم أنني كاذب؟! واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر، خرجت وحدي متجهاً إلى بيتي، كنت مهزوزاً من أعماقي، متأزماً للغاية، وفي البيت قضيت الليل كله وحدي في المكتبة أقرأ القرآن، ووقفت طويلاً عند الآية الكريمة:

(1) لسماع قصة إسلامه بصوته..
الجزء الأول: http://www.alhakekah.com/aduio/b1.mp3
الجزء الثاني: http://www.alhakekah.com/aduio/b2.mp3
ونصيحة للمسيحيين منه..
الجزء الأول: http://www.alhakekah.com/aduio/fe1.mp3
الجزء الثاني: http://www.alhakekah.com/aduio/fe2.mp3

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١).

وفي تلك الليلة اتخذت قرار حياتي فأسلمت، ثم انضم إليَّ جميع أولادي، وكان أكثرهم حماساً ابني الأكبر (أسامة) وهو دكتور في الفلسفة ويعمل أستاذاً لعلم النفس في جامعة السوربون. وبإسلامهم زادت بيوت الإسلام بيتاً.

قصته:

الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية (إبراهيم خليل فلوبوس) واحد من الملايين الذين انقادوا لما وجدوا عليه آباءهم من غير بني الإسلام.. تنشأ في الكنيسة.. وترقى في مدارس اللاهوت.. وتبوأ مكانة مرموقة في سلم التنصير.. وبأنامل يديه خط عصارة خبرته الطويلة عدة مئات من الصفحات رسالة للماجستير تحت عنوان: (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين)؟! فى علم اللاهوت كان (فلوبوس) متخصصاً لا يجارى.. وفي منظار (الناسوت) كان ابن الكنيسة الإنجيلية الأمريكية يتيه خيلاء.. ولأسباب القوة والمنعة والحماية المتوفرة.. ما كان (إبراهيم) لا يقيم لعلماء الأزهر - وقد شفهم شظف العيش - أى وزن أو احترام!

لكن انتفاضة الزيف لم تلبث فجأة أن خبت.. وضلالات التحريف الإنجيلي والتخريف التوراتي انصدعت على غير ميعاد.. وتساقطت إذ ذاك غشاوة الوهم، وتفتحت بصيرة الفطرة، فكان لإبراهيم خليل فلوبوس - وقد خطا عتبات الأربعين يوم الخامس والعشرين من عام 1959 - ميلاد جديد.

مع الأستاذ إبراهيم خليل أحمد.. داعية اليوم كان هذا اللقاء.. وعبر دهاليز الضلالة والزيف نحو عالم الحق والهداية والنور كان هذا الحوار:

- **كيف كانت رحلة الهداية التي أوصلتك شاطئ الإيمان والإسلام، ومن أين كانت البداية؟**

- في مدينة الإسكندرية وفي الثالث عشر من يناير عام 1919 كان مولدي، نشأت نصرانيّاً ملتزماً وتهذبت في مدارس الإرسالية الأمريكية، وتصادف وصولي مرحلة (الثقافة) المدرسية مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتعرض مدينة الإسكندرية لأهوال قصف الطائرات.. فاضطررنا للهجرة إلى أسيوط حيث استأنفت في كليتها التعليم الداخلي وحصلت على الدبلوم عام 41/ 1942 وسرعان ما تفتحت أمامي سبل العمل فالتحقت بالقوات الأمريكية من عام 42 وحتى عام 1944م.

• ما طبيعة هذا العمل وكيف حصلت عليه؟

- كان للقوات الأمريكية وقتذاك معامل كيماوية لتحليل فلزات المعادن التي تشكل هياكل الطائرات التي تسقط من أجل معرفة تراكيبها ونوعياتها، وبحكم ثقافتي في كلية أسيوط ولتمكنني من اللغة الإنجليزية ولأن الأمريكان كانوا يهتمون اهتماماً بالغاً بالخريجين ويستوعبونهم في شركاتهم فقد أمضيت في هذا العلم سنتين.. لكن أخبار الحرب والنكبات دفعتني لأن أنظر إلى العالم نظرة أعمق قادتني للاتجاه إلى دعوة السلام وإلى الكنيسة.. التي كانت ترصد رغباتي وتؤجج توجهاتي.. فالتحقت بكلية اللاهوت سنة 1945م وأمضيت فيها ثلاث سنين.

• ماهي الخطوط العامة لمنهج الكلية وأين موقع الإسلام فيه؟

- في الثمانية الأشهر الأولى كنا ندرس دراسات نظرية.. يقدم الأستاذ المحاضرة على شكل نقاط رئيسة، ونحن علينا أن نكمل البحث من المكتبة. وكان علينا أن ندرس اللغات الثلاث: اليونانية والأرامية والعبرية إضافة إلى اللغة العربية كأساس، والإنجليزية كلغة ثانية.. بعد ذلك درسنا مقدمات العهد القديم والجديد، والتفاسير والشروحات وتاريخ الكنيسة، ثم تاريخ الحركة التنصيرية وعلاقتها بالمسلمين، وهنا نبدأ دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ونتجه

للتركيز على الفرق التي خرجت عن الإسلام أمثال الإسماعيلية، والعلوية، والقاديانية، والبهائية.. وبالطبع كانت العناية بالطلاب شديدة ويكفي أن أذكر بأننا كنا حوالي 12 طالباً وكُلِّف بتدريسنا 12 أستاذاً أمريكيّاً و7 آخرين مصريين.

● هذه الدراسات عن الإسلام وعن الفرق.. هل كانت للاطلاع العلمي وحسب أم أن هدفاً آخر كان وراءها؟

ـ في الواقع كنا نؤسس على هذه الدراسات حواراتنا المستقبلية مع المسلمين ونستخدم معرفتنا لنحارب القرآن بالقرآن.. والإسلام بالنقاط السوداء في تاريخ المسلمين! كنا نحاور الأزهريين وأبناء الإسلام بالقرآن لنفتنهم، فنستخدم الآيات مبتورة تبتعد عن سياق النص، ونخدم بهذه المغالطة أهدافنا، وهناك كتب لدينا في هذا الموضوع أهمها كتاب (الهداية) من 4 أجزاء و(مصدر الإسلام)، إضافة إلى استعانتنا واستفادتنا من كتابات عملاء الاستشراق أمثال طه حسين الذي استفادت الكنيسة من كتابه (الشعر الجاهلي) مائة في المائة، وكان طلاب كلية اللاهوت يعتبرونه من الكتب الأساسية لتدريس مادة الإسلام!

وعلى هذا المنهج كانت رسالتي في الماجستير تحت عنوان (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين) سنة 52 والتي أمضيت 4 سنوات في إعدادها من خلال الممارسة العملية للوعظ والتنصير بين المسلمين من بعد تخرجي عام 48.

● كيف إذاً حدث الانقلاب فيك؟ ومتي اتجهت لاعتناق الإسلام؟

– كانت لي ـ مثلما ذكرت ـ صولات وجولات تحت لواء الحركة التنصيرية الأمريكية، ومن خلال الاحتكاك الطويل، ومن بعد الاطلاع المباشر على خفاياهم تأكد لي أن المنصرين في مصر ما جاءوا لبثّ الدين وإنما لمساندة الاستعمار والتجسس على البلاد!

● كيف؟

- الشواهد كثيرة، وفي أي مسألة من المسائل، فإذا كانت البلد تستعد للانتفاضة على الظلم كانت الكنيسة أول من تدري؛ ذلك لأن القبطي والمسلم يعيشان على أرض واحدة، ويوم يتأوه المسلم سرعان ما يسمع النصراني فيوصلها إلينا لنقوم بتحليلها وترجمتها بدورنا، وعن طريق المراكز التنصيرية التابعة لأمريكا والتي تتمتع بالرعاية وبالحماية الأمريكية كانت تدار حرب التجسس، ولك أن تعلم هنا أن النصراني في مصر له جنسيتان وانتماءان: انتماؤه للوطن الذي ولد فيه وهو انتماء مدني تُعبر عنه جنسيته المصرية، وانتماء ديني أقوى تمثله الجنسية النصرانية. فهو يحس في أوروبا وفي أمريكا حصناً وبالدرجة الأولى، بينما يشعر النصارى في مصر أنهم غرباء! تماماً كالانتماء الإسرائيلي الذي يعتبر انتماءه بالروح إلى أرض أورشليم انتماء دينياً، وانتماءه إلى الوطن الذي ولد فيه انتماء مدنيّاً وحسب! ولذلك قام مخطط المنصرين والكنيسة على جعل مصر تدور في فلك الاستعمار فلا تستطيع أن تعيش بعيداً عنه، الأمر الذي جعلني أشعر بمصريتي، وأحس أن هؤلاء أجانب عني، وأن جاري المسلم أقرب إليَّ منهم بالفعل... فبدأت أتسامح.. عفواً أقول أتسامح وأعني أن أقرأ القرآن بصورة تختلف عما كنت أقرؤه سابقاً وفي شهر يونيو تقريباً عام 1955م استمعت إلى قول الله سبحانه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ..﴾ (الجن: ١ ـ ٢)، هاتان الآيتان الكريمتان من الغريب أنهما رسختا في القلب، ولما رجعت إلى البيت سارعت إلى المصحف وأمسكته وأنا في دهشة من هذه السورة، كيف؟ إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

إبراهيم خليل الذي كان إلى عهد قريب يحارب الإسلام ويقيم الحجج من القرآن والسنة ومن الفرق الخارجة عن الإسلام لحرب الإسلام... يتحول إلى

إنسان رقيق يتناول القرآن الكريم بوقار وإجلال... فكأن عينيَّ رُفعت عنهما غشاوة وبصري صار حديداً... لأرى ما لا يُرى... وأحس إشراقات الله تعالى نوراً يتلألأ بين السطور جعلتني أعكف على قراءة كتاب الله من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وفي سورة الصف: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الآية: ٦). إذاً فالقرآن الكريم يؤكد أن هناك تنبؤات في التوراة وفي الإنجيل عن النبي محمد. ومن هنا بدأت ولعدة سنوات دراسة هذه التنبؤات ووجدتها حقيقة لم يمسها التبديل والتغيير، لأن بني إسرائيل ظنوا أنها لن تخرج عن دائرتهم.. وعلى سبيل المثال جاء في (سفر التثنية) وهو الكتاب الخامس من كتب التوراة (أقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) توقفت أولاً عند كلمة (إخوتهم) وتساءلت: هل المقصود هنا من بني إسرائيل؟ لو كان كذلك لقال (من أنفسهم) أما وقد قال (من وسط إخوتهم) فالمراد بها أبناء العمومة، ففي سفر التثنية إصحاح 2 عدد 4 يقول الله لسيدنا موسى عليه السلام: (أنتم مارون بنجم إخوتكم بني عيسو...)، و(عيسو) هذا الذي نقول عنه في الإسلام (العيص) هو شقيق يعقوب عليه السلام، فأبناؤه أبناء عمومة لبني إسرائيل، ومع ذلك قال (إخوتكم) وكذلك أبناء (إسحق) أبناء (إسماعيل) هم أبناء عمومة لأن إسحق، (شقيق) (إسماعيل) عليهما السلام. ومن (إسحق) سلالة بني إسرائيل، ومن (إسماعيل) كان (قيدار) من سلالته كان سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، وهذا الفرع الذي أراد بنو إسرائيل إسقاطه وهو الذي أكدته التوراة حين قالت (من وسط إخوتهم) أي من أبناء عمومتهم.

وتوقفت بعد ذلك عند لفظة (مثلك) ووضعت الأنبياء الثلاثة: موسى، وعيسى، ومحمداً عليهم الصلاة والسلام للمقابلة فوجدت أن عيسى عليه السلام مختلف تمام الاختلاف عن موسى وعن محمد عليهما الصلاة والسلام،

وفقاً للعقيدة النصرانية ذاتها والتي نرفضها بالطبع، فهو الإله المتجسد، وهو ابن الله حقيقة، وهو الأقنوم الثاني في الثالوث، وهو الذي مات على الصليب.. أما موسى عليه السلام فكان عبد الله، وموسى كان رجلاً، وكان نبيّاً، ومات ميتة طبيعية ودفن في قبر كباقي الناس وكذلك سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وإذاً فالتماثل ربما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم، بينما تتأكد المغايرة بين المسيح وموسى ـ عليهما السلام ـ، وفقاً للعقيدة النصرانية ذاتها! فإذا مضينا إلى بقية العبارة: (وأجعل كلامي في فمه.) ثم بحثنا في حياة محمد صلى الله عله وسلم فوجدناه أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، ثم لم يلبث أن نطق بالقرآن الكريم المعجزة فجأة يوم أن بلغ الأربعين.. وإذا عدنا إلى نبوءة أخرى في التوراة سفر أشعيا إصحاح 79 تقول: (أو يرفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة ولا الكتابة ويقول له اقرأ، يقول ما أنا بقارئ) لوجدنا تطابقاً كاملاً بين هاتين النبوءتين وبين حادثة نزول جبريل بالوحي على رسول الله في غار حراء، ونزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق. ﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)..

● **هذا عن التوراة، فماذا عن الإنجيل وأنت الذي كنت تدين به؟**

ـ إذا استثنينا نبوءات برنابا الواضحة والصريحة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالاسم، وذلك لعدم اعتراف الكنيسة بهذا الإنجيل أصلاً، فإن المسيح عليه السلام تنبأ في إنجيل يوحنا تسع نبوءات، و(البرقليط) الذي بشر به يوحنا مرات عديدة... هذه الكلمة لها خمسة معانٍ: المعزّي، والشفيع، والمحامي، والمحمد، والمحمود، وأي من هذه المعاني ينطبق على سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم تمام الانطباق فهو المعزّي المواسي للجماعة التي على الإيمان وعلى الحق من بعد الضياع والهبوط، وهو المحامي والمدافع عن عيسى ابن مريم عليه السلام وعن كل الأنبياء والرسل بعدما شوه اليهود والنصاري صورتهم وحرفوا ما أتوا به وهو الإسلام.. ولهذا جاء في إنجيل يوحنا إصحاح 14 عدد 16 و17 (أنا

أصلي إلى الله ليعطيكم معزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق).. وقال في نبوءة أخرى إصحاح 14 عدد 13 ـ 14: (وأما متي جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به. ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني) وهذا مصداق قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

• كيف كانت لحظة إعلانك للإسلام؟ وكيف كانت بداية الحياة الجديدة في رحاب الهداية والحق؟

- بعد أن وصلت إلي اليقين وتلمست الحقائق بيدي كان عليّ أن أتحدث مع أقرب الناس إليَّ زوجتي، لكن الحديث تسرب عن طريقها إلى الإرسالية للأسف، وسرعان ما تلقفوني، نقلوني إلى المستشفى وتحت مراقبة صارمة مدعين أنني مختل العقل! ولأربعة شهور عشت معاناة شديدة جداً، ففرقوا بيني وبين زوجتي وأولادي، وصادروا مكتبتي وكانت تضم أمهات الكتب والموسوعات... حتى اسمي كعضو في مجمع أسيوط، وفي مؤتمر (سنودس) شُطب، وضاع ملفي كحامل ماجستير من كلية اللاهوت... ومن المفارقات العجيبة أن الإنجليز في هذه الآونة كانوا قد خلعوا الملك طلال من عرش الأردن بتهمة الجنون... فخشيت أن يحدث معي الأمر ذاته.. لذلك التزمت الهدوء والمثابرة وصمدت حتى أطلق سراحي، فقدمت استقالتي من الخدمة واتجهت للعمل في شركة أمريكية للأدوات المكتبية لكن الرقابة هناك كانت عنيفة جداً، فالكنيسة لا تترك أحداً من أبنائها يخرج عليها ويسلم، إما أن يقتلوه أو يدسوا عليه الدسائس ليحطموا حياته.. وفي المقابل لم يكن المجتمع المسلم حينذاك ليقدر على مساعدتي... فحقبة الخمسينيات، والستينيات كما تعلمون كانت تصفية للإخوان المسلمين، وكان الانتماء للإسلام والدفاع عنه حينذاك لا يعني إلا الضياع! ولذلك كان عليّ أن

أكافح قدر استطاعتي، فبدأت العمل التجاري، وأنشأت مكتباً تجاريّاً هرعت بمجرد اكتماله للإبراق إلى (د. جون تومسون) رئيس الإرسالية الأمريكية حينذاك، وكان التاريخ هو الخامس والعشرين من ديسمبر 1959 والذي يوافق الكريسماس، وكان نص البرقية: (آمنت بالله الواحد الأحد، وبمحمد نبيّاً ورسولاً) لكن إشهار اعتناقي الرسمي للإسلام كان يفترض عليّ وفق الإجراءات القانونية أن ألتقي بلجنة من الجنسية التي أنا منها لمراجعتي ومناقشتي.

وفي الوقت الذي رفضت جميع الشركات الأوروبية والأمريكية التعامل معي تشكلت اللجنة المعنية من سبعة قساوسة بدرجة الدكتوراه. خاطبوني بالتهديد والوعيد أكثر من مناقشتي! وبالفعل تعرضت للطرد من شقتي لأنني تأخرت شهرين أو ثلاثة عن دفع الإيجار، واستمرت الكنيسة تدس عليّ الدسائس أينما اتجهت. وانقطعت أسباب تجارتي.. لكنني مضيت على الحق الذي اعتنقته... إلى أن قدر الله أن تبلغ أخباري وزير الأوقاف حينذاك عبدالله طعيمة، والذي استدعاني لمقابلته وطلب مني بحضور الأستاذ الغزالي المساهمة في العمل الإسلامي بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فكنت في منتهى السعادة في بادئ الأمر، لكن الجو الذي انتقلت إليه كان - وللأسف - مسموماً، فالشباب يدربون على التجسس بدل أن يتجهوا للعلم! والموظفون مشغولون بتعليمات (منظمة الشباب) عن كل مهامهم الوظيفية وكان التجسس على الموظفين، وعلى المديرين، وعلى وكلاء الوزارة... حتى يتمكن الحاكم من أن يمسك هؤلاء جميعاً بيد من حديد! ولكم تركت أشيائي منظمة كلها في درج مكتبي لأجدها في اليوم الثاني مبعثرة! وعلى هذه الصورة مضت الأيام وأراد الله سبحانه أن يأتي «د. محمد البهي» وزيراً للأوقاف بعد «طعيمة الجرف». وكان «د. البهي» قد تربى تربية ألمانية منضبطة، لكن «توفيق عويضة» سكرتير المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وأحد ضباط الصف الثاني للثورة

تصدي له.. وحدث أن استدعاني «د. البهي» في يوم من الأيام بعدما صدر كتابي: (المستشرقون والمنصرون في العالم العربي والإسلامي) وأحب أن يتعرف عليّ... فترامى الخبر إلي توفيق عويضة واعتقد أنني من معسكر د. البهي والأستاذ الغزالي.. ووجدت نفسي فجأة أتلقى الإهانة من مدير مكتبه رجاء القاضي وهو يقول لي: اتفضل على الوزارة التي تحميك! خرجت والدموع في عيني، وقد وجدتهم صادروا كتبي الخاصة من مكتبي ولم يبقوا لي إلا شيئاً بسيطاً حملته ورجعت إلى الوزارة.. وهناك عملت كاتب وارد بوساطة!! فكان يوم خروجي على المعاش بتاريخ 12/1/1979 وقد بلغت الستين، ومن ذلك اليوم بدأ إبراهيم خليل يتبوأ مركزه كداعية إسلامي، وكان أول ما نصرني الله به أن التقيت مع الكتور جميل غازي ـ رحمه الله ـ بـ 13 قسيساً بالسودان في مناظرة مفتوحة[1] انتهت باعتناقهم الإسلام جميعاً وهؤلاء كانوا سبب خير وهداية لغرب السودان حيث دخل الألوف من الوثنيين وغيرهم دين الله على أيديهم.

- **في الختام نشكركم وندعو المولى أن يأخذ بالأيادي المخلصة إلى ما فيه خير أمة الإسلام، وجزاكم الله خيراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

●●●

وهذا ما نشرته مجلة الدعوة عنه في أكتوبر 1976:

أستاذ اللاهوت المسئول عن تنصير قطاع من مصر

كان يعمل راعي الكنيسة الإنجيلية وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط حتى عام 1953، ثم سكرتيراً عامّاً للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان، ومبشراً بين المسلمين بين المحافظات من أسيوط إلى أسوان حتى عام 1955 ... حصل على المؤهلات المتخصصة في اللاهوت، فحصل على دبلوم كلية

(1) المناظرة في هده الصفحة:
http://212.37.222.34/islam/multimedia.htm

اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة عام 1948 ثم ماجستير في الفلسفة واللاهوت من جامعة «برنستون» بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1952.

ويتحدث «إبراهيم خليل أحمد» عن قصة دخوله الإسلام فيقول:

«في إحدى الأمسيات من عام 1955 سمعت القرآن مذاعاً بالمذياع، وسمعت في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ (الجن: ١، ٢)

كانت هاتان الآيتان بمثابة الشعلة المقدسة التي أضاءت ذهني وقلبي للبحث عن الحقيقة.. في تلك الأمسية عكفت على قراءة القرآن حتى أشرقت شمس النهار، وكأن آيات القرآن نورٌ يتلألأ، وكأنني أعيش في هالة من النور.. ثم قرأت مرة ثانية فثالثة فرابعة حتى وجدت قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

.. من هذه الآية قررت أن أقوم بدراسة متحررة للكتاب المقدس، وقررت الاستقالة من عملي كقسيس وسكرتير عام للإرساليات الأمريكية بأسوان.

ولما نفذت قراري تآمر عليّ مجموعة أطباء وأشاعوا أنني مختل العقل، فصبرت وصمدت بكل ثقة في الله، فسافرت إلى القاهرة حيث عملت بشركة للمبيعات «استاندرد ستاشينري»، وفي أثناء عملي بها طلب مني مدير الشركة طبع تفسير جزء عم باللغة الإنجليزية، فتعهدت له بإنجاز هذا العمل، وكان يظنني مسلماً، وحمدت الله أنه لم يفطن لمسيحيتي، فكانت بالنسبة لي دراسة إسلامية متحررة من ثياب الدبلوماسية حتى شرح الله صدري للإسلام، ووجدت

أنه لابد من الاستقالة من العمل كخطوة لإعلان إسلامي، وفعلاً قدمت استقالتي في عام 1959 وأنشأت مكتباً تجاريّاً ونجحت في عملي الجديد.

وفي 25 ديسمبر عام 1959 أرسلت برقية للإرسالية الأمريكية بمصر الجديدة بأنني آمنت بالله الواحد الأحد وبمحمد نبيّاً ورسولاً، ثم قدمت طلباً إلى المحافظة للسير في الإجراءات الرسمية.. وتم تغيير اسمي من «إبراهيم خليل فيلبس» إلي «إبراهيم خليل أحمد»، وتضمن القرار تغيير أسماء أولادي على النحو التالي: إسحاق إلى أسامة، وصموئيل إلى جمال، و ماجدة إلى نجوى.

ثم يلتقط أنفاسه ليعاود سرد قصته ورحلته للإيمان بالإسلام، فيقول عن المتاعب التي تعرض لها:

«فارقتني زوجتي بعد أن استنكرت عليّ وعلى أولادي الإسلام، كما قررت البيوتات الأجنبية التي تتعامل في الأدوات المكتبية ومهمات المكاتب عدم التعامل معي، ومن ثم أغلقت مكتبي التجاري، واشتغلت كاتباً بشركة بـ 15 جنيهاً شهريّاً بعد أن كان دخلي 80 جنيهاً.. وفي هذه الأثناء درست السيرة النبوية، وكانت دراستها لي عزاء ورحمة.. ولكن حتى هذه الوظيفة المتواضعة لم أستمر فيها، فقد استطاع العملاء الأمريكان أن يوغروا الشركة ضدي حتى فصلتني، وظللت بعدها ثلاثة أشهر بلا عمل حتى عينت في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وذلك إثر محاضرة قد ألقيتها وكانت عنوانها «لماذا أسلمت؟»».

ثم يضحك بمرارة وسخرية وهو يقول:

«لقد تولت الكنيسة إثارة الجهات المسؤولة ضدي، حتى أن وزارتي الأوقاف والداخلية وقتها طلبتا مني أن أكف عن إلقاء المحاضرات وإلا تعرضت لتطبيق قانون الوحدة الوطنية متهماً بالشغب وإثارة الفتن، وذلك بعد أن قمت بإلقاء العديد من المحاضرات في علم الأديان المقارن بالمساجد في الإسكندرية والمحلة

الكبرى وأسيوط وأسوان وغيرها من المحافظات، فقد اهتزت الكنيسة لهذه المحاضرات بعد أن علمت أن كثيراً من الشباب النصراني قد اعتنق الإسلام».

ثم يصمت في أسى ليقول بعدها:

«هذا الاختناق دفعني دفعاً إلى أن أقرر الهجرة إلى المملكة العربية السعودية حيث أضع كل خبراتي في خدمة كلية الدعوة وأصول الدين».

ثم يعود مستدركاً وموضحاً لما سبق أن أشار إليه عن أسباب اعتناقه الإسلام، فيقول:

«إن الإيمان لابد أن ينبع من القلب أولاً، والواقع أن إيماني بالإسلام تسلل إلى قلبي خلال فترات طويلة كنت دائماً أقرأ القرآن الكريم وأقرأ تاريخ الرسول الكريم وأحاول أن أجد أساساً واحداً يمكن أن يقنعني أن محمداً هذا الإنسان الأمي الفقير البسيط يستطيع وحده أن يحدث كل تلك الثورة التي غيّرت تاريخ العالم ولا تزال.

استوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ (الإخلاص: ١، ٢)..».

ويرفع رأسه متأملاً في السماء ويقول:

«نعم.. التوحيد يجعلني عبداً لله وحده، ولست عبداً لأي إنسان.. التوحيد هنا يحرر الإنسان ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلا لله وحده.. عظيم جداً نظام الغفران في الإسلام، فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربه، فالإنسان في الإسلام يتوب إلى الله وحده، لا وجود لوسطاء، ولا لصكوك الغفران أو كراسي الاعتراف؛ لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه».

ويختتم كلامه وقد انسابت تعابيره رقراقة:

«لا تعلم كم شعرت براحة نفسية عميقة وأنا أقرأ القرآن الكريم فأقف طويلاً عند الآية الكريمة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

كذا الآية الكريمة:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾ (المائدة: ٨٢، ٨٣).

لذلك كله اتخذت قراري بإشهار إسلامي، بل عليّ القيام بالدعوة للدين الإسلامي الذي كنت من أشد أعدائه، يكفي أنني لم أدرس الإسلام في البداية إلا لكي أعرف كيف أطعنه وأحاربه ولكن النتيجة كانت عكسية فبدأت أهتز وبدأت أشعر بصراع داخلي بيني وبين نفسي، واكتشفت أن ما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب».

3 ـ يوسف إستس القس الأمريكي السابق[1]

بدايتي مع الإسلام:

ـ اسمي «يوسف إستس» بعد الإسلام وقد كان قبل الإسلام «جوزيف إدوارد إستس»، ولدت لعائلة نصرانية شديدة الالتزام بالنصرانية تعيش في الغرب الأوسط لأمريكا، آباؤنا وأجدادنا لم يبنوا الكنائس والمدارس فحسب، بل وهبوا أنفسهم لخدمة النصرانية، بدأت بالدراسة الكنيسية أو اللاهوتية عندما اكتشفت أني لا أعلم كثيراً عن ديني النصراني، وبدأت أسأل أسئلة دون أن أجد أجوبة مناسبة لها، فدرست النصرانية حتى صرت قسيساً وداعياً من دعاة النصرانية وكذلك كان والدي، وكنا بالإضافة إلى ذلك نعمل بالتجارة في الأنظمة الموسيقية وبيعها للكنائس، وكنت أكره الإسلام والمسلمين حيث إن الصورة المشوهة التي وصلتني وارتسمت في ذهني عن المسلمين أنهم أناس وثنيون لا يؤمنون بالله ويعبدون صندوقاً أسود في الصحراء وأنهم همجيون وإرهابيون يقتلون من يخالف معتقدهم.

لم يتوقف بحثي في الديانة المسيحية على الإطلاق ودرست الهندوسية واليهودية والبوذية، وعلى مدى 30 سنة لاحقة، عملت أنا وأبي معاً في مشاريع تجارية كثيرة، وكان لدينا برامج ترفيه وعروض كثيرة جذابة، وقد عزفنا البيانو والأورج في تكساس وأوكلاهوما وفلوريدا، وجمعت العديد من ملايين الدولارات في تلك السنوات، لكني لم أجد راحة البال التي لا يمكن تحقيقها إلا بمعرفة الحقيقة وإيجاد الطريق الصحيح للخلاص.

---

(1) عنوان موقعه: www.todayislam.com

لقاء صوتي معه..

الجزء الأول: http://www.alhakekah.com/converts/yousef1.mp3

الجزء الثاني: http://www.alakekah.com/converts/yousef2.mp3

كنت أود تنصيره:

- قصتي مع الإسلام ليست قصة أحد أهداني مصحفاً أو كتباً إسلامية وقرأتها ودخلت الإسلام فحسب، بل كنت عدوّاً للإسلام فيما مضى، ولم أتوان عن نشر النصرانية، وعندما قابلت ذلك الشخص الذي دعاني للإسلام، فإنني كنت حريصاً على إدخاله في النصرانية وليس العكس.

كان ذلك في عام 1991، عندما بدأ والدي عملاً تجاريّاً مع رجل من مصر وطلب مني أن أقابله، طرأت لي هذه الفكرة وتخيلت الأهرامات وأبا الهول ونهر النيل وكل ذلك، ففرحت في نفسي، وقلت: سوف نتوسع في تجارتنا وتصبح تجارة دولية تمتد إلى أرض ذلك الضخم أعني (أبا الهول)!

ثم قال والدي: لكنني أريد أن أخبرك أن هذا الرجل الذي سيأتينا مسلم وهو رجل أعمال.

فقلت منزعجاً: مسلم!! لا.. لن أتقابل معه.

فقال والدي: لابد أن تقابله.

فقلت: لا.. أبداً.

لم يكن من الممكن أن أصدق.. مسلماً!!

ذكّرت أبي بما سمعنا عن هؤلاء الناس المسلمين.. وأنهم يعبدون صندوقاً أسود في صحراء مكة وهو الكعبة، لم أرد أن أقابل هذا الرجل المسلم، وأصر والدي على أن أقابله، وطمأنني أنه شخص لطيف جدّاً، لذا استسلمت ووافقت على لقائه.

ومع ذلك لما حضر موعد اللقاء لبست قبعة عليها صليب ولبست عقداً فيه صليب وعلقت صليباً كبيراً في حزامي، وأمسكت بنسخة من الإنجيل في يدي وحضرت إلى طاولة اللقاء بهذه الصورة، ولكني عندما رأيته ارتبكت.. لا يمكن أن

يكون ذلك المسلم المقصود - الذي نريد لقاءه، كنت أتوقعه رجلاً كبيراً يلبس عباءة ويعتم عمامة كبيرة على رأسه وحواجبه معقودة، فلم يكن على رأسه أي شعر «أصلع».. وبدأ مرحباً بنا وصافحنا، كل ذلك لم يعن لي شيئاً ومازالت صورتي عنهم أنهم إرهابيون. حيث تطرقنا في الحديث عن ديانته وتهجمت على الإسلام والمسلمين حسب الصورة المشوهة التي كانت لدي، وكان هو هادئاً جدّاً وامتص حماسي واندفاعي ببرودته.

ثم بادرت إلى سؤاله:

- هل تؤمن بالله؟

قال: أجل..

ثم قلت: ماذا عن إبراهيم هل تؤمن به؟ وكيف حاول أن يضحي بابنه لله؟

قال: نعم..

قلت في نفسي: هذا جيد سيكون الأمر أسهل مما اعتقدت..

ثم ذهبنا لتناول الشاي في محل صغير، والتحدث عن موضوعي المفضل: المعتقدات.

بينما جلسنا في ذلك المقهى الصغير لساعات نتكلم وقد كان معظم الكلام لي، وقد وجدته لطيفاً جدّاً، وكان هادئاً وخجولاً، استمع بانتباه لكل كلمة ولم يقاطعني أبداً.

وفي يوم من الأيام كان «محمد عبدالرحمن» صديقنا هذا على وشك أن يترك المنزل الذي كان يتقاسمه مع صديق له، وكان يرغب في أن يعيش في المسجد لبعض الوقت، حدثت أبي إن كان بالإمكان أن ندعو «محمداً» للذهاب إلي بيتنا الكبير في البلدة ويبقى هناك معنا.. ثم دعاه والدي للإقامة عندنا في المنزل، وكان المنزل يحويني أنا وزوجتي ووالدي ثم جاء هذا المصري، واستضفنا

كذلك قسيساً آخر لكنه يتبع المذهب الكاثوليكي فصرنا نحن الخمسة.. أربعة من علماء ودعاة النصارى ومسلم مصري.. أنا ووالدي من المذهب البروتستانتي النصراني والقسيس الآخر كاثوليكي المذهب وزوجتي كانت من مذهب متعصب له جانب من الصهيونية، وللمعلومية والدي قرأ الإنجيل منذ صغره وصار داعياً وقسيساً معترفاً به في الكنيسة، والقسيس الكاثوليكي له خبرة 12 عاماً في دعوته في القارتين الأمريكيتين، وزوجتي كانت تتبع مذهب البورنجين الذي له ميول صهيونية، وأنا نفسي درست الإنجيل والمذاهب النصرانية واخترت بعضاً منها أثناء حياتي وانتهيت من حصولي على شهادة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية النصرانية.

وهكذا انتقل للعيش معنا، وكان لدي الكثير من المنصرين في ولاية تكساس، وكنت أعرف أحدهم، كان مريضاً في المستشفى، وبعد أن تعافى دعوته للمكوث في منزلنا أيضاً، وأثناء الرحلة إلى البيت تحدثت مع هذا القسيس عن بعض المفاهيم والمعتقدات في الإسلام، وأدهشني عندما أخبرني أن القساوسة الكاثوليك يدرسون الإسلام، وينالون درجة الدكتوراه أحياناً في هذا الموضوع.

بعد الاستقرار في المنزل بدأنا جميعاً نتجمع حول المائدة بعد العشاء كل ليلة لمناقشة الديانة، وكان بيد كل منا نسخة إنجيل تختلف عن الأخرى، وكان لدى زوجتي إنجيل «نسخة جيمي سواجارت للرجل المتدين الحديث» ـ والمضحك أن جيمي سوجارت هذا عندما ناظره الشيخ المسلم أحمد ديدات أمام الناس قال: أنا لست عالماً بالإنجيل!! فكيف يكتب رجل إنجيلاً كاملاً بنفسه وهو ليس عالماً بالإنجيل ويدعي أنه من عند الله؟!! ـ، وكان لدى القسيس بالطبع الكتاب المقدس الكاثوليكي كما كان عنده 7 كتب أخرى من الإنجيل البروتستانتي. وقد كان مع والدي في تلك الفترة نسخة الملك جيمس وكانت معي نسخة الريفازد إيديشن (المُراجع والمكتوب من جديد) التي تقول: إن في نسخة الملك جيمس الكثير من

الأغلاط والطوام الكبيرة!! حيث إن النصارى لما رأوا كثرة الأخطاء في نسخة الملك جيمس اضطروا إلى كتابته من جديد وتصحيح ما رأوه من أغلاط كبيرة، لذا قضينا معظم الوقت في تحديد النسخة الأكثر صحة من هذه الأناجيل المختلفة، وركزنا جهودنا لإقناع محمد ليصبح نصرانيّاً. وكنا نحن النصارى في البيت يحمل كل منا نسخة مختلفة من الإنجيل ونناقش عن الاختلافات في العقيدة النصرانية وفي الأناجيل المختلفة على مائدة مستديرة، والمسلم يجلس معنا ويتعجب من اختلاف اناجيلنا..

من جانب آخر كان القسيس الكاثوليكي لديه ردة فعل من كنيسته واعتراضات وتناقضات مع عقيدته ومذهبه الكاثوليكي، فمع أنه كان يدعو لهذا الدين والمذهب مدة 12 سنة لكنه لم يكن يعتقد اعتقادا جازماً أنه عقيدة صحيحة ويخالف في أمور العقيدة المهمة.

ووالدي كان يعتقد أن هذا الإنجيل كتبه الناس وليس وحياً من عند الله، ولكنهم كتبوه وظنوه وحياً.

وزوجتي تعتقد أن في إنجيلها أخطاء كثيرة، لكنها كانت ترى أن الأصل فيه أنه من عند الرب!

أما أنا فكانت هناك أمور في الإنجيل لم أصدقها لأني كنت أرى التناقضات الكثيرة فيه، فمن تلك الأمور أني كنت أسأل نفسي وغيري: كيف يكون الرب واحداً وثلاثة في نفس الوقت! وقد سألت القسس المشهورين عالميّاً عن ذلك وأجابوني بأجوبة سخيفة جدّاً لا يمكن للعاقل أن يصدقها، وقلت لهم: كيف يمكنني أن أكون داعية للنصرانية وأعلّم الناس أن الرب شخص واحد وثلاثة أشخاص في نفس الوقت، وأنا غير مقتنع بذلك فكيف أقنع غيري به.

بعضهم قال لي: لا تبيّن هذا الأمر ولا توضحه، قل للناس: هذا أمر غامض

ويجب الإيمان به، وبعضهم قال لي: يمكنك أن توضحه بأنه مثل التفاحة تحتوي على قشرة من الخارج ولب من الداخل وكذلك النوي في داخلها، فقلت لهم: لا يمكن أن يُضرب هذا مثلاً للرب، التفاحة فيها أكثر من حبة نوى فستتعدد الآلهة بذلك ويمكن أن يكون فيها دود فتعدد الآلهة، وقد تكون نتنة وأنا لا أريد ربّاً نتناً.

وبعضهم قال: مثل البيضة فيها قشر وصفار وبياض، فقلت: لا يصح أن يكون هذا مثلاً للرب فالبيضة قد يكون فيها أكثر من صفار فتتعدد الآلهة، وقد تكون نتنة، وأنا لا أريد أن أعبد رباً نتناً.

وبعضهم قال لي: مثل رجل وامرأة وابن لهما، فقلت له: قد تحمل المرأة وتتعَدَّد الآلهة، وقد يحصل طلاق فتتفرق الآلهة، وقد يموت أحدهم، وأنا لا أريد ربّاً هكذا.

وأنا منذ أن كنت نصرانيّاً وقسيساً وداعية للنصرانية لم أستطع أن اقتنع بمسألة التثليث ولم أجد من يمكنه إقناع الإنسان العاقل بها.

قرآناً واحداً، وعدة أناجيل:

أتذكر أنني سألت محمداً فيما بعد: كم نسخة من القرآن ظهرت طوال السنوات 1400 الماضية؟

أخبرني أنه ليس هناك إلا مصحف واحد، وأنه لم يتغير أبداً، وأكد لي أن القرآن قد حفظ في صدور مئات الآلاف من الناس، ولو بحثت على مدى قرون لوجدت أن الملايين قد حفظوه تماماً وعلموه لمن بعدهم.

هذا لم يبد ممكناً بالنسبة لي.. كيف يمكن أن يحفظ هذا الكتاب المقدس ويسهل على الجميع قراءته ومعرفة معانيه؟!!

كان بيننا حوار متجرد واتفقنا على أن ما نقنع به سندين به ونعتنقه فيما بعد.

هكذا بدأنا الحوار معه، ولعل ما أثار إعجابي أثناء الحوار أن محمداً لم يتعرض للتجريح أو التهجم على معتقداتنا أو إنجيلنا وأشخاصنا وظل الجميع مرتاحين لحديثه. وعلى العموم.. لما كنا نجلس في بيتنا نحن النصارى الأربعة المتدينين مع المسلم المصري (محمد) ونناقش مسائل الاعتقاد حرصنا أن ندعو هذا المسلم إلى النصرانية بعدة طرق.. فكان جوابه محدداً بقوله: أنا مستعد أن أتبع دينكم إذا كان عندكم في دينكم شيء أفضل من الذي عندي في ديني.

قلنا: بالطبع يوجد عندنا.

فقال المسلم: أنا مستعد إذا أثبتم لي ذلك بالبرهان والدليل.

فقلت له: الدين عندنا لم يتبين بالبرهان والاستدلال والعقلانية.. إنه عندنا شيء مسلَّم وهو مجرد اعتقاد محض! فكيف نثبته لك بالبرهان والدليل؟!.. فقال المسلم: لكن الإسلام دين عقيدة وبرهان ودليل وعقل ووحي من السماء.

فقلت له: إذا كان عندكم الاعتماد على البرهان والاستدلال فإني أحب أن أستفيد منك وأن أتعلم منك هذا وأعرفه.

ثم لما تطرقنا لمسألة التثليث.. وكل منا قرأ ما في نسخته ولم نجد شيئاً واضحاً.. سألنا الأخ (محمد): ما هو اعتقادكم في الرب في الإسلام.

فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (سورة الإخلاص)، تلاها بالعربية ثم ترجم لنا معانيها.. وكأن صوته حين تلاها بالعربية دخل في قلبي حينها.. وكأن صوته لايزال يرن صداه في أذني ومازلت أتذكره.. أما معناها فلا يوجد أوضح ولا أفضل ولا أقوى ولا أوجز ولا أشمل منه إطلاقاً.

فكان هذا الأمر مثل المفاجأة القوية لنا.. مع ما كنا نعيش فيه من ضلالات وتناقضات في هذا الشأن وغيره.

ولما أردت دعوته للنصرانية قال لي بكل هدوء ورجاحة عقل إذا أثبتَّ لي أن

النصرانية أحق من الإسلام سأتبعك إلى دينك الذي تدعو إليه، فقلت له: متفقين، ثم بدأ محمد قوله: أين الأدلة التي تثبت أفضلية دينكم وأحقيته؟ قلت: نحن لا نؤمن بالأدلة، ولكن بالإحساس والمشاعر، ونلتمس ديننا وما تحدثت عنه الأناجيل، قال محمد: ليس كافياً أن يكون الإيمان بالإحساس والمشاعر والاعتماد على علمنا، ولكن الإسلام فيه الدلائل والأحاسيس والمعجزات، التي تثبت أن الدين عند الله الإسلام، فطلب جوزيف هذه الدلائل من محمد والتي تثبت أحقية الدين الإسلامي. فقال محمد: إن أول هذه الأدلة هو كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم الذي لم يطرأ عليه تغيير أو تحريف منذ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل حوالي 1400 سنة، وهذا القرآن يحفظه كثير من الناس، إذ ما يقرب من 12 مليون مسلم يحفظون هذا الكتاب، ولا يوجد أي كتاب في العالم على وجه الأرض يحفظه الناس كما يحفظ المسلمون القرآن الكريم من أوله لآخره.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر الآية ٩).

وهذا الدليل كافٍ، لإثبات أن الدين عند الله الإسلام.

معجزات القرآن:

من ذلك الحين بدأتُ البحث عن الأدلة المادية، التي تثبت أن الإسلام هو الدين الصحيح وذلك لمدة ثلاثة شهور بحثاً مستمرّاً. بعد هذه الفترة وجدت في الكتاب المقدس أن العقيدة الصحيحة التي ينتمي إليها سيدنا عيسى عليه السلام هي التوحيد، وأنني لم أجد فيه أن الإله ثلاثة، كما يدعو إلى توحيد الله عز وجل، وأن الأديان السماوية لم تختلف حول ذات الله سبحانه وتعالى، وكلها تدعو إلى العقيدة الثابتة بأنه لا إله إلا الله بما فيها الدين المسيحي قبل أن يُفترى عليه بهتانا، ولقد علمنا أن الإسلام جاء ليختم الرسالات السماوية ويكملها ويخرج الناس من حياة الشرك إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى، وأن دخولي في

الإسلام سوف يكون إكمالا لإيماني بأن الدين المسيحي كان يدعو إلى الإيمان بالله وحده، وأن عيسى هو عبد الله ورسوله، ومن لا يؤمن بذلك فهو ليس من المسلمين.

ثم وجدت أن الله سبحانه وتعالى تحدى الكفار بالقرآن الكريم أن يأتوا بمثله أو يأتوا بسورة من مثله ولو كانت بثلاث آيات مثل سورة الكوثر فعجزوا عن ذلك.

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: آية ٢٣).

أيضا من المعجزات التي رأيتها والتي تثبت أن الدين عند الله الإسلام التنبؤات المستقبلية التي تنبأ بها القرآن الكريم مثل:

﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)﴾ (الروم ١ ـ ٣).

وهذا ما تحقق بالفعل فيما بعد وأشياء أخرى ذكرت في القرآن الكريم مثل سورة الزلزلة تتحدث عن الزلازل، والتي قد تحدث في أي منطقة، وكذلك وصول الإنسان إلى الفضاء بالعلم، وهذا تفسير لمعنى الآية التي تقول: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ (الرحمن الآية ٣٣).

وهذا السلطان هو العلم الذي خرق به الإنسان الفضاء فهذه رؤية صادقة للقرآن الكريم.

أيضاً من المعجزات التي تركت أثراً في نفسي (العَلَقَة)، التي ذكرها الله في القرآن الكريم، والتي وضحها العالم الكندي «كوسمر» وقال: إن العلقة هي التي تتعلق برحم الأم، وذلك بعدما تتحول الحيوانات المنوية في الرحم إلى لون دموي معلق. وهذا بالفعل ما ذكره القرآن الكريم من قبل أن يكتشفه علماء الأجنة في العصر الحديث، وهذا بيان للكفار والملحدين.

وبعد كل هذا البحث الذي استمر ثلاثة شهور، قضاها معنا محمد تحت سقف واحد، بسبب ذلك اكتسب ود الكثيرين، وعندما كنت أراه يسجد لله ويضع جبهته على الأرض، أعلم أن ذلك الأمر غير عادي.

محمد كالملائكة:

يوسف إستس يتحدث عن صديقه ويقول: إن مثل هذا الرجل (محمد) ينقصه جناحان ويصبح كالملائكة يطير بهما، وبعد ما عرفت منه ما عرفت، وفي يوم من الأيام طلب صديقي القسيس من محمد هل من الإمكان أن نذهب معه إلى المسجد، لنعرف أكثر عن عبادة المسلمين وصلاتهم، فرأينا المصلين يأتون إلى المسجد يصلّون ثم يغادرون.. قلت: غادورا؟ دون أي خطب أو غناء؟ قال: أجل...

مضت أيام وسأل القسيس محمداً، أن يرافقه إلى المسجد مرة ثانية، ولكنهم تأخروا هذه المرة حتى حل الظلام.. قلقنا بعض الشيء ماذا حدث لهم؟ أخيراً وصلوا، وعندما فتحت الباب.. عرفت محمداً على الفور.. قلت: من هذا؟ شخص مًّا يلبس ثوباً أبيض وقلنسوة وينتظر دقيقة! كان هذا صاحبي القسيس!!! قلت له هل أصبحت مسلماً قال: نعم أصبحت من اليوم مسلماً، ذهلت.. كيف سبقني هذا إلى الإسلام.. ثم ذهبت إلى أعلى للتفكير في الأمور قليلاً، وبدأت أتحدث مع زوجتي عن الموضوع، فقالت لي: أظن أني لن أستمر بعلاقتي معك طويلاً.

فقلت لها: لماذا؟ هل تظنين أني سأسلم؟

قالت: لا. بل لأني التي سوف أسلم!

فقلت لها: وأنا أيضاً في الحقيقة أريد أن أسلم.

قال: فخرجت من باب البيت وخررت على الأرض ساجداً تجاه القبلة وقلت: يارب.. اهدني.

ذهبت إلى الأسفل، وأيقظت محمداً، وطلبت منه أن يأتي لمناقشة الأمر

معي.. مشينا وتكلمنا طوال تلك الليلة، وحان وقت صلاة الفجر.. عندها أيقنت أن الحقيقة قد جاءت أخيراً، وأصبحت الفرصة مهيئة أمامي.. أذّن الفجر، ثم استلقيت على لوح خشبي ووضعت رأسي على الأرض، وسألت إلهي إن كان هناك أن يرشدني.. وبعد فترة رفعت رأسي إلى أعلى فلم ألحظ شيئاً، ولم أر طيوراً أو ملائكة تنزل من السماء، ولم أسمع أصواتاً أو موسيقى، ولم أر أضواء...

أدركت أن الأمر الآن أصبح مواتياً والتوقيت مناسباً، لكي أتوقف عن خداع نفسي، وأنه ينبغي أن أصبح مستقيماً مسلماً... عرفت الآن ما يجب علي فعله...

وفي الحادية عشرة صباحاً وقفت بين شاهدين: القسيس السابق والذي كان يعرف سابقاً بالآب «بيتر جاكوب» ومحمد عبدالرحمن، وأعلنت شهادتي، وبعد لحظات قليلة أعلنت زوجتي إسلامها بعد ما سمعت بإسلامي....

كان أبي أكثر تحفظاً على الموضوع، وانتظر شهوراً قبل أن ينطق بالشهادتين.

يقول الشيخ: فأرى أن إسلامنا جميعاً كان بفضل الله ثم بالقدوة الحسنة في ذلك المسلم الذي كان حسن الدعوة وكان قبل ذلك حسن التعامل، وكما يقال عندنا: لا تقل لي.. ولكن أرني.

أسلمنا دفعة واحدة!!:

لقد دخلنا ثلاثة زعماء دينيين من ثلاث طوائف مختلفة، دخلنا الإسلام دفعة واحدة، وسلكنا طريقاً معاكساً جداً لما كنا نعتقد.... ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد، بل في السنة نفسها دخل طالب معهد لاهوتي معمد من «تينسي» يدعى «جو» دخل في الإسلام بعد أن قرأ القرآن.... ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل رأيت كثيراً من الأساقفة والقساوسة، وأرباب الديانات الأخرى يدخلون الإسلام ويتركون معتقداتهم السابقة.

أليس هذا أكبر دليل على صحة الإسلام، وكونه الدين الحق؟!! بعد أن كان

مجرد التفكير في دخولنا الإسلام، ليس أمراً مستبعداً فحسب، بل أمرا لا يحتمل التصور بأي حال من الأحوال.

كل هذه الدلائل السابقة أن الدين عند الله الإسلام، جعلتني أرجع إلى الطريق المستقيم، الذي فطرنا الله عليه منذ ولادتنا من بطون أمهاتنا، لأن الإنسان يولد على الفطرة «التوحيد» وأهله يهودانه أو ينصرانه، ولم يكن إسلامي فردياً، ولكنه يعد إسلاما جماعيا لي أنا وكل الأسرة في خلال مدة بسيطة قضاها مسلم مصري مع أسرتنا وفي بيتنا اكتشفنا من وجوده وطريقة حياته ومعيشته ونظامه ومن خلال مناقشتنا له أموراً جديدة علينا لم نكن نعلمها عن المسلمين وليست عندنا كنصاري.

أسلم والدي بعدما كان متمسكاً بالكنيسة، وكان يدعو الناس إليها، ثم أسلمت زوجتي وأولادي والحمد لله الذي جعلنا مسلمين. الحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أمة محمد خير الأنام.

تعلق قلبي بحب الإسلام وحب الوحدانية والإيمان بالله تعالى، وأصبحت أغار على الدين الإسلامي أشد من غيرتي من ذي قبل على النصرانية، وبدأت رحلة الدعوة إلى الإسلام وتقديم الصورة النقية، التي عرفتها عن الدين الإسلامي الذي هو دين السماحة والخلق، ودين العطف والرحمة.

4 ـ الدكتور وديع أحمد.. الشماس المصري سابقاً[1]

الحمد لله على نعمة الإسلام نعمة كبيرة لا تدانيها نعمة لأنه لم يعد على الأرض من يعبد الله وحده أحد إلا المسلمين.

ولقد مررت برحلة طويلة قاربت 40 عاما إلى أن هداني الله، وسوف أصف لكم مراحل هذه الرحلة من عمري مرحلة مرحلة:

مرحلة الطفولة: (زرع ثمار سوداء)

كان أبي واعظاً في الإسكندرية في جمعية أصدقاء الكتاب المقدس وكانت مهنته التبشير في القرى المحيطة والمناطق الفقيرة لمحاولة جذب فقراء المسلمين إلى المسيحية.

وأصر أبي أن أنضم إلى الشمامسة منذ أن كان عمري ست سنوات وأن أنتظم في دورس مدارس الأحد وهناك يزرعون بذور الحقد السوداء في عقول الأطفال ومنها:

1 ـ المسلمون اغتصبوا مصر من المسيحيين وعذبوا المسيحيين.

2 ـ المسلم أشد كفراً من البوذي وعابد البقر.

3 ـ القرآن ليس كتاب الله ولكن محمداً اخترعه.

4 ـ المسلمون يضطهدون النصارى لكي يتركوا مصر ويهاجروا.... وغير ذلك من البذور التي تزرع الحقد الأسود ضد المسلمين في قلوب الأطفال.

وفي هذه الفترة المحرجة كان أبي يتكلم معنا سرّاً عن انحراف الكنائس عن المسيحية الحقيقية التي تحرم التماثيل والسجود للبطرك والاعتراف للقساوسة.

(١) الدكتور وديع أحمد موقع على شبكة الإنترنت عنوانه: http://www.wadee3.5u.com

مرحلة الشباب (نضوج ثمار الحقد الأسود):

أصبحت أستاذاً في مدارس الأحد ومعلما للشمامسة وكان عمري 18 عاماً، وكان عليّ أن أحضر دورس الوعظ بالكنيسة والزيارة الدورية للأديرة (خاصة في الصيف) حيث يتم استدعاء متخصصين في مهاجمة الإسلام والنقد اللاذع للقرآن ومحمد (صلى الله عليه وسلم).

وما يقال في هذه الاجتماعات:

1 ـ القرآن مليء بالمتناقضات (ثم يذكروا نصف آية) مثل ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ...﴾.

2 ـ القرآن مليء بالألفاظ الجنسية ويفسرون كلمة (نكاح) على أنها الزنا أو اللواط.

3 ـ يقولون إن النبي محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد أخذ تعاليم النصرانية من (بحيرة) الراهب ثم حورها واخترع بها دين الإسلام ثم قتل بحيرة حتى لا يفتضح أمره... ومن هذا الاستهزاء بالقرآن الكريم ومحمد (صلى الله عليه وسلم) الكثير والكثير...

أسئلة محيرة:

الشباب في هذه الفترة وأنا منهم نسأل القساوسة أسئلة كانت تحيرنا:

شاب مسيحي يسأل:

س: ما رأيك بمحمد (صلى الله عليه وسلم)؟

القسيس يجاوب: هو إنسان عبقري وذكي.

س: هناك الكثير من العباقرة مثل (أفلاطون، سقراط، حامورابي.....) ولكن لم نجد لهم أتباعا ودينا ينتشر بهذه السرعة إلى يومنا هذا؟ لماذا؟

ج: يحتار القسيس في الإجابة.

شاب آخر يسأل:

س: ما رأيك في القرآن؟

ج: كتاب يحتوي على قصص للأنبياء ويحض على الفضائل ولكنه مليء بالأخطاء.

س: لماذا تخافون أن نقرأه وتكفِّرون من يلمسه أو يقرأه؟

ج: يصر القسيس أن من يقرأه كافر دون توضيح السبب!!

يسأل آخر:

س: إذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) كاذباً فلماذا تركه الله ينشر دعوته 23 سنة؟ بل ولايزال دينه ينتشر إلى الآن؟ مع أنه مكتوب في كتاب موسى (كتاب أرميا) إن الله وعد بإهلاك كل إنسان يدعي النبوة هو وأسرته في خلال عام؟

ج: يجيب القسيس (لعل الله يريد أن يختبر المسيحيين به).

مواقف محيرة:

1 ـ في عام 1971 أصدر البطرك (شنودة) قراراً بحرمان روفائيل (راهب دير مينا) من الصلاة لأنه لم يذكر اسمه في الصلاة وقد حاول إقناعه الراهب (صموائيل) بالصلاة، فإنه يصلي لله وليس للبطرك ولكنه خاف أن يحرمه البطرك من الجنة أيضا!!

وتساءل الراهب صموائيل هل يجرؤ شيخ الأزهر أن يحرم مسلماً من الصلاة؟ مستحيل.

2 ـ أشد ما كان يحيرني هو معرفتي بتكفير كل طائفة مسيحية للأخرى

فسألت القمص (ميتاس روفائيل) أب اعترافي فأكد هذا وأن هذا التكفير نافذ في الأرض والسماء.

فسألته متعجبا: معنى هذا أننا كفار لتكفير بابا روما لنا؟

أجاب: للأسف نعم.

سألته: وباقي الطوائف كفار بسبب تكفير بطرك الإسكندرية لهم؟

أجاب: للأسف نعم.

سألته: وما موقفنا إذا يوم القيامة؟

أجاب: الله يرحمنا!!!!

بداية الاتجاه نحو الإسلام:

● وعندما دخلت الكنيسة ووجدت صورة المسيح وتمثاله يعلو هيكلها فسألت نفسي كيف يكون هذا الضعيف المهان الذي استُهزئ به وعذب ربّاً وإلهاً؟؟

● المفروض أن أعبد رب هذا الضعيف الهارب من بطش اليهود. وتعجبت حين علمت أن التوراة قد لعنت الصليب والمصلوب عليه وأنه نجس وينجس الأرض التي يصلب عليها!! (تثنية 21: 22 ـ 23).

● وفي عام 1981: كنت كثير الجدل مع جاري المسلم (أحمد محمد الدمرداش حجازي)، وذات يوم كلمني عن العَدْلِ في الإسلام (في الميراث، في الطلاق، القصاص......) ثم سألني هل عندكم مثل ذلك؟ أجبت: لا.. لا يوجد.

● وبدأت أسأل نفسي كيف أتى رجل واحد بكل هذه التشريعات المحكمة والكاملة في العبادات والمعاملات بدون اختلافات؟ وكيف عجزت مليارات اليهود والنصارى عن إثبات أنه مخترع؟

● من عام 1982 وحتى عام 1990: وكنت طبيبا في مستشفى (صدر كوم

الشقافة) وكان الدكتور محمد الشاطبي دائم التحدث مع الزملاء عن أحاديث محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكنت في بداية الأمر أشعر بنار الغيرة، ولكن بعد مرور الوقت أحببت سماع هذه الأحاديث (قليلة الكلام كثيرة المعاني جميلة الألفاظ والسياق) وشعرت وقتها أن هذا الرجلِ نبي عظيم.

هل كان أبي مسلماً:

- من العوامل الخفية التي أثرت على هدايتي هي الصدمات التي كنت أكتشفها في أبي ومنها:

1 ـ هجر الكنائس والوعظ والجمعيات التبشيرية تماما.

2 ـ كان يرفض تقبيل أيدي الكهنة (وهذا أمر عظيم عند النصارى).

3 ـ كان لا يؤمن بالجسد والدم (الخبز والخمر) أي لا يؤمن بتجسيد الإله.

4 ـ بدلاً من نزوله صباح يوم الجمعة للصلاة أصبح ينام ثم يغتسل وينزل وقت الظهر؟!

5 ـ ينتحل الأعذار للنزول وقت العصر والعودة متأخرا وقت العشاء.

6 ـ أصبح يرفض ذهاب البنات للكوافير.

7 ـ ألفاظ جديدة أصبح يقولها (أعوذ بالله من الشيطان) (لا حول ولا قوة إلا بالله)...

8 ـ وبعد موت أبي عام 1988. وجدت بالإنجيل الخاص به قصاصات ورق صغيرة يوضح فيها أخطاء موجودة بالأناجيل وتصحيحها.

9 ـ وعثرت على إنجيل جدي (والد أبي) طبعة 1930، وفيها توضيح كامل عن التغيرات التي أحدثها النصاري فيه منها تحويل كلمة (يا معلم) و (يا سيد) إلى (يارب)!!!! ليوهموا القارئ أن عبادة المسيح كانت منذ ولادته.

الطريق إلى المسجد:

● وبالقرب من عيادتي يوجد مسجد (هدى الإسلام).. اقتربت منه وأخذت أنظر بداخله فوجدته لا يشبه الكنيسة مطلقا (لا مقاعد ـ لا رسومات ـ لا ثريات ضخمة ـ لا سجاد فخم ـ لا أدوات موسيقى وإيقاع ـ لا غناء لا تصفيق) ووجدت أن العبادة في هذه المساجد هي الركوع والسجود لله فقط، لا فرق بين غني وفقير يقفون جميعا في صفوف منتظمة، وقارنت بين ذلك وعكسه الذي يحدث في الكنائس فكانت المقارنة دائما لصالح المساجد.

في رحاب القرآن:

● وددت أن أقرأ القرآن واشتريت مصحفاً وتذكرت أن صديقي أحمد الدمرداش قال: إن القرآن ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩)، واغتسلت ولم أجد غير ماء بارد وقتها ثم قرأت القرآن وكنت أخشى أن أجد فيه اختلافات (بعد ما ضاعت ثقتي في التوراة والإنجيل) وقرأت القرآن في يومين ولكني لم أجد ما كانوا يعلموننا إياه في الكنيسة عن القرآن.

● الأعجب من هذا أن من يكلم محمداً صلى الله عليه وسلم يخبره أنه سوف يموت؟! من يجرؤ أن يتكلم هكذا إلا الله؟! ودعوت الله أن يهديني ويرشدني.

الرؤيا:

وذات يوم غلبني النوم فوضعت المصحف بجواري وقرب الفجر رأيت نوراً في جدار الحجرة وظهر رجل وجهه مضيء اقترب مني وأشار إلى المصحف فمددت يدي لأسلم عليه لكنه اختفى ووقع في قلبي أن هذا الرجل هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم يشير إلى أن القرآن هو طريق النور والهداية.

أخيراً.. أسلمت وجهي لله:

● وسألت أحد المحامين فدلني على أن أتوجه لمديرية الأمن ـ قسم الشؤون

الدينية ـ ولم أنم تلك الليلة وراودني الشيطان كثيراً (كيف تترك دين آبائك بهذه السهولة)؟

● وخرجت في السادسة صباحا ودخلت كنيسة (جرجس وأنطونيوس) وكانت الصلاة قائمة، وكانت الصالة مليئة بالصور والتماثيل للمسيح ومريم والحواريين وآخرين إلى البطرك السابق (كيرلس) فكلمتهم: (لو أنكم على حق وتفعلون المعجزات كما كانوا يعلموننا فافعلوا أي شيء... أي علامة أو إشارة لأعلم أنني أسير في الطريق الخطأ) وبالطبع لا إجابة.

● وبكيت كثيراً على عمر كبير ضاع في عبادة هذه الصور والتماثيل، وبعد البكاء شعرت أنني تطهرت من الوثنية وأنني أسير في الطريق الصحيح طريق عبادة الله حقا.

● وذهبت إلى المديرية وبدأت رحلة طويلة شاقة مع الروتين ومع معاناة مع البيروقراطية وظنون الناس وبعد عشرة شهور تم إشهار إسلامي في الشهر العقاري في أغسطس 1992.

اللهم أحييني على الإسلام وتوفني على الإيمان.

اللهم احفظ ذريتي من بعدي خاشعين، عابدين، يخافون معصيتك ويتقربون بطاعتك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

5 ـ كينيث جيمكيتر القسيس الأمريكي السابق

هذا الموضوع هو في الحقيقة كتيب أصدره القسيس السابق Kenneth L. Jenkins أو عبدالله الفاروق حاليا.. وهو يصف قصة اعتناقه لهذا الدين العظيم... انظر غلاف الكتيب: يقول فيه «كقسيس سابق ورجل دين في الكنيسة كانت مهمتي هي إنارة الطريق للناس للخروج بهم من الظلمة التي هم بها.. وبعد اعتناقي الإسلام تولدت لديَّ رغبة عارمة بنشر تجربتي مع هذا الدين لعل نوره وبركته تحل على الذين لم يعرفوه بعد.

أنا أحمد الله لرحمته بي بإدخالي للإسلام ولمعرفة جمال هذا الدين وعظمته كما شرحها الرسول الكريم وصحابته المهتدون.. إنه فقط برحمة الله نصل إلى الهداية الحقة والقدرة لاتباع الصراط المستقيم الذي يؤدي للنجاح في هذه الدنيا وفي الآخرة.

ولقد رأيت هذه الرحمة تتجلى عندما ذهبت للشيخ عبدالعزيز بن باز واعتنقت الإسلام ولقد كانت محبته تزداد لدي وأيضاً المعرفة في كل لقاء لي به.

هناك أيضاً الكثيرون الذين ساعدوني بالتشجيع والتعليم ولكن لخوفي لإعدام البعض لن أذكر أسماءهم.. إنه يكفي أن أقول الحمد لله العظيم الذي يسَّر لي كل أخ وكل أخت ممن لعبوا دوراً هامّاً لنمو الإسلام في داخلي وأيضا لتنشئتي كمسلم.. أنا أدعو الله أن ينفع بهذا الجهد القصير أناساً كثيرين.. وأتمنى من لم يكن مهتديا أن يجدوا الطريق المؤدي للنجاة.. إن الأجوبة لمشاكل النصارى لا تستطيع أن تجدها في حوزة النصارى أنفسهم لأنهم في أغلب الأحيان هم سبب مشاكلهم.. لكن في الإسلام الحل لجميع مشاكل النصارى والنصرانية ولجميع الديانات المزعومة في العالم.. نسأل الله أن يجزينا على أعمالنا ونياتنا.

البداية:

كطفل صغير.. نشأت على الخوف من الرب.. وتربيت بشكل كبير عل يد جدتي وهي أصولية مما جعل الكنيسة جزءاً مكملاً لحياتي.. وأنا مازلت طفلاً صغيراً.. بمرور الوقت وببلوغي سن السادسة.. كنت قد عرفت ما ينتظرني من النعيم في الجنة وما ينتظرني من العقاب في النار.. وكانت جدتي تعلمني أن الكذابين سوف يذهبون إلى النار إلى الأبد.. والدتي كانت تعمل بوظيفتين ولكنها كانت تذكرني بما تقوله لي جدتي دائماً.. أختي الكبرى وشقيقي الأصغر لم يكونا مهتمين بما تقوله جدتي من إنذارات وتحذيرات عن الجنة والنار مثلما كنت أنا مهتماً!! لا أزال أتذكر عندما كنت صغيرا عندما كنت أنظر إلى القمر في الأحيان التي يكون فيها مقتربا من اللون الأحمر.. وعندها أبدأ بالبكاء لأن جدتي كانت تقول لي إن من علامات نهاية الدنيا أن يصبح لون القمر أحمر.. مثل الدم.

عند بلوغي الثامنة كنت قد اكتسبت معرفة كبيرة وخوفاً كبيراً بما سوف ينتظرني في نهاية العالم.. وأيضاً كانت تأتيني كوابيس كثيرة عن يوم الحساب وكيف سيكون؟؟ بيتنا كان قريباً جدّاً من محطة السكة الحديد وكانت القطارات تمر بشكل دائم.. أتذكر عندما كنت أستيقظ فزعاً من صوت القطار ومن صوت صفارته معتقدا أني قد مت وأني قد بُعثت!! هذه الأفكار كانت قد تبلورت في عقلي من خلال التعليم الشفوي من قبل جدتي وكذلك المقروء مثل قصص الكتاب المقدس.

في يوم الأحد كنا نتوجه إلى الكنيسة وكنت أرتدي أحسن الثياب وكان جدي هو المسؤول عن توصيلنا إلى هناك.. وأتذكر أن الوقت كان يمر هناك كما لو كان عشرات الساعات!! كنا نصل هناك في الحادية عشرة صباحا ولا نغادر إلا في الثالثة.. أتذكر أني كنت أنام في ذلك الوقت في حضن جدتي.. وفي بعض الأحيان كانت جدتي تسمح لي بالخروج للجلوس مع جدي الذي لم يكن متديناً.. وكنا معاً نجلس لمراقبة القطارات.

وفي أحد الأيام أصيب جدي بالجلطة مما أثر على ذهابنا المعتاد إلى الكنيسة.. وفي الحقيقة كانت هذه الفترة حساسة جداً في حياتي.. بدأت أشعر في تلك الفترة بالرغبة الجامحة للذهاب إلى الكنيسة، وفعلا بدأت بالذهاب لوحدي.. وعندما بلغت السادسة عشرة بدأت بالذهاب إلى كنيسة أخرى كانت عبارة عن مبنى صغير، وكان يشرف عليها والد صديقي.. وكان الحضور عبارة عني أنا وصديقي ووالده ومجموعة من زملائي في الدراسة.. واستمر هذا الوضع فقط بضعة شهور قبل أن يتم إغلاق تلك الكنيسة.

وبعد تخرجي في الثانوية والتحاقي بالجامعة تذكرت التزامي الديني وأصبحت نشطاً في المجال الديني.. وبعدها تم تعميدي.. وكطالب جامعي.. أصبحت بعد وقت قصير أفضل عضو في الكنيسة مما جعل كثيراً من الناس يعجبون بي.. وأنا أيضاً كنت سعيداً لأني كنت أعتقد أني في طريقي «للخلاص».

كنت أذهب إلى الكنيسة في كل وقت كانت تفتح فيه أبوابها.. وأيضاً أدرس الكتاب المقدس لأيام ولأسابيع في بعض الأحيان.. كنت أحضر محاضرات كثيرة كان يقيمها رجال الدين.. وفي سن العشرين أصبحت أحد أعضاء الكنيسة.. وبعدها بدأت بالوعظ.. وأصبحت معروفا بسرعة كبيرة.. في الحقيقة أنا كنت من المتعصبين، وكان لدي يقين أنه لا يستطيع أحد الحصول على الخلاص ما لم يكن عضواً في كنيستنا!! وأيضاً أستنكر على كل شخص لم يعرف الرب بالطريق التي عرفته أنا بها.. أنا كنت أومن أن يسوع المسيح والرب عبارة عن شخص واحد.. في الحقيقة في الكنيسة تعلمت أن التثليث غير صحيح ولكني بالوقت نفسه كنت أعتقد أن يسوع والأب وروح القدس شخص واحد!! حاولت أن أفهم كيف تكون هذه العلاقة صحيحة ولكن في الحقيقة أبدا لم أستطع الوصول إلى نتيجة متكاملة بخصوص هذه العقيدة!! أنا أعجب باللبس المحتشم للنساء وكذلك التصرفات الطيبة من الرجال.. أنا كنت ممن يؤمنون بالعقيدة التي تقول إن على

المرأة تغطية جسدها! وليست المرأة التي تملأ وجهها بالمكياج وتقول أنا سفيرة المسيح!

كنت في هذا الوقت قد وصلت إلى يقين بأن ما أنا فيه الآن هو سبيلي إلى الخلاص.. وأيضاً كنت عندما أدخل في جدال مع أحد الأشخاص من كنائس أخرى كان النقاش ينتهي بسكوته تماما.. وذلك بسبب معرفتي الواسعة بالكتاب المقدس كنت أحفظ مئات النصوص من الإنجيل.. وهذا ما كان يميزني عن غيري.

وبرغم كل تلك الثقة التي كانت لدي كان جزء مني يبحث.. ولكن عن ماذا؟؟ عن شيء أكبر من الذي وصلت إليه! كنت أصلي باستمرار للرب أن يهديني إلى الدين الصحيح.. وأن يغفر لي إذا كنت مخطئاً.

إلى هذه اللحظة لم يكن لي أي احتكاك مباشر مع المسلمين ولم أكن أعرف أي شيء عن الإسلام.. وكل ما عرفته هو ما يسمى بـ «أمة الإسلام» وهي مجموعة من السود أسسوا لهم ديناً خاصّاً بهم وهو عنصري ولا يقبل غير السود.. ولكن أسموه «أمة الإسلام»، وهذا ما جعلني أعتقد أن هذا هو الإسلام.. مؤسس هذا الدين اسمه «اليجا محمد» وهو الذي بدأ هذا الدين والذي أسمى مجموعته أيضا «المسلمين السود».

في الحقيقة قد لفت نظري خطيب مفوه لهذه الجماعة اسمه لويس فرقان وقد شدني بطريقة كلامه وكان هذا في السبعينيات من القرن العشرين.

وبعد تخرجي في الجامعة كنت قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من العمل في المجال الديني.. وفي ذلك الوقت بدأ أتباع «اليجه محمد» بالظهور بشكل واضح.. وعندها بدأت وعلمت أنهم يحاولون الرقي بالسود مما هم عليه من سوء المعاملة والأوضاع بشكل عام.. بدأت بحضور محاضراتهم لمعرفة طبيعة دينهم

بالتحديد.. ولكني لم أقبل فكرة أن الرب عبارة عن رجل أسود (كما كان من اعتقاد أصحاب أمة الإسلام) ولم أكن أحب طريقتهم في استخدام الكتاب المقدس لدعم أفكارهم.. فأنا أعرف هذا الكتاب جيدا.. ولذلك لم أتحمس لهذا الدين (وكنت في هذا الوقت أعتقد أنه هذا هو الإسلام!!).

وبعد ست سنوات انتقلت للعيش في مدينة تكساس.. وبسرعة التحقت لأصبح عضواً في كنيستين هناك وكان يعمل في واحدة من هاتين الكنيستين شاب صغير بدون خبرة في حين أن خبرتي في النصرانية كانت قد بلغت مبلغاً كبيراً وفوق المعتاد أيضاً.. وفي الكنيسة الأخرى التي كنت عضوا فيها كان هناك قسيس كبير في السن ورغم ذلك لم يكن يمتلك المعرفة التي كنت أنا أمتلكها عن الكتاب المقدس ولذلك فضلت الخروج منها حتى لا تحصل مشاكل بيني وبينه.. عندها انتقلت للعمل في كنيسة أخرى في مدينة أخرى، وكان القائم على تلك الكنيسة رجل محنك وخبير وعنده علم غزير.. وعنده طريقة مدهشة في التعليم.. ورغم أنه كان يمتلك أفكاراً لا أوافقه عليها إلا أنه كان في النهاية شخصاً يمتلك القدرة على كسب الاشخاص.

في هذا الوقت بدأت أكتشف أشياء لم أكن أعلمها بالكنيسة وجعلتني أفكر فيما أنا فيه من دين...!!!

مرحبا بكم في عالم الكنيسة الحقيقي:

بسرعة اكتشفت أن في الكنيسة الكثير من الغيرة وهي شائعة جدّاً في السلم الكنسي.. وأيضا أشياء كثيرة غيرت الأفكار التي كنت قد تعودت عليها.. على سبيل المثال النساء يرتدين ملابس أنا كنت أعتبرها مخجلة.. والكل يهتم بشكله من أجل لفت الانتباه.. لا أكثر.. للجنس الآخر!!

الآن اكتشفت كيف أن المال يلعب لعبة كبري في الكنائس.. لقد أخبروني أن

الكنيسة إذا لم تكن تملك العدد المحدد من الأعضاء فلا داعي أن تضيع وقتك بها لأنك لن تجد المردود المالي المناسب لذلك.. عندها أخبرتهم أني هنا لست من أجل المال.. وأنا مستعد لعمل ذلك بدون أي مقابل.. وحتى لو وجد عضو واحد فقط...!

هنا بدأت أفكر بهؤلاء الذين كنت أتوسم فيهم الحكمة كيف أنهم كانوا يعملون فقط من أجل المال!! لقد اكتشفت أن المال والسلطة والمنفعة كانت أهم لديهم من تعريف الناس بالحقيقة.

هنا بدأت أسأل هؤلاء الأساتذة بعض الأسئلة ولكن هذه المرة بشكل علني في وقت المحاضرات.. كنت أسألهم كيف ليسوع أن يكون هو الرب؟؟.. وأيضاً في نفس الوقت روح القدس والأب والابن و.. و.. و... إلخ.. ولكن لا جواب!! كثير من هؤلاء القساوسة والوعاظ كانوا يقولون لي إنهم هم أيضاً لا يعرفون كيف يفسرونها لكنهم في نفس الوقت يعتقدون أنهم مطالبون بالإيمان بها!! وكان اكتشاف الحجم الكبير من حالات الزنا والبغاء في الوسط الكنسي وأيضا انتشار المخدرات وتجارتها فيما بينهم وأيضا اكتشاف كثير من القساوسة الشواذ جنسيا أدى بي إلى تغيير طريقة تفكيري والبحث عن شيء آخر ولكن ما هو؟ وفي تلك الأيام استطعت أن أحصل على عمل جديد في المملكة العربية السعودية.

بداية جديدة:

لم يمر وقت طويل حتى لاحظت الأسلوب المختلف للحياة لدى المسلمين.. كانوا مختلفين عن أتباع «اليجه محمد» العنصريين الذين لا يقبلون إلا السود.. الإسلام الموجود في السعودية يضم كافة الطبقات.. وكل الأعراق.. عندها تولدت لدي رغبة قوية في التعرف على هذا الدين المميز.. كنت مندهشاً لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وكنت أريد أن أعرف المزيد.. طلبت مجموعة من الكتب من أحد الإخوة النشيطين في الدعوة إلى الإسلام.. كنت أحصل على جميع الكتب

التي كنت أطلبها.. قرأتها كلها، بعدها أعطوني القرآن الكريم وقمت بقراءته عدة مرات.

خلال عدة أشهر.. سألت أسئلة كثيرة جدّاً وكنت دائماً أجد جواباً مقنعاً.. الذي زاد من إعجابي هو عدم إصرارالشخص على الإجابة.. بل إنه إن لم يكن يعرفها كان ببساطة يخبرني أنه لا يعرف وأنه سوف يسأل لي عنها ويخبرني في وقت لاحق!! وكان دائماً في اليوم التالي يحضر لي الإجابة.

وأيضا مما كان يشدني في هؤلاء الناس المحيرين هو اعتزازهم بأنفسهم!! كنت أصاب بالدهشة عندما أرى النساء وهن محتشمات من الوجه إلى القدمين! لم أجد سلما دينيا أو تنافسا بين الناس المنتسبين للعمل من أجل الدين كما كان يحدث في أمريكا في الوسط الكنسي هناك.

كل هذا كان رائعا ولكن كان هناك شيء ينغص علي وهو كيف لي أن أترك الدين الذي نشأت عليه؟؟ كيف أترك الكتاب المقدس؟؟ كان عندي اعتقاد أن به شيئا من الصحة بالرغم من العدد الكبير من التحريفات والمراجعات التي حصلت له.... عندها تم إعطائي شريط فيديو فيه مناظرة اسمها «هل الإنجيل كلمة الله؟»[1] وهي بين الشيخ أحمد ديدات وبين القسيس جيمي سواجارت.. وبعدها علي الفور أعلنت إسلامي!!

بعدها تم أخذي إلى مكتب الشيخ عبدالعزيز بن باز لكي أعلن الشهادة وقبولي بالإسلام.. وتم إعطائي نصيحة عما سوف أواجهه بالمستقبل.. إنها في الحقيقة ولادة جديدة لي بعد ظلام طويل.. كنت أفكر بماذا سوف يقول زملائي في الكنيسة عندما يعلمون بخبر اعتناقي الإسلام؟؟ لم يكن هناك وقت طويل

(1) لمشاهدة تلك المناظرة المثيرة أو سماعها يمكنك تحميلها من الوصلة التالية:

http://www.islam.org/audio/ra622 4.ram

وستجدها في هذه الصفحة إن شاء الله:

http://212.37.222.34/islam/multimedia.htm

لأعلم.. بعد أن عدت للولايات المتحدة الأمريكية من أجل الاجازة أخذت الانتقادات تضربني من كل جهة على ما أنا عليه من «قلة الإيمان» على حد قولهم!! وأخذوا يصفونني بكل الأوصاف الممكنة.. مثل الخائن والمنحل أخلاقيا.. وكذلك كان يفعل رؤساء الكنيسة.. ولكني لم أكن أعبأ بما كانوا يقولونه لأني الآن فرح ومسرور بما أنعم الله علي به من نعمة وهي الإسلام.

أنا الآن أريد أن أكرس حياتي لخدمة الإسلام كما كنت في المسيحية.. ولكن الفرق أن الإسلام لا يوجد فيه احتكار للتعليم الديني بل الكل مطالب أن يتعلم.

تم إهدائي صحيح مسلم من قبل مدرس القرآن.. عندها اكتشفت حاجتي لتعلم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.. وأحاديثه وما عمله في حياته.. فقمت بقراءة الأحاديث المتوفرة باللغة الإنجليزية بقدر المستطاع.. أيضاً أدركت أن خبرتي بالمسيحية نافعة جدا لي في التعامل مع النصارى ومحاججتهم.. حياتي تغيرت بشكل كامل.. وأهم شيء تعلمته أن هذه الحياة أنما هي تحضيرية للحياة الأخروية.. وأيضا مما تعلمته أننا نجازَى حتى بالنيات.. أي إنك إذا نويت أن تعمل عملا صالحا ولم تقدر أن تعمله لظرف ما.. فإن جزاء هذا العمل يكون لك.. وهذا مختلف تماما عن النصرانية.

الآن من أهم أهدافي هو تعلم اللغة العربية وتعلم المزيد عن الإسلام.. وأنا الآن أعمل في حقل الدعوة لغير المسلمين ولغير الناطقين بالعربية.. وأريد أن أكشف للعالم التناقضات والأخطاء والتلفيقات التي يحتويها الكتاب الذي يؤمن به الملايين حول العالم (يقصد الكتاب المقدس للنصارى) وأيضاً هناك جانب إيجابي مما تعلمته من النصرانية أنه لا يستطيع أحد أن يحاجني لأني أعرف معظم الخدع التي يحاول المنصرون استخدامها لخداع النصارى وغيرهم من عديمي الخبرة.

أسأل الله أن يهدينا جميعاً إلى سواء الصراط جزاه الله خيرا. وهذا الكلام

لا يصدر في الحقيقة إلا من رجل صادق عرف الله فآمن به.. ومن ثم كبر الإيمان في قلبه.. حتى أصبح هدفه هو هداية الناس جميعا! وهذا الرجل تنطبق عليه الآية الكريمة التالية: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة المائدة آية ٨٢ ـ ٨٤).

6 ـ رئيس الأساقفة اللوثريُّ السابق التنزانيُّ أبوبكر موايبيو

في الثالث والعشرين من شهر كانون الأوَّل لعام 1986 ـ وقبل يومين من أعياد الميلاد ـ أعلن رئيس الأساقفة مارتن جون موايبيو لجماعة المصلِّين بأنَّه سيترك المسيحية لدخول الإسلام. كان حشد المصلِّين في حالة شلل تامٍّ للصدمة الَّتي أصابتهم لسماع هذا الخبر، إلى درجة أنَّ مساعد الأُسقف قامٍ من مقعده فأغلق الباب والنوافذ، وصرَّح لأعضاء الكنيسة بأنَّ رئيس الأساقفة قد جُنَّ. فكيف استطاع الرَّجل أن يفكِّر بقول ذلك، في حين أنَّه قبل ذلك ببضع دقائق كان يعزف آلاته الموسيقية بطريقة تثير مشاعر أعضاء الكنيسة؟! لم يكونوا يعرفون بأنَّ ما يجول في خاطر الأسقف سيكون قراراً يعصف بألبابهم، وأنَّ ذلك الترفيه لم يكن إلاَّ حفلة وداع.

لكنَّ ردَّ فعل المصلَّين كان مُفجعاً علي حدٍّ سواء! فقد اتَّصلوا بقوات الأمن لأخذ الرَّجل «المجنون». فتحفَّظوا عليه في الزنزانة حتَّى منتصف الليل، إلى أن جاء الشيَّخ أحمد شيخ ـ وهو الرَّجل الَّذي حثَّه على دخول الإسلام ـ وكفله لإطلاق سراحه. لقد كان هذا الحادث بدايةً لطيفةً فقط نسبةً لما كان ينتظر الأُسقف السَّابق من صدمات.

وقد قام سيمفيوي سيسانتي ـ وهو صحفيٌّ من صحيفة القلم ـ بإجراء لقاءٍ مع رئيس الأساقفة اللوثريِّ مارتن جون موايبيو، والَّذي أصبح بعد إعلانه الإسلام معروفاً باسم (الحاج أبو بكر جون موايبيو).

الفضل في إثارة الفضول الصحفيِّ لدى هذا الكاتب ـ يعود إلى الأخ الزيمبابويِّ سفيان سابيلو، وذلك بعد استماع الأخير إلى حديث موايبيو في مركز وايبانك الإسلاميِّ في ديربان، وهذا الصحفي ليس من الَّذين يرغبون بالإثارة،

لكنَّه في تلك الليلة كان قد سمع شيئاً قيّماً فهو لم يستطع التوقُّف عن الحديث عن الرَّجل! ومن كان بإمكانه ألاَّ يكون مأخوذاً بعد سماعه بأنَّ رئيس الأساقفة قد دخل الإسلام؟ وهو الَّذي لم يحصل فقط على شهادتي البكالوريوس والماجستير في اللاهوت، بل وعلى شهادة الدكتوراه أيضاً.

وإنْ كنتم ممَّن يهتَّمون بالشَّهادات الأجنبيَّة، فإنَّ الرَّجل قد حصل على الدبلوم في الإدارة الكنسيَّة من إنجلترا، وما تبقَّى من الدَّرجات العلميَّة من برلين في ألمانيا! وهذا الرَّجل الَّذي كان ـ قبل دخوله الإسلام ـ الأمين العام لمجلس الكنائس العالميِّ لشئون أفريقيا ـ ممَّا يشمل تنزانيا وكينيا وأوغندا وبوروندي وأجزاء من أثيوبيا والصُّومال ـ كان منصبه في مجلس الكنائس يفوق الرئيس الحاليَّ للجنة حقوق الإنسان الجنوب إفريقيَّة بارني بيتيانا، ورئيس لجنة المصالحة الوطنيَّة الأُسقف ديسموند توتو.

إنَّها قصَّة رجل وُلد قبل 61 عاماً ـ في الثاني والعشرين من شهر شباط ـ في بوكابو، وهي منطقةٌ على الحدود مع أوغندا. وبعد سنتيْن من ولادته قامت عائلته بتعميده؛ وبعد خمس سنواتٍ كانت تراقبه بفخرٍ وهو يصبح خادم المذبح في القُدَّاس، ناظرين إليه وهو يساعد كاهن الكنيسة بتحضير «جسد ودم» المسيح (عليه السَّلام). كان هذا ممَّا يملأُ عائلته بالفخر، ويملأُ أباه بالأفكار حول مستقبل ابنه.

يسترجع أبو بكر ذكرياته قائلاً:

«فيما بعد ـ وعندما كنت في المدرسة الدَّاخليَّة ـ كتب إليَّ أبي قائلاً بأنَّه يريدني أن أُصبح راهباً. وفي كلِّ رسالةٍ كان يكتب لي ذلك».

لكنَّ موايبيو كانت لديه أفكاره الخاصَّة عن مستقبل حياته، والَّتي كانت تتعلَّق بالانضمام إلى سلك الشرطة. ومع ذلك ـ وفي الخامسة والعشرين من

عمره - استسلم لرغبة والده. فعلى النقيض ممَّا يحصل في أوروبا، حيث يستطيع الأبناء فعل ما يشاؤون بعد عمر الحادية والعشرين، فالأبناء في أفريقيا يُعلَّمون احترام رغبات آبائهم أكثر من احترام رغباتهم الشخصيَّة.

يا بنيّ، قبل أن أغمض عيني (أموت)، سأكون مسروراً إنْ أصبحتَ راهباً».

هذا ما قاله الأب لابنه، وهكذا فعل الابن؛ وهو القرار الَّذي قاده إلى إنجلترا عام 1964 للحصول على الدبلوم في إدارة الكنائس؛ وبعد ذلك بسنةٍ إلى ألمانيا للحصول على البكالوريوس. وبعودته بعد عامٍ أصبح أُسقفاً عاملاً.

وفيما بعد رجع ليحصل على الماجستير.

«كلّ ذلك الوقت، كنت أفعل الأشياء بدون نقاش».

وقد بدأ بالتساؤل حين كان يعمل على الحصول على الدكتوراه، يقول موايبيو:

«بدأت أتساءل باندهاش، فهناك المسيحيَّة والإسلام واليهوديَّة والبوذيَّة، وكلُّ دينٍ منها يدّعي أنَّه الحقّ، فما هي الحقيقة؟ كنت أريد الحقيقة».

وهكذا بدأ بحثه حتى اختزله إلى الأديان الرئيسيَّة الأربعة. وحصل على نسخةٍ من القرآن الكريم. وهل تتخيَّلون ماذا حدث؟

يتذكر موايبيو قائلاً:

«حين فتحت القرآن الكريم، كانت الآيات الأولى التي أقرأها هي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص).

كان هذا هو الوقت الذي بدأت فيه بذور الإسلام بالنموِّ، وهو الدِّين غير المعروف بالنِّسبة إليه. وفي ذلك الوقت اكتشفت بأنَّ القرآن الكريم هو الكتاب المقدَّس الوحيد الَّذي لم يُشوِّههُ الإنسان منذ الإيحاء به.

«وهذا ما قُلْتُه كخاتمةٍ في رسالتي للدكتوراه. ولم يكن يهمّني إنْ كانوا سيمنحونني الدكتوراه أم لا، لأنَّ هذه هي الحقيقة؛ وأنا كنت أبحث عن الحقيقة».

وفي حالته الذهنيَّة هذه، ذهب إلى أُستاذه المحبوب فان بيرغر. ويستعيد ذكرياته قائلاً:

«أغلقت الباب، ثمَّ نظرت في عينيه، وسألته: عن كلِّ الأديان الَّتي في الدُّنيا، أيُّها هو الدِّين الحقّ؟ فأجابني: «الإسلام». فسألته: «فلماذا أنت إذاً لست مسلماً؟» فقال لي: «أوَّلاً: أنا أكره العرب. وثانياً: هل أنت ترى كلَّ هذا الترف الَّذي أنعم فيه؟ فهل تعتقد بأنِّي سأتخلَّى عن كلِّ ذلك من أجل الإسلام؟» وعندما تفكَّرت بجوابه، بدأت أتفكَّر بحالتي الخاصَّة أيضاً.

فمنصب موايبيو، وسيارته، كلُّ ذلك خطر في باله. لا، فهو لا يستطيع إعلان الإسلام. وهكذا ـ ولسنةٍ كاملةٍ ـ نحَّى هذه الفكرة عن خاطره. لكنَّ رُؤى بدأت تلاحقه، وآياتٌ من القرآن الكريم داومت علي الظُّهور أمامه، وأُناسٌ موشحون بالبياض يأتون إليه، «خاصة في أيَّام الجُمَع»، حتَّى لم يستطع أن يقاوم أكثر.

وهكذا أعلن إسلامه رسميّاً في الثَّاني والعشرين من شهر كانون الأوَّل. وهذه الرُّؤى الَّتي قادته إلى ذلك، ألم تكن بفعل الطَّبيعة الخُرافيَّة للأفارقة؟ ويحدِّثنا عن ذلك موايبيو قائلاً:

ـ «لا؛ لا أظنُّ بأنَّ كلَّ الرُّؤى الَّتي تهديك للاتجاه الصَّحيح، وتلك الَّتي لا تفعل ذلك. أمَّا هذه ـ على وجه الخصوص ـ فقد قادتني إلى الطَّريق الصَّحيح، إلى الإسلام».

ونتيجةً لذلك قامت الكنيسة بتجريده من بيته وسياراته. ولم تستطع زوجته تحمُّل ذلك فحزمت حقائبها وأخذت أولادها وتركته، وذلك على الرغم من تأكيد موايبيو لها بأنَّها ليست مُلزمةً بدخول الإسلام. وعندما ذهب إلى والديه، اللَّذيْن كانا أيضاً قد سمعا بقصتَّه:

«طلب منّي أبي انتقاد الإسلام علانيةً؛ وقالت أُمّي بأنَّها «لا تريد أن تسمع أيَّ تُرَّهاتٍ منّي». لقد أصبح وحيداً! وحين سُئل كيف يشعر تجاه والديه؟ قال بأنه سامحهما، وقد تصالح مع أبيه قبل أن ينتقل إلى عالم الآخرة. وقال موايبيو:

«لقد كانا كبيرَيْن بالسنِّ، ولم يكن لديهما العلم أيضاً. حتَّى أنَّهما لم يكن باستطاعتهما قراءة الإنجيل، وكلُّ ما كانا يعرفانه هو ما كانا يسمعانه من الراهب وهو يقرأ».

سألهما البقاء في المنزل لليلةٍ واحدة، وفي اليوم التَّالي بدأ رحلته إلى حيث تنتمي عائلته أصلاً إلى كاييلا - على الحدود بين تنزانيا ومالاوي. وخلال رحلته جَنَح إلى بروسيل حيث كانت هناك عائلةٌ تريد بيع بيتٍ لصنع الجعة. وحصل هناك أن التقي بزوجة المستقبل، وهي راهبةٌ كاثوليكيَّةٌ اسمها الأخت جيرترود كيبوبا، والَّتي تُعرف الآن باسم الأخت زينب. ومعها سافر إلى كاييلا، حيث أخبره العجوز الَّذي منحه المأوى في الليلة السَّابقة بأن هناك سيجد مسلمين آخرين. ولكن قبل ذلك، وفي صباح ذلك اليوم رفع الأذان للصلاة، وهو الشيء الَّذي جعل القرويِّين يخرجون من منازلهم سائلين المضيف كيف يؤوي رجلاً «مجنوناً».

«لقد كانت الرَّاهبة هي التي أوضحت بأنِّي لست مجنوناً بل مسلماً»، يقول موايبيو:

وكانت نفس الرَّاهبة هي الَّتي ساعدته فيما بعد على دفع النَّفقات العلاجيَّة لمشفى الإرساليَّة الأنجليكانيَّة حين كان مريضاً جدّاً. وذلك بفضل المحادثة الَّتي كانت له معها.

وكان أن سألها: لماذا ترتدي الصَّليب في سلسلةٍ على صدرها، فكان أن أجابت بأنَّ ذلك لأنَّ المسيح (عليه السَّلام) قد صُلب عليه.

«ولكن، لنَقُل أن أحدهم قتل أباك ببندقيَّةٍ، فهل كنت ستتجوَّلين حاملةً البندقيَّة على صدرك؟».

لقد جعل ذلك الراهبة تفكّر، وحارت في الإجابة. وحين عرض عليها الأُسقف الزواج لاحقاً، كان جوابها بالإيجاب. فتزوَّجا سرّاً، وبعد أربعة أسابيع كتبت إلى مسؤوليها تُعلِمهم بأنَّها تركت الرَّهبنة. سمع الشيَّخ الَّذي قدَّم لهما المأوى - وهو خال الرَّاهبة - بهذا الزواج؛ وفي لحظة وصولهما إلى بيته نُصحا بالهرب، لأنَّ «الشيخ كان يُعبِّئ بندقيَّته بالبارود». وكان والد الرَّاهبة غاضباً «ومتوحشاً كالأسد».

انتقل موايبيو من رفاهية منزل رئيس الأساقفة ليعيش في بيتٍ مبنيٍّ من الطِّين. وبدلاً من راتبه الكبير كعضو في المجلس الكنسيِّ العالميِّ كأمينٍ عامٍّ لشرق أفريقيا، بدأ بكسب قوته كحطَّابٍ، وحرَّاثٍ لأراضي الآخرين. وفي الأوقات الَّتي لم يكن يعمل فيها كان يدعو إلى الإسلام علانية. ممَّا قادة إلى سلسلةٍ من الأحكام القصيرة بالسِّجن لعدم احترام المسيحيَّة.

وحين كان يؤدِّي فريضة الحجِّ في عام 1988، حدثت الكارثة. فقد فُجِّر بيته، وترتب على ذلك قتل أطفاله التوائم الثلاثة: ويتذكَّر قائلاً:

«الأُسقف - وهو ابن خالتي - كان ضالعاً في تلك المؤامرة».

ويُضيف بأنَّه بدلاً من أن يحبطه ذلك فقد فعل العكس، لأنَّ عدد الَّذين كانوا يعلنون إسلامهم كان بازدياد، وهذا يشمل حماه أيضاً.

وفي عـــام 1992 اعتُقِل لمدَّة عشرة أشهر مع سبعين من أتباعه، واتُّهموا بالخيانة. وكان ذلك بعد تفجير بعض محلات بيع لحم الخنزير الَّتي كان قد تحدَّث ضدَّها. لقدْ تحدَّث فعلاً ضدَّها، وهو يعترف بذلك مُوضحاً بأنَّه دستوريَّاً - ومنذ عام 1913 - هناك قانون بمنع الخمَّارات والكازينوهات ومحلات بيع لحم الخنزير في دار السَّلام وتانغا ومافيا وليندي وكيغوما. ولحُسن حظه فقد بُرِّأت ساحته، وبعد ذلك مباشرةً هاجر إلى زامبيا منفيّاً؛ وذلك بعد أن نُصِحَ بأنْ هناك مؤامرة لقتله.

وحدَّثنا بأنَّه في كلِّ يوم كان يُطلق فيه سراحه، كانت الشرطة تأتي لتعتقله مُجدَّداً. وهل يمكن أن تتخيَّلوا ماذا حصل أيضاً؟! يقول موايبيو:

«لقد قالت النِّساء بأنَّهن لن يسمحن بذلك! وبأنَّهن سيقاومن اعتقالي من قبل قوات الأمن بأجسادهن. وكانت النِّساء أيضاً هنَّ اللواتي ساعدنني على الهرب عبر الحدود مُتخفياً؛ فقد ألبسنني ملابس النِّساء!»

وهذا هو أحد الأسباب التي جعلته يُقدِّر دور النِّساء.

«يجب أن تُعطى النِّساء مكانةً رفيعةً، وأن يُمنحن تعليماً إسلاميّاً جيِّداً. وإلا فكيف يمكن للمرأة أن تتفهَّم لماذا يتزوَّج الرَّجل أكثر من امرأة واحدة، لقد كانت زوجتي زينب هي من اقترحت عليّ بأنني يجب أن أتزوج بزوجتي الثَّانية - صديقتها شيلا - حين كان يتوجَّب عليها السَّفر إلى الخارج من أجل الدِّراسات الإسلاميَّة».

هل الأُسقف (السَّابق) هو الَّذي يقول ذلك. الله أكبر؟!

ورسالة الحاجِّ أبي بكر موايبيو إلى المسلمين هي:

«إنَّ هناك حرباً على الإسلام... وقد أغرقوا العالم بالمطبوعات. والآن بالتحديد يعملون على جعل المسلمين يشعرون بالعار بوصفهم لهم بالأُصوليِّين. فيجب على المسلمين ألا يقفوا عند طموحاتهم الشَّخصيَّة، ويجب عليهم أن يتَّحدوا. فعليك أن تدافع عن جارك إن كنت تريد أن تكون أنت في أمان».

يقول ذلك ويحضُّ المسلمين على أن يكونوا شجعاناً، مُستشهداً بالمركز الإسلاميِّ العالميِّ للدَّعوة والشيخ أحمد ديدات:

«ذلك الرَّجل ليس مُتعلِّماً، لكن انظر إلى الطَّريقة الَّتي ينشر بها الإسلام».

7ـ الراهب السابق الفليبيني ماركو كوربس

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلاة الله تعالى وسلامه على خاتم الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

هذه هي قصتي، ولماذا أعلنت إسلامي:

خلال طفولتي، رُبِّيت جزئيّاً على الكاثوليكيَّة. أما جدي وعمتي فقد كانا مُعالِجَيْن روحانييْن يعبدان الأصنام والأرواح. وقد شهدت الكثير من المرضى الَّذين جاءوا إليهما من أجل العلاج، وكيف كانوا يبرأون. ولذلك فقد تسبَّبا في اتباعي ما يؤمنان به.

عندما وصلت السابعة عشرة من عمري، لاحظت بأنَّ هناك الكثير من الأديان، الَّتي تحوي أنواعاً مختلفةً من التعاليم، على الرغم من أنَّ لها نفس المصدر، وهو الإنجيل. وكلٌّ منها يدَّعي بأنَّه الدِّين الحقّ. عندها تساءلت: «هل يتوجَّب عليَّ أن أبقى على دين عائلتي، أم أنِّي يجب أن أُجرِّب الاستماع إلى الأديان الأخرى؟».

وفي أحد الأيام دعاني ابن عمي لحضور عيد الخميس في الكنيسة. كان دافعي هو مشاهدة ما يفعلونه داخل كنيستهم. فشاهدت كيف كانوا يغنُّون، ويصفِّقون، ويرقصون، ويبكون رافعين أيديهم في دعائهم ليسوع (عليه السَّلام). وقام الراهب بالوعظ بخصوص الإنجيل. ثم ذكر الفقرات الأكثر شيوعاً، والَّتي يقتبسها كلُّ المبشِّرين، وهي تلك الَّتي تتعلَّق بأُلوهيَّة المسيح (عليه السَّلام)، مثل: يوحنا 1:12، ويوحنا 3:16، ويوحنا 8:31 ـ 32. وفي ذلك الوقت، ولدت من جديد كمسيحيّ، وقَبِلْتُ يسوع المسيح (عليه السَّلام) كإلهي ومُخلِّصي.

كان أصدقائي يزورونني كلَّ يومٍ للذهاب إلى الكنيسة. وبعد شهرين تمَّ

تعميدي، فأصبحت عضواً منتظماً في صلاتهم. وبعد مرور خمسة أعوام، أقنعني راهبنا بالعمل في الكهنوت كعامل متطوِّع. وبعد ذلك أصبحت المنشد الرئيسي، ثم القائد في الصَّلاة، ثم معلِّماً في مدرسة الأحد، ثم أصبحت أخيراً راهباً رسميّاً في الكنيسة. وكان عملي خاضعاً لبعثة التبشير الإنجيليِّة القرويَّة الحرَّة (F.R.E.E). وهي بعثةٌ تبشيريَّة مثل بعثة «يسوع هو الله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٠)، و«الناصري»، و«خبز الحياة»، إلخ.

بدأت تعليم الناس الإنجيل وتعاليمه. وقرأت الإنجيل مرَّتين من الغلاف إلى الغلاف. وأجبرت نفسي على حفظ أجزاءٍ منه عن ظهر قلبٍ من أجل الدِّفاع عن الدِّين الَّذي كنت أُومن به. وأصبحت فخوراً بنفسي لهذا المنصب الَّذي حظيت به. وكنت غالباً ما أقول لنفسي بأنِّي لا أحتاج إلى أيِّ تعاليم أو نصوص أخرى عدا الإنجيل. ولكن مع ذلك، كان هناك فراغٌ روحيٌّ في داخلي. صلَّيت، وصُمْت، واجتهدت لإرضاء مشيئة الإله الَّذي كنت أعبده، ولم أكن أجد السعادة إلا عندما كنت أتواجد في الكنيسة. لكن هذا الشعور بالسعادة لم يكن مستمرّاً، وحتى عندما كنت أتواجد مع عائلتي. ولاحظت أيضاً أنَّ بعض أصدقائي من الرُّهبان ماديُّون. فهم يغمسون أنفسهم في الشهوة الجسديَّة ـ كالعلاقات المحرَّمة مع النِّساء ـ والفساد، وتعطُّشهم للشهرة.

وعلى الرغم من كلِّ ذلك فقد واصلت ـ وبطريقةٍ عمياء ـ اعتناقي الدِّين بقوَّة. وذلك لأنِّي كنت أعرف ـ وحسب ما تقوله التعاليم ـ «بأنَّ الكثيرين يُدْعَوْن، ولكنَّ القليل منهم يُخْتارون». كنت دوماً أُصلي ليسوع المسيح (عليه السَّلام) ليغفر لي ذنوبي وكذلك ذنوبهم. فقد كنت أظنُّ بأنَّه (عليه السَّلام) هو الحلُّ لكلِّ مشكلاتي ولذلك فإنَّه يستطيع الاستجابة لكلِّ دعائي.

مع ذلك ـ وبالنظر إلى حياة زملائي من الرُّهبان ـ فإنَّك لا تستطيع أن تجد بينهم أمثلةً جيِّدةً مُقارنةً بالرعيَّة الَّتي يعظونها. وهكذا بدأ إيماني يخفت، وناضلت بصعوبة بالغة على العمل في خدمة الصَّلاة الجماعيَّة.

في أحد الأيام، فكرت في السفر إلى الخارج، وليس ذلك من أجل العمل فقط، بل وأيضاً من أجل نشر اسم يسوع كإله - أستغفر الله العظيم - وكان في خطتي الذهاب إمَّا إلى تايوان أو كوريا إلا أنَّ مشيئة الله تعالى كانت في حصولي على تأشيرة عملٍ في المملكة العربيَّة السعوديَّة. ووقَّعت في الحال عقداً لمدَّة ثلاثة أعوام للعمل في جدَّة.

بعد أسبوع من وصولي جدَّة، لاحظت أسلوب الحياة المختلف، كاللغة، والعادات والتقاليد، حتى الطعام الذي يأكلونه. فقد كنت جاهلاً تماماً بثقافات الآخرين.

الحمد لله؛ فقد حدث أن كان معي زميلٌ فلبينيٌّ في المصنع، وهو مسلمٌ يتكلَّم العربيَّة. لذلك ومع أنِّي كنت متوتِّراً إلا أنِّي حاولت سؤاله عن المسلمين، وعن دينهم ومعتقداتهم. فقد كنت أعتقد بأنَّ المسلمين من عُتاةِ القَتَلة، وأنَّهم يعبدون الشيطان والفراعنة ومحمَّداً (صلى الله عليه وآله وسلَّم) كآلهةٍ لهم. وحدَّثته عن إيماني بالمسيح (عليه السَّلام). وكردٍّ فعلٍ على ذلك أخبرني أنَّ دينه يختلف تماماً عن ديني. واقتبس آيتيْن من القرآن الكريم. الأولى من سورة المائدة وهي الآية الثالثة الَّتي جاء فيها: ﴿.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً..﴾ (المائدة: ٣).

والأخرى من سورة يوسف: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠).

هاتان الآيتان أصبنني بصدمة قويَّة. بعد ذلك بدأت بملاحظة حياته. وكلَّ يومٍ كنَّا نتحدث كلٌّ عن دينه، حتى أصبحنا في النِّهاية صديقيْن حميميْن. وفي إحدى المناسبات ذهبنا إلى البلد (المنطقة التجاريَّة من جدَّة) لإرسال بعض الرسائل. وهناك حدث أن رأيت جمهرةً من أُناسٍ كثيرين يشاهدون فيلم فيديو

لمناظرةٍ لأحد أفضل «المبشِّرين» لديّ. أخبرني صديقي المسلم بأنَّ هذا الَّذي أدعوه «بأفضل مبشِّرٍ لديّ» كان الشيخ أحمد ديدات، وهو داعيةٌ إسلاميٌّ مشهور. فأخبرته بأنَّ رهباننا في الوطن جعلونا نعتقد بأنَّه «مبشِّرٌ عظيمٌ» فقط؛ وأخفوا عنَّا شخصيَّته الحقيقيَّة بأنَّه داعيةٌ مسلم! ومهما كانت نيَّتهم، فإنَّها بالتأكيد كانت لإبعادنا عن معرفة الحقيقة. وعلى الرغم ممَّا عرفته، فقد اشتريت أشرطة الفيديو، وبعض الكتب أيضاً لأقرأ عن الإسلام.

وفي مكان إقامتنا، حدَّثني صديقي عن قصص الأنبياء. وكنت حقيقةً مُقتنعاً، لكنَّ كبريائي أبقاني بعيداً عن الإسلام.

وبعد مُضيٍّ سبعة أشهر، حضر إليَّ في غرفتي صديقٌ آخر ـ وهو مسلمٌ من الهند ـ وأعطاني نسخةً من ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزيَّة. وفيما بعد قادني إلى البلد، ثم اصطحبني إلى المركز الإسلاميّ. قابلت هناك أحد الإخوة الفلبينيِّين؛ ودار بيننا نقاشٌ حول بعض المسائل الدينيَّة، وقام بربط ذلك بمقارنةٍ لحياته قبل الإسلام ـ حين كان مسيحيّاً ـ وبعده؛ ثم شرح لي بعض تعاليم الإسلام.

وفي تلك الليلة المباركة، في الثامن عشر من نيسان لعام 1998 ـ وبلا إكراه ـ دخلت الإسلام أخيراً. وأعلنت دخولي الإسلام بترديد الشهادتين.

الله أكبر!

كنت سابقاً أتَّبع ديناً أعمى، أمَّا الآن فإنِّي أرى الحقيقة بأنَّ الإسلام هو الطريقة الأفضل والكاملة للحياة المصممة لكلِّ البشريَّة. الحمد لله ربِّ العالمين.

وأدعو الله تعالى أن يغفر لنا كلَّ جهلنا بخصوص الإسلام، وأن يهديَنا سبحانه وتعالى صراطه المستقيم الَّذي يقود إلى الجنَّة.. آمين.

8ـ عالم الرياضيات والمنصر السابق الدكتور الكَنَدي: جاري ميلر

أستاذ للرياضيات بجامعة فهد للبترول والمعادن اسمه جاري ميلر.. كندي الأصل.. كان قسيساً يدعو للنصرانية وبعد أن مَنَّ الله عليه بالإسلام وقف يخطب في الناس قائلاً:

«أيها المسلمون، لو أدركتم فضل ما عندكم على ما عند غيركم لحمدتم الله أن أنبتكم من أصلاب مسلمة ورباكم في محاضن المسلمين وأنشأكم على هذا الدين العظيم، إن معنى النبوة.. معنى الألوهية.. معنى الوحي.. الرسالة.. البعث.. الحساب.. كل تلك المعاني ـ عندكم وعند غيركم ـ فرق ما بين السماء والأرض».

ثم يضيف قائلاً: «لقد جذبني لهذا الدين وضوح العقيدة، ذلك الوضوح الذي لا أجده في عقيدة سواه».

وقصته مع الإسلام هي:

هذا أكبر داعٍ للنصرانية يعلن إسلامه وتحول إلى أكبر داعٍ للإسلام في كندا، كان من المبشرين الناشطين جداً في الدعوة إلى النصرانية وأيضاً هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس Bible.

هذا الرجل يحب الرياضيات بشكل كبير.. لذلك يحب المنطق أو التسلسل المنطقي للأمور.

في أحد الأيام أراد أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوته للمسلمين للدين النصراني.. كان يتوقع أن يجد القرآن كتاباً قديماً مكتوباً منذ 14 قرنا يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك.. لكنه ذهل مما وجده فيه.. بل واكتشف أن هذا الكتاب يحتوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم.

كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها أو وفاة بناته وأولاده.. لكنه لم يجد شيئا من ذلك.. بل الذي جعله في حيرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم وفيها تشريف لمريم عليها السلام لا يوجد مثيل لها في كتب النصارى ولا في أناجيلهم!!

ولم يجد سورة باسم فاطمة أو عائشة رضي الله عنهما.

وكذلك وجد أن عيسى عليه السلام ذكر بالاسم 25 مرة في القرآن في حين أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا 4 مرات فقط فزادت حيرة الرجل.

أخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذا عليه.... ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة ألا وهي الآية رقم 82 في سورة النساء:

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾.

يقول الدكتور ميلر عن هذه الآية: «من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها Falsification Test..

والعجيب أن القرآن الكريم يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه ولن يجدوا».

يقول أيضا عن هذه الآية: لايوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتابا ثم يقول هذا الكتاب خالٍ من الأخطاء ولكن القرآن على العكس تماماً يقول لك لا يوجد أخطاء بل ويعرض عليك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد.

أيضا من الآيات التي وقف الدكتور ميلر عندها طويلا هي الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء:

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول: «إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عام 1973 وكان عن نظرية الانفجار الكبير وهي تنص أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سماوات وكواكب. فالرتق هو الشيء المتماسك في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك فسبحان الله».

يقول الدكتور ميلر: «الآن نأتي إلى الشيء المذهل في أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم والادعاء بأن الشياطين هي التي تعينه والله تعالى يقول:

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (الشعراء الآية: ٢١٠ ـ ٢١٢).

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨).

أرأيتم؟؟ هل هذه طريقة الشيطان في كتابة أي كتاب؟؟

يؤلف كتاباً ثم يقول قبل أن تقرأ هذا الكتاب يجب عليك أن تتعوذ مني؟؟

إن هذه الآيات من الأمور الإعجازية في هذا الكتاب المعجز! وفيها رد منطقي لكل من قال بهذه الشبهة.

ومن القصص التي أبهرت الدكتور ميلر ويعتبرها من المعجزات هي قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي لهب.

يقول الدكتور ميلر:

«هذا الرجل أبولهب كان يكره الإسلام كرهاً شديداً لدرجة أنه كان يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم أينما ذهب ليقلل من قيمة ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم، إذا رأى الرسول يتكلم إلى أناس غرباء فإنه ينتظر حتى ينتهي

الرسول من كلامه ليذهب إليهم ثم يسألهم ماذا قال لكم محمد؟ لو قال لكم أبيض فهو أسود ولو قال لكم ليل فهو نهار والمقصد أنه يخالف أي شيء يقوله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويشكك الناس فيه.

وقبل 10 سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها سورة «المسد»، هذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بمعنى آخر أن أبا لهب لن يدخل الإسلام.

وخلال عشر سنوات كاملة كل ما كان على أبي لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس ويقول «محمد يقول إني لن أسلم وسوف أدخل النار ولكني أعلن الآن أني أريد أن أدخل في الإسلام وأصبح مسلما!!، الآن ما رأيكم هل محمد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي إلهي؟».

لكنّ أبو لهب لم يفعل ذلك تماماً رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه لم يخالفه في هذا الأمر. يعني القصة كأنها تقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي لهب أنت تكرهني وتريد أن تهينني، حسنا لديك الفرصة أن تنقض كلامي!

لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات كاملة! لم يسلم ولم يتظاهر حتى بالإسلام!

عشر سنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الإسلام بدقيقة واحدة! ولكن لأن الكلام هذا ليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم لكنه وحي ممن يعلم الغيب ويعلم أن أبا لهب لن يسلم.

كيف لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أن أبا لهب سوف يثبت ما في السورة إن لم يكن هذا وحيا من الله؟؟

كيف يكون واثقا خلال عشر سنوات كاملة أن ما لديه حق لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟؟

لكي يضع شخص هذا التحدي الخطير ليس له إلا معنى واحد هذا وحي من الله.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (سورة المسد).

يقول الدكتور ميلر عن آية أبهرته لإعجازها الغيبي:

من المعجزات الغيبية القرآنية هو التحدي للمستقبل بأشياء لا يمكن أن يتنبأ بها الإنسان وهي خاضعة لنفس الاختبار السابق ألا وهو Falsification tests أو مبدأ إيجاد الأخطاء حتى تتبين صحة الشيء المراد اختباره، وهنا سوف نرى ماذا قال القرآن عن علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى.

القرآن يقول إن اليهود هم أشد الناس عداوة للمسلمين وهذا مستمر إلى وقتنا الحاضر، فأشد الناس عداوة للمسلمين هم اليهود.

ويكمل الدكتور ميلر:

إن هذا يعتبر تحديا عظيما ذلك أن اليهود لديهم الفرصة لهدم الإسلام بأمر بسيط ألا وهو أن يعاملوا المسلمين معاملة طيبة لبضع سنين ويقولون عندها:

ها نحن نعاملكم معاملة طيبة والقرآن يقول إننا أشد الناس عداوة لكم، إذن القرآن خطأ!، ولكن هذا لم يحدث خلال 1400 سنة!! ولن يحدث لأن هذا الكلام نزل من الذي يعلم الغيب وليس إنسان.

يكمل الدكتور ميلر:

هل رأيتم أن الآية التي تتكلم عن عداوة اليهود للمسلمين تعتبر تحديا للعقول!!

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة: ٨٢ ـ ٨٤).

وعموما هذه الآية تنطبق على الدكتور ميلر حيث إنه من النصارى الذي عندما علم الحق آمن ودخل الإسلام وأصبح داعية له...

وفقه الله.

يكمل الدكتور ميلر عن أسلوب فريد في القرآن أذهله لإعجازه:

بدون أدنى شك يوجد في القرآن توجه فريد ومذهل لايوجد في أي مكان آخر، وذلك أن القرآن يعطيك معلومات معينة ويقول لك: لم تكن تعلمها من قبل.

مثل:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: آية ٤٤).

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة هود: آية ٤٩).

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (سورة يوسف: آية ١٠٢).

يكمل الدكتور ميلر:

لايوجد كتاب ما يسمى بالكتب الدينية المقدسة بهذا الأسلوب، كل الكتب الأخرى عبارة عن مجموعة من المعلومات التي تخبرك من أين أتت هذه

المعلومات، على سبيل المثال الكتاب المقدس (الإنجيل المحرف) عندما يناقش قصص القدماء فهو يقول لك الملك فلان عاش هنا وهذا القائد قاتل عنا معركة معينة وشخص آخر كان له عدد كذا من الأبناء وأسماؤهم فلان وفلان.. إلخ.

ولكن هذا الكتاب (الإنجيل المحرف) دائماً يخبرك إذا كنت تريد المزيد من المعلومات يمكنك أن تقرأ الكتاب الفلاني أو الكتاب الفلاني لأن هذه المعلومات أتت منه.

يكمل الدكتور جاري ميلر:

بعكس القرآن الذي يمد القارئ بالمعلومة ثم يقول لك هذه معلومة جديدة!! بل ويطلب منك أن تتأكد منها إن كنت مترددا في صحة القرآن بطريقة لا يمكن أن تكون من عقل بشر!! والمذهل في الأمر هو أهل مكة في ذلك الوقت - أي وقت نزول هذه الآيات - ومرة بعد مرة كانوا يسمعونها ويسمعون التحدي بأن هذه معلومات جديدة لم يكن يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم ولا قومه، بالرغم من ذلك لم يقولوا: هذا ليس جديداً بل نحن نعرفه، أبدا لم يحدث أن قالوا مثل ذلك ولم يقولوا: نحن نعلم من أين جاء محمد بهذه المعلومات، أيضا لم يحدث مثل هذا، ولكن الذي حدث أن أحدا لم يجرؤ على تكذيبه أو الرد عليه لأنها فعلا معلومات جديدة كلياً!!! وليس من عقل بشر ولكنها من الله الذي يعلم الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل.

جزاك الله خيراً يا دكتور ميلر على هذا التدبر الجميل لكتاب الله في زمن قل فيه التدبر.

وهذا هو مقاله كاملاً بعنوان «القرآن العظيم»:

نبذة عن المؤلف الدكتور جاري ميلر (عبدالأحد عمر) عالمٌ في الرياضيات واللاهوت المسيحيٍّ ومُبشِّرٌ سابق. يُبيِّن كيف أنَّه بإمكاننا تأسيس إيمانٍ صحيحٍ

بوضع معايير للحقيقة. ويصوِّر طريقةً مُبسَّطة وفعالةً لإيجاد الاتجاه الصحيح أثناء البحث عن الحقّ.

وقد كان الدكتور ميلر في إحدى فترات حياته نشطاً في التبشير المسيحيّ، ولكنَّه بدأ مبكِّراً باكتشاف تناقضات كثيرةٍ في الإنجيل. وفي سنة 1978، حصل أن قرأ القرآن الكريم مُتوقِّعاً بأنَّه أيضاً سيحوي خليطاً من الحقيقة والزَّيْف. لكنَّه ذهل باكتشافه أنَّ رسالة القرآن الكريم كانت مُطابقةً لنفس جوهر الحقيقة الَّتي استخلصها من الإنجيل. فدخل الإسلام، ومنذئذ أصبح نشطاً بتقديمه للناس، بما في ذلك استخدام المذياع والبرامج التلفازيَّة. وهو أيضاً مؤلِّفٌ لعديد من المقالات والنشرات الإسلامية، نذكر منها: «ردٌّ موجَزٌ على المسيحيَّة ـ وجهة نظر المسلم»، و«القرآن العظيم»، و«خواطر حول (براهين) أُلوهيَّة المسيح»، و«أُسُسُ عقيدة المسلم»، و«الفرق بين الإنجيل والقرآن»، و«المسيحيَّة التبشيريَّة ـ تحليلٌ لمسلم».

المقـــال:

وَصْفُ القرآن بالعظيم ليس شيئاً يفعله المسلمون فقط ـ وهم الَّذين يُقدِّرون هذا الكتاب حقَّ قَدْره، وهم به جِدُّ سعداء ـ بل إنَّ غير المسلمين أيضاً قد صنَّفوه ككتابٍ عظيم. وحقّاً، حتى أولئك الَّذين يكرهون الإسلام كُرهاً شديداً لايزالون يدعونه عظيماً.

أحد الأشياء الَّتي تفاجئ غير المسلمين الَّذين يتفحَّصون هذا الكتاب عن قُرب، هو أنَّ القرآن لا يتكشَّف لهم كما كانوا يتوقَّعون. فما يفترضونه هو أنَّ بين أيديهم كتاباً قديماً جاء من الصَّحراء العربيَّة قبل أربعة عشر قرناً، ويتوقَّعون بأنَّه بالضرورة يحمل نفس الانطباع ـ كتابٌ قديمٌ من الصَّحراء. لكنَّهم بعدئذٍ يجدون بأنَّه لا يشبه مُطلقاً ما كانوا يتوقَّعون.

بالإضافة إلى ذلك، واحدٌ من أوَّل الأشياء الَّتي يفترضها بعض النَّاس هو أنَّ

هذا الكتاب القديم، ولأنَّه جاء من الصَّحراء، فإنَّه بالضَّرورة يتحدَّث عن الصَّحراء. حسناً، فالقرآن يتحدَّث عن الصَّحراء في بعض مجازاته اللغويَّة الَّتي تصف الصَّحراء؛ ولكنَّه أيضاً يتحدَّث عن البحر، ولقد صوَّر لنا كيف تكون العاصفة على سطح البحر.

قبل بضع سنوات، وصلتنا قصَّةٌ إلى تورنتو (كندا) عن رجلٍ كان بحَّاراً في الأسطول التجاريّ، ويكسب رزقه من عمله في البحر. أعطاه أحد المسلمين ترجمةً لمعاني القرآن الكريم ليقرأها، ولم يكن هذا البحَّار يعرف شيئاً عن تاريخ الإسلام، لكنَّه كان مهتمّاً بقراءة القرآن الكريم. وعندما أنهى قراءته، حمله وعاد به إلى المسلم الَّذي أعطاه إياه، وسأله: «مُحمَدٌ هذا (صلى الله عليه وآله وسلَّم)، أكان بحَّاراً؟» فقد كان الرجل مندهشاً من تلك الدِّقَّة الَّتي يصف بها القرآن العاصفة على سطح البحر. وعندما جاءه الردُّ: «لا، في الحقيقة لم يكن. فمحمَّدٌ (صلى الله عليه وآله وسلَّم) عاش في الصَّحراء». لقد كان هذا كافياً له ليُعلن إسلامه على الفور. لقد كان مُتأثِّراً جدّاً بالوصف القرآنيِّ للعاصفة البحريَّة. لأنَّه بنفسه كان مرَّةً في خِضَمِّها، وكان لذلك يعلم أنَّه أيّاً من كان الَّذي كتب هذا الوصف، فإنَّه لا بُدَّ وقد عاش هذه العاصفة بنفسه. فالوصف الَّذي جاء في القرآن عن العاصفة لم يكن شيئاً يستطيع أن يكتبه أيُّ كاتبٍ من محض خياله. والموج الَّذي من فوقه موجٌ من فوقه سحاب لم يكن شيئاً يمكن لأحدهم تخيُّله والكتابة عنه، بل إنَّه وصفٌ كتبه من يعرف حقّاً كيف تبدو العاصفة البحريِّة.

هذا مثلٌ واحدٌ على أنَّ القرآن ليس مرتبطاً بزمان أو مكان. ومن المؤكد أنَّ الإشارات العلميَّة الَّتي يُعبِّر عنها لا يمكن أن يكون أصلها من الصَّحراء قبل أربعة عشر قرناً مضت.

لقرون عدَّةٍ قبل ظهور رسالة محمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، كانت هناك نظريَّةٌ معروفةٌ عن الذرَّة وضعها الفيلسوف اليوناني ديموقريتوس. فهذا

الفيلسوف والَّذين جاءوا من بعده افترضوا أنَّ المادَّة تتكوَّن من دقائق صغيرةٍ غير مرئيَّةٍ وغير قابلة للانقسام تسمى الذرَّات. وكان العرب أيضاً قد أَلِفُوا هذا المفهوم، فكانت في الواقع كلمة «ذرَّة» في العربيَّة تعني أصغر جزءٍ كان معروفاً للإنسان.

أمَّا الآن فإنَّ العلم الحديث قد اكتشف بأنَّ هذه الوحدة الأصغر للمادَّة ـ وهي الذرَّة الَّتي تحمل نفس خصائص المادة الَّتي تنتمي إليها ـ يمكن تقسيمها إلى مُكوِّناتها. وهذه حقيقةٌ جديدةٌ تُعدُّ نتاجاً للتطوُّر في القرن الماضي. فمن المثير جدّاً للاهتمام أنَّ هذه المعلومة كانت قد وُثِّقت فعلاً في القرآن الكريم قبل ذلك بأربعة عشر قرناً، والَّذي يقول الله تعالى فيه:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: ٦١).

فبلا أدنى شك أنَّ مثل هذا التصريح لم يكن شيئاً مألوفاً حتَّى لعربيٍّ في ذلك الوقت. فبالنسبة له كانت الذرَّة هي أصغر شيءٍ موجود. وهذا حقّاً دليلٌ على أنَّ القرآن لم يعف عليه الزَّمن.

مثالٌ آخرٌ على ما يمكن أن يتوقَّع المرء إيجاده في «كتاب قديمٍ» يتعرَّض لموضوع الصحة أو الطب، أنَّ ما فيه من المعلومات ستكون قديمةً وقد عفا عليها الزَّمن. مصادر تاريخيَّةٌ عديدةٌ تقول بأنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أعطى نصائح بخصوص الصحة والنظافة لكنَّ مُعظم هذه النصائح (الأحاديث الشريفة) لم تَرِد في القرآن. وللوهلة الأولى يبدو هذا لغير المسلمين إهمالاً لا يُمكن التهاون فيه. فهم لا يستطيعون أن يفهموا لماذا لم يُوحِ الله (سبحانه وتعالى) في القرآن مثل هذه المعلومات المفيدة. بعض المسلمين يحاولون توضيح غياب هذه المعلومات من القرآن بالحجَّة التالية: «على الرغم من أنَّ نصائح رسول

الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كانت مناسبةً للوقت الَّذي عاش فيه، فإنَّ الله سبحانه وتعالى كان يعلم في حكمته اللامحدودة أنَّه سيحدث في الأزمان اللاحقة تطوُّراتٌ علميَّةٌ وطبيَّةٌ قد تجعل إرشادات النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) تبدو وكأنهَّا قد عفا عليها الزَّمن. فعندما تظهر الاكتشافات لاحقاً، من الممكن أن يقول النَّاس بأنَّها تتعارض مع ما قاله النبيُّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لذلك، وحيث إنَّ الله تعالى لم يكن أبداً لُيعطي لغير المسلمين أيَّ فرصةٍ ليدَّعوا بأنَّ القرآن يناقض نفسه، أو يناقض أقوال النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلَّم)، فقد أوحي في القرآن المعلومات والأمثلة الَّتي تستطيع أن تصمد أمام كلِّ اختبارات الزَّمن».

علي أيَّة حال، عندما يتفحَّص المرء الواقع الحقيقيَّ للقرآن الكريم، وبخصوص وجوده كوحي من الله تعالى، فإنَّ المسألة كلَّها سرعان ما تظهر في منظورها المناسب. والخطأ في مثل حُجَّة غير المسلمين تلك يصبح واضحاً ومفهوماً. فلا بُدَّ أن يكون مفهوماً بأنَّ القرآن وحي من الله تعالى، وبما أنَّه كذلك فإنَّ كل المعلومات الواردة فيه ذات أصل إلهيّ، وأنَّ الله تعالى قد أوحى به من ذاته سبحانه وتعالى، فهو كلامه سبحانه وتعالى الموجود من قبْل الخليقة، وهكذا فلا يمكن لشيءٍ فيه أن يُضاف أو يُحذف أو يُعدَّل. فالقرآن في جوهره كان موجوداً وكاملاً من قبْل خلق النبيِّ مُحمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، لذلك لم يكن من الممكن أن يحوي أيّاً من كلمات أو نصائح النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) الخاصَّة، وتضمين مثل هذه المعلومات كانت ستناقض الهدف الَّذي من أجله نزل القرآن، وتعرِّض مرجعيَّته للشُّبهة، وتجعله غير موثوقٍ به كوحيٍ من الله تعالى.

وبناءً على ذلك لم يكن هناك «وصفاتٌ علاجيةٌ بيتيَّةٌ» في القرآن يمكن أن يُدَّعي بأنَّها تقادمت مع مرور الزَّمن؛ ولم يتضمَّن وجهة نظر أيٍّ كان فيما يتعلَّق

بالمنفعة الصحيَّة، أو أيِّ الطعام هو الأفضل للأكل، أو ما هو العلاج لهذا أو ذاك المرض. في الواقع، لقد ذكر القرآن شيئاً واحد فقط له علاقة بالعلاج الطبيّ، وهذا لا يعارضه أحد، حيث يرشدنا الله تعالى أنَّ في العسل شفاءً للنَّاس، ولا أظنُّ أنَّ هناك من يمكنه أن يعارض ذلك!

إذا افترض أحد النَّاس بأنَّ القرآن الكريم من نتاج العقل البشري، فإنَّه سيتوقَّع أنَّه سيعكس ما كان يجول في عقل ذاك الإنسان الَّذي ألَّفه. وهناك حقًّا بعض الموسوعات والكتب المختلفة الَّتي تدَّعي بأنَّ القرآن الكريم كان من نتاج هَلْوساتٍ كان النبيُّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) يمرُّ بها. فإذا كانت هذه الادِّعاءات صحيحة ـ أي إذا كان القرآن الكريم فعلاً قد أُلِّفَ نتيجةً لبعض المشكلات النفسيَّة عند النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ـ فإنَّ الدَّليل على ذلك يجب أن يكون ظاهراً جليّاً فيه. فهل لِمِّثل هذا الدَّليل وجود؟ ولكي نحدِّد وجود هذا الدَّليل من عدمه، فإنَّه يجب علينا أوَّلاً أن نتعرَّف على الأمور الَّتي كانت تدور في ذهنه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في ذلك الوقت، وعندئذٍ يتمُّ البحث عن هذه الأفكار وانعكاساتها في القرآن الكريم.

من المعروف أنَّ حياة النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كانت صعبةً جدّاً. فكلُّ بناته (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) توفين قبله عدا واحدة، وكانت لديه (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) لسنوات عديدة زوجةٌ حبيبةٌ إلى قلبه، وكانت عنده من الأهميَّة بمكان (رضي الله عن أُمِّنا خديجة)، وقد فُجِعَ بموتها في مرحلةٍ حرجة من مراحل حياته. ويقيناً أنَّها كانت امرأةً حقّاً، وبكلِّ ما في الكلمة من معنى. لأنَّه (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) ـ وعندما جاءه الوحي لأوَّل مرَّة ـ ذهب إليها مسرعاً يرتعد خوفاً. من المؤكَّد أنَّنا ـ وحتَّى في أَيَّامنا هذه ـ لا يمكن أن نجد ببساطة بين العرب من يقول: «لقد كنت خائفاً جدّاً لدرجة أنِّي ركضت هارباً إلى زوجي»، لأن العرب ببساطةٍ ليسوا كذلك، ومع ذلك فإنَّ النبيَّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كان

يشعر براحة كافية مع زوجه لتكون لديه القُدْرة على فعل ذلك. هكذا كانت زوجه (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) امرأةً مؤثِّرةً وقويَّة (رضي الله عنها). ومع أنَّ هذه الأمثلة هي بعض ما كان في ذهن محمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) من أمور، إلا أنَّها كافية بقوَّاتها لتُثبت هذه المسألة.

فعلى الرغم من أنَّ هذه الأمور كان يجب أن تسود كغيرها، أو على الأقلِّ تُذكر في القرآن الكريم، إلا أنَّه لم يُذكر أيّاً منها ـ فلم تُذكر وفاة أولاده، ولا وفاة زوجه ورفيقته الحبيبة، ولا وصف خوفه من الوحي؛ ذلك الخوف الَّذي تقاسمه مع زوجه بتلك الطريقة الغاية في الجمال؛ لم يُذكر شيءٌ عن ذلك. مع أنَّ هذه الأمور لابُدَّ وأن تكون قد جرحته، وأزعجته، وسببت له الألم والحزن خلال مراحل حياته النفسيَّة (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام).

إنَّ فهم القرآن الكريم بطريقةٍ علميَّةٍ حقيقيَّةٍ ممكنٌ للغاية، وذلك لآنَّ القرآن الكريم يقدِّم شيئاً لا تقدِّمه الكتب السماويَّة الأخرى خاصَّة أو الأديان الأخرى عامَّة. إنَّ في القرآن ما يطلبه العلماء. هناك الكثير في هذه الآيَّام ممَّن لديهم نظريَّاتٌ عن طريقة عمل الكون، إنَّهم في كلِّ مكان من حولنا، لكنَّ مجتمع أهل العلم لا يكلِّف نفسه حتَّي بالاستماع إليهم. وذلك لأنَّ المجتمع العلميَّ ـ وخلال القرن الماضي ـ وضع شرطاً لقبول مناقشة النظريَّات الجديدة، وهو ما يُسمَّي "اختبار الزَّيف (أو الخطأ)". فهم يقولون: "إن كانت لديك نظريَّة، فلا تزعجنا بها حتى تحضر لنا مع هذه النظريَّة طريقةَ ما يُثبت إن كنت على صوابٍ أم على خطأ".

مثل هذا الاختبار كان بالتأكيد هو السبب الَّذي جعل العلماء يستمعون لأينشتاين في مطلع هذا القرن. لقد جاء بنظريَّةٍ جديدة، وقال: "أنا أعتقد بأنَّ الكون يعمل بهذه الطَّريقة، وهاهي ثلاث طُرقٍ لتُثبت إنْ كنت مخطئاً!" بعدئذٍ وضع العلماء نظريَّته تحت الاختبار لمدَّة ستٍّ سنوات، فنَجَحَتْ في اجتياز

الاختبارات، وبالطُّرق الثَّلاث كلِّها. طبعاً، هذا لم يثبت أنَّه كان عظيماً، بل أثبت فقط أنَّه يستحقُّ أنْ يُستمع له، لأنَّه قال: "هذه هي نظريَّتي، وإنْ أردتم إثبات أنِّي مخطئٌ فافعلوا هذا أو جرِّبوا ذاك". وهذا هو بالضَّبط ما يقدِّمه القرآن الكريم - اختباراتٌ للزَّيف. بعض هذه الاختبارات أصبحت مفروغاً منها حيث إنَّها أثبتت صحَّتها، والبعض الآخر لا يزال قائماً إلى يومنا هذا. إنَّ القرآن يشير أساساً إلى أنَّه إذا لم يكن هذا الكتاب هو ما يدَّعيه، فما عليكم إلا أن تفعلوا هذا أو ذاك لتثبتوا أنَّه مُزيَّف. وخلال ألفٍ وأربعمائة سنة مرَّت لم يستطع أحد بالطبع أن يفعل هذا أو ذاك فيثبت ذلك، لذلك لا يزال يعتبر صحيحاً وأصيلاً.

أنا أقترح عليكم أنَّه إذا أراد أحدكم أن يدخل في مناظرةٍ حول الإسلام مع أحد غير المسلمين الَّذين يدَّعون أنَّ لديهم الحقيقة وأنَّكم على الباطل، أن يضع بدايةً كلَّ الحُجَجِ الأخرى جانباً وأن يسأله ما يلي: "هل يوجد أيُّ اختبار للزَّيف في دينك؟ هل يوجد في دينك ما يمكن أن يُبيِّن أنَّكم على خطأ إن استطعت أنا أن أُثبت ذلك؛ هل يوجد أيُّ شيء؟! حسناً، أستطيع أن أعدك منذ الآن أنَّه لن يكون لدى أيٍّ منهم أيُّ اختبار أو إثبات؛ لا شيء! وذلك لأنَّهم ليس لديهم أدنى فكرةٍ أنَّه يتوجَّب عليهم حين عرضهم ما يؤمنون به علي النَّاس أن يقدِّموا لهم الفرصة لإثبات أنَّهم مخطئون إن استطاعوا. ومع هذا، فإنَّ الإسلام يقدِّم لهم ذلك. ومثالٌ رائعٌ علي كيفيَّة تزويد القرآن الكريم الإنسان بفرصةٍ ليتثبَّت من أصالته، وأن (يثبت زيفه) جاء في السُّورة الرابعة. وأقول بصدق إنِّي كنت مندهشاً حين اكتشفت هذا التحدِّي لأوَّل مرَّة.

يقول الله تعالي: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

فهذا يمثِّل تحدِّياً واضحاً لغير المسلمين، لأنَّه (وبطريقةٍ غير مباشرة) يدعوهم لإيجاد أيِّ خطأ.

وحقّاً - إن وضعنا الجديَّة أو الصُّعوبة في هذا التحدِّي جانباً - فإنَّ تقديم مثل هذا التحدِّي - في المقام الأوَّل - ليس حتَّي من طبيعة البشر، فهو يتعارض مع تكوين الشخصيَّة البشريَّة.

فالإنسان لا يتقدَّم لاختبارٍ في المدرسة، ثمَّ بعد إنهاء الاختبار يكتب ملحوظةً للمُصَحِّح يقول فيها: "هذه الإجابات مثاليَّة، ولا يوجد فيها أيُّ خطأ. فأوجد خطأً واحداً إن استطعت!».

فالإنسان ببساطةٍ لا يفعل ذلك. فذاك المعلِّم ما كان ليذوق طعم النَّوم حتى يجد خطأً ما! ومع ذلك فإنَّ هذه هي الطَّريقة الَّتي يصل بها القرآن إلى النَّاس.

موقفٌ آخرُ مثيرٌ للدَّهشة يتكرَّر في القرآن كثيراً، ويتعامل مع نُصح القارئ. فالقرآن يُعَلِمُ القارئ عن حقائق مختلفةٍ ثمَّ يُعطيه النَّصيحة بأنَّه إن كان يريد أن يعرف أكثر عن هذا أو ذاك، أو أن كان يشكُّ فيما قيل، فما عليه عندئذٍ إلا أن يسأل أولئك الَّذين يملكون العلم والمعرفة. وهذا موقفٌ مدهش، فمن غير المعتاد أن يُؤلَّف كتابٌ من قِبَلِ إنسانٍ لا يملك أيَّ خلفيةٍ جغرافيَّة، أو نباتية، أو أحيائيَّة.. إلخ، ويبحث فيه مثل هذه الموضوعات، وبعدئذٍ ينصح القارئ بأن يسأل أهل العلم إن كان في رَيْب من شيء. يقول الله تعالى في القرآن العظيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧).

في كلِّ عصرٍ من العصور السابقة - وحتَّى الآن - كان هناك علماء مسلمون يتتبَّعون إرشادات القرآن، وقد توصَّلوا إلى اكتشافاتٍ مذهلة. فإذا نظر أحدنا إلى أعمال العلماء المسلمين لعصورٍ عديدةٍ مضت، فيسجد أنَّهم كانوا ممتلئين بالاستشهادات القرآنية. فأعمالهم تُبيِّن أنَّهم قاموا بالبحث في مكانٍ ما عن شيءٍ مَّا، وقد أكَّدوا أنَّ سبب بحثهم في مثل هذا المكان أو ذاك بالذَّات لأنَّ القرآن أرشدهم في ذلك الاتجاه. فمثلاً يشير القرآن إلى خلق الإنسان، ثمَّ يحثُّ القارئ

على البحث في ذلك! فهو يعطي القارئ لمحةً أين يبحث، ويخبره بأنَّه سيجد معلوماتٍ أكثر عن ذلك. وهذه هي نوعيَّة الأشياء الَّتي يبدو أنَّ المسلمين اليوم يبحثونها بتوسُّع، والمثل التالي يصوِّر ذلك، مع مراعاة أنَّ ذلك لا يحدث باستمرار؛ وأنَّه لا يحدث دائماً بنفس الطريقة.

قبل عدَّة سنوات، قام بعض المسلمين من الرِّياض - في المملكة العربية السعوديَّة - بجمع كلِّ الآيات القرآنية التي تتحدَّث عن علم الأَجنَّة، وهو العلم الَّذي يدرس مراحل نموِّ الجنين في الرَّحم؛ ثمَّ قالوا: "هذا ما يقول القرآن الكريم. فهل هو حقّ؟" في الحقيقة، لقد أخذوا بنصيحة القرآن الكريم: «فاسألوا أهل الذِّكر إن كنتم لا تعلمون". وحصل أن اختاروا أستاذاً جامعيّاً وهو مؤلِّفٌ للعديد من الكتب في علم الأجنَّة، ويُعدُّ من الخبراء العالميِّين المُبرَّزين في هذا المجال. وجَّهوا له الدَّعوة إلى الرِّياض، ثمَّ قالوا له: "هذا ما يقول القرآن الكريم فيما يخصُّ تخصُّصَكم. فهل هو صحيح؟" ماذا تستطيع أن تخبرنا عن ذلك؟" وأثناء إقامته في الرِّياض، قدَّموا له كلَّ المساعدة الَّتي احتاجها في الترجمة وكلَّ العون الَّذي كان يطلبه. لقد كان مذهولاً جدّاً بما وجد بحيث إنَّه غيَّر بعض النُّصوص في كتبه. في الواقع، قام في الطبعة الثانية لكتابه (قبل أن نولد)، وفي الطبعة الثانية من (تاريخ علم الأجنَّة) بإضافة بعض المواد الَّتي لم تكن موجودة في الطبعة الأولى، وذلك لما وجده في القرآن الكريم. وحقّاً فإنَّ هذا يُصوِّر بوضوح أن القرآن الكريم سابقٌ لزمانه، وأنَّ أولئك الَّذين يؤمنون به يعرفون ما لا يعرفه الآخرون.

لقد كان من دواعي سروري أنِّي أجريت لقاءً تلفازيّاً مع الدكتور كيث موور، وتحدَّثنا مُطوَّلاً حول هذا الموضوع، وكان ذلك بالاستعانة بالصور التوضيحيَّة وغيرها. وقد ذكر بأنَّ بعض الأشياء الَّتي ذكرها القرآن الكريم عن نموِّ الإنسان لم تكن معروفةً إلى ما قبل ثلاثين عاماً. لقد ذكر في الواقع موضوعاً مُعيَّناً

بشكل خاص، وهو وصف القرآن الكريم للإنسان "بالعلقة" في إحدى مراحل نموِّه، وأنَّ هذاالوصف كان جديداً بالنسبة إليه، ولكنَّه عندما تفحَّص الأمر وجده حقيقة، وهكذا أضافه إلى كتابه. لقد قال: «لم يخطر ببالي ذلك أبداً من قبل". ولهذا فقد ذهب إلى قسم علم الحيوان وطلب صورة للعلقة. وعندما وجد أنَّها تشبه الجنين تماماً في هذه المرحلة من النموّ، قرَّر أن يضع الصورتين في أحد كتبه (صورة الجنين وصورة العلقة).

بعد ذلك قام الدكتور موور أيضاً بتأليف كتاب عن علم الأجنَّة السريريٍّ، وعندما نشر هذه المعلومات في تورونتو سبَّبت ضجَّةً كبيرةً في كلِّ أنحاء كندا. لقد كانت في بعض الصُّحف على الصَّفحات الأولى وفي جميع أنحاء كندا، وبعض العناوين الرئيسيَّة كانت شديدة الطَّرافة. فمثلاً، كان أحد العناوين الرئيسيَّة يقول: «شيءٌ مدهشٌ وُجدَ في كتابٍ قديم!» ويبدو واضحاً من هذا المثل أنَّ النَّاس لم يفهموا بوضوحٍ حول ماذا كانت كلُّ تلك الضجَّة. وأحد الأمور التي حدثت حقّاً أنَّ أحد الصحفيين سأل الدكتور موور: «ألا تعتقد أنَّ العرب ربَّما كانوا يعرفون هذه المعلومات عن هذه الأشياء، أي عن وصف الجنين، وعن شكله وكيف يتغيَّر وينمو؟ فربَّما لم يكن هناك علماء، ولكنَّهم ربَّما قاموا بشيءٍ من التشريح الوحشيِّ على طريقتهم - أي قاموا بتقطيع النَّاس وتفحُّص هذه الأشياء».

فأشار له الدكتور على الفور بأنَّه نسي شيئاً في غاية الأهميَّة، وهو أنَّ كلَّ صور الجنين الَّتي عُرضت في الفيلم قد جاءت من صورٍ أُخِذت عن طريق المجهر؛ وأضاف قائلاً: "ليست المسألة هي إنْ كان أحد النَّاس قد حاول اكتشاف علم الأجنَّة قبل أربعة عشر قرناً مضت، ولكنَّها في أنَّه لو حاول ذلك فإنَّه لم يكن باستطاعته رؤية شيءٍ على الإطلاق!".

فكلُّ ما يصفه القرآن الكريم عن شكل الجنين هو عندما يكون صغيراً جدّاً

ولا يُرى بالعين المجرَّدة، لذا فالمرء بحاجةٍ إلى مجهرٍ ليرى ذلك. إلا أنَّ مثل هذه الآلة لم تُكتشف إلا قبل أكثر من مائتي عامٍ بقليل. وأضاف الدكتور موور ساخراً: «ربَّما كان لدى أحدهم ـ قبل أربعة عشر قرناً مضت ـ مجهراً سرِّيّاً، فقام بعمل هذه الأبحاث، ولم يرتكب أثناء ذلك أيَّ خطأٍ يُذكر، ثمَّ علَّم محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ذلك بطريقةٍ ما، وأقنعه بأن يضع هذه المعلومات في كتابه؛ وبعدئذٍ حطَّم مجهره، واحتفظ بسرِّه للأبد. فهل أنت تصدِّق ذلك؟! يجب عليك حقاً ألاَّ تفعل، حتَّى تحضر دليلاً للإثبات، لأنَّ مثل هذه النظريَّة ما هي إلاَّ سخافة!».

وعندما سُئِل الدكتور موور: «كيف تفسِّر إذاً وجود مثل هذه المعلومات في القرآن؟».. كان ردُّه: «لم يكن هذا ممكناً إلا بوحيٍ من الله (سبحانه وتعالى)!».

ومع أنَّ المثل المذكور سابقاً عن بحث الإنسان في معلومات مُحتواةٍ في القرآن الكريم قام به عالم غير مسلم، إلا أنَّه يعتبر صحيحاً، وذلك لأنَّ هذا الرَّجل واحدٌ من أهل الذِّكر في هذا المجال. فلو ادَّعى شخصٌ عادي بأنَّ ما يقوله القرآن حول علم الأجنَّة صحيح، لما كان لزاماً علينا قبول كلامه. على أيَّة حال فإنَّ المركز المرموق والاحترام والتقدير الَّذي يكنُّه المرء للعلماء تجعل الإنسان يفترض تلقائيّاً صحَّة النتائج الَّتي يتوصَّلون إليها نتيجة البحث في موضوعٍ ما. وهذا ما دفع أحد زملاء الدكتور موور ـ يُدْعى مارشال جونسون، ويعمل بشكلٍ مُكثَّفٍ في مجال علم الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) في جامعة تورونتو ـ لكي يصبح مُهتمّاً جدّاً بالقرآن الكريم، لأنَّ الحقائق الَّتي ذكرها عن علم الأجنَّة كانت دقيقة. ولذلك سأل المسلمين أن يجمعوا له كلَّ شيءٍ في القرآن الكريم ممَّا له علاقة بتخصُّصه. ومرَّةً أخرى كان النَّاس مندهشين جدّاً من النتائج!

إنَّ عدداً كبيراً من الموضوعات مذكورٌ في القرآن الكريم، ممَّا يتطلَّب بالتأكيد وقتاً طويلاً لتفصيل كلِّ موضوعٍ على حدة. فيكفي من أجل الهدف من

هذا النِّقاش أن أقول بأنَّ القرآن الكريم يضع تصريحاتٍ واضحةٍ ودقيقةٍ حول موضوعاتٍ متنوِّعة، وأثناء ذلك ينصح القارئ بالتثبت من صحَّتها بالبحث عند العلماء. وكلُّ ما صُوِّر في القرآن أثبت صحَّته بوضوح. وبلا شك، هناك أمرٌ في القرآن الكريم لا نجده في أيِّ كتابٍ آخر!

فمن المثير للاهتمام أنَّ القرآن الكريم حين يزوِّد القارئ بالمعلومات، فإنَّه كثيراً ما يخبره بأنَّه لم يكن يعلم ذلك من قبل.

كقوله تعالى في سورة النِّساء: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّه عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضلُّوكَ وَمَا يُضلُّونَ إلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ من شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّه عَلَيْكَ عَظيماً﴾ (الآية: ١١٣). وقوله تعالى في سورة البقرة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتنَا وَيُزَكّيكُمْ وَيُعَلّمُكُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَيُعَلّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (الآية: ١٥١).

وطبعاً لا يوجد أيُّ كتابٍ مقدَّسٍ يقوم بتقديم مثل هذا الزَّعم. فكلُّ الكتب المقدَّسة والمخطوطات القديمة الَّتي يملكها النَّاس تحوي بالفعل معلوماتٍ كثيرة، ولكنَّها تذكر دوماً من أين جاءت تلك المعلومات. فمثلاً عندما يناقش الإنجيل التاريخ القديم، فإنَّه يذكر بأنَّ هذا الملك عاش في المنطقة الفلانية، وأنَّ ذاك خاض المعركة الفلانية، وأنَّ الآخر كان له أبناء كثيرون.. إلخ. وهو دائماً ينصُّ على أنَّك إنْ أردت الحصول على المزيد من المعلومات، فما عليك إلا أن تقرأ الكتاب الفلاني، أو العلاَّني، لأنَّه من هناك جاءت المعلومات. وباختلافٍ كبيرٍ عن هذا الأسلوب، فإنَّ القرآن الكريم يزوِّد القارئ بالمعلومات، ثمَّ يقول له إنَّ هذه المعلومات شيءٌ جديدٌ لم يكن يعرفه أحدٌ حين نزوله. وطبعاً كان هناك دائماً دعوةٌ للبحث في هذه المعلومات، للتأكُّد من صحَّتها وأصالتها (إنَّها وحيٌ من الله تعالى).

ومن المثير للدَّهشة أنَّ مثل هذا الطَّرح لم يستطع أبداً أنْ يتحدَّاه أحدٌ من

غير المسلمين قبل أربعة عشر قرناً مضت. فالواقع أنَّ أهل مكَّة الَّذين كانوا يكرهون المسلمين كرهاً شديداً، وكانوا يستمعون لهذا الوحي المرَّة تلو المرَّة وهو يدَّعي بأنَّ ما يسمعونه شيءٌ جديدٌ لم يعرفوه من قبل، لم يستطع أحدٌ منهم أن يرفع صوته قائلاً: «لا، ليس هذا بجديد. فنحن نعلم من أين جاء محمَّدٌ (صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم) بهذه المعلومات، فقد تعلَّمناها».

إنَّهم لم يستطيعوا أبداً تحدِّي أصالة القرآن الكريم، لأنَّه فِعْلاً كان شيئاً جديداً!

ويجب أن نشدِّد هنا على أنَّ القرآن الكريم دقيقٌ بخصوص كلِّ الأمور، وأنَّ هذه الدقَّة هي حقّاً واحدة من خصائص الوحي الإلهي. فمثلاً، دليل التليفون دقيقٌ في معلوماته، لكنَّه ليس وحياً. المشكل الحقيقيُّ هو أنَّ المرء يجب أن يُقِيم الدَّليل على مصدر المعلومات القرآنيَّة. والتَّأكُّد من ذلك من واجب القارئ. فلا يستطيع المرء أن ينكر صحَّة القرآن الكريم ـ هكذا ببساطة ـ دون دليل مقنعٍ. طبعاً إنْ وجد أحدُهم خطأً فيه، فإنَّ له الحقَّ أن يقضي بعدم صحَّته، وهذا بالضَّبط ما يشجِّع عليه القرآن الكريم.

في إحدى المرَّات جاءني رجلٌ بعد أن أنهيت محاضرةً ألقيتها في جنوب أفريقيا. لقد كان غاضباً جدّاً لما قلتهُ، ولذلك ادَّعى قائلاً: "سأذهب إلى بيتي الليلة ولا بُدَّ أن أجد خطأً ما في القرآن» فأجبته طبعاً: "أُهنِّئُك. فهذا هو الشيء الأكثر ذكاءً فيما قلته". بالتأكيد، هذا هو الموقف الَّذي يجب أن يتخذه المسلمون مع أولئك الَّذين يشكُّون في أصالة القرآن الكريم، لأنَّ القرآن الكريم نفسه يُقدِّم هذا التحدِّي. فحتماً بعد القبول بهذا التحدِّي، والاكتشاف بأنَّ القرآن حقّ، فإنَّهم سيؤمنون به لأنَّهم لم يستطيعوا أن يجرِّدوه من صحَّته؛ بل سيكتسب احترامهم لأنَّهم تأكَّدوا من أصالته بأنفسهم. والحقيقة الأساسيَّة الَّتي يجب أن تُكرَّر كثيراً بخصوص التثبّت من أصالة القرآن الكريم، هي أنَّ عدم قدرة أحدهم علي

توضيح أيٍّ ظاهرةٍ بنفسه لا يلزمه بقبول وجود هذه الظاهرة، أو قبول تفسير شخصٍ آخر لها. وهذا يعني أنَّ عدم قدرة الإنسان على تفسير شيءٍ ما لا يعني أنَّه يجب بالضرورة أن يقبل بتفسير الآخرين. ومع ذلك فإنَّ رفض الإنسان لتفسير الآخرين يعود بالعبء عليه نفسه ليجد جواباً مُقْنِعاً. هذه النظريَّة العامَّة تنطبق على العديد من المفاهيم في الحياة، ولكنَّها تتناسب بشكلٍ كبيرٍ مع التحدِّي القرآني، لأنَّها تشكِّل صعوبةً كبيرةً لمن يقول: "أنا لا أومن بالقرآن". ففي اللحظة الَّتي يرفضه فيها، يجد الإنسان نفسه ملزماً بأن يجد التفسير لذلك بنفسه، لأنَّه يشعر بأنَّ تفسيرات الآخرين ليست صحيحة.

في الحقيقة، وخاصَّةً في إحدى الآيات القرآنية الَّتي اعتدت أن أرى أنَّها تُرجمت خطأً إلى الإنجليزيَّة، يذكر الله سبحانه وتعالى رجلاً كان يسمع آيات الله تتلى عليه، إلاَّ أنَّه كان يغادر دون أن يتفحص حقيقة ما سمع. أي أنَّ الإنسان - بطريقةٍ أم بأخرى - مذنبٌ إذا سمع شيئاً ولم يبحثه أو يتفحَّصه ليرى إن كان صحيحاً أم لا.

وهذا جاء في قوله تعالى في سورة لقمان (الآية: ٧): ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

فالإنسان يُفترض منه أن يُعْمِل عقله بكلِّ المعلومات الَّتي ترده، وأن يقرِّر ما هو الهراء منها ليُلْقِيه بعيداً، وما هو المفيد ليحتفظ به ويستفيد منه فيما بعد. فلا يستطيع المرء أن يترك الأمور على اختلاف أنواعها تزدحم في ذهنه هكذا فقط. بل يجب أن توضع الأمور في فئاتها المناسبة وأن تُفهم حسب ذلك. فمثلاً، إذا كانت المعلومات ما تزال في حاجةٍ إلىٰ تأمُّل، فعندئذٍ يجب أن يُميِّز المرء إن كانت أقرب إلى الصواب، أم هي إلى الخطأ أقرب. ولكن إذا كانت كلُّ الحقائق قد عُرِضَت، فإنَّه عندئذٍ يجب عليه أن يُقرِّر تماماً بين هذين الأمرين. وحتَّى عندما لا يكون المرء إيجابياً بخصوص أصالة المعلومة، إلاَّ أنَّه ما زال مطلوباً منه

أن يُعْمِل عقله في كلِّ المعلومات ليعترف بأنَّه فقط لا يعرف ذلك على وجه الدقَّة. ومع أنَّ هذه النقطة الأخيرة تبدو وكأنَّها غير ذات قيمةٍ واقعياً، إلاَّ أنَّها مفيدةٌ للوصول إلى نتيجةٍ إيجابيَّةٍ فيما بعد، وذلك لأنَّها تُرغم المرء على الأقلِّ بأن يتعرَّف ويبحث ويعيد النظر في الحقائق. وهذا التآلف مع المعلومات سيزوِّد الإنسان «بالحد الفاصل» عندما تتمُّ الاكتشافات المستقبليَّة وتُعرض معلوماتٌ إضافيَّة. فالشيء المهمُّ هو أن يتعامل المرء مع الحقائق، لا أن ينبذها ـ هكذا وببساطة ـ وراء ظهره بدافع العاطفة أو اللامبالاة.

اليقين الحقيقيُّ بخصوص صحَّة القرآن الكريم واضحٌ من خلال الثِّقة الَّتي تُهَيْمِنُ خلال آياته، وهي الثَّقة الَّتي تأتي بطريقةٍ مختلفة، ألا وهي «استنزاف البدائل». فالقرآن الكريم أساساً يؤكِّد أنَّه وحيٌ يُوحَى، فإن كان هناك من لا يصدِّق ذلك، فليثبت له مصدراً آخر! وهذا هو التحدِّي. لدينا هنا كتابٌ مصنوعٌ من الورق والحبر، فمن أين أتى؟ وهو يقول إنَّه وحيٌ إلهي؛ فإن لم يكن كذلك، فما هو مصدره؟ والحقيقة المثيرة هي أنَّه لا يوجد أحدٌ على الإطلاق لديه تفسيرٌ يصلح ليناقض ما جاء في القرآن الكريم. في الواقع، لقد تمَّ استنزاف كلِّ البدائل. وحيث إنَّ هذا الفكر قد أُسِّس من قِبَلِ غير المسلمين فقد اختزلت هذه البدائل لتصبح مقصورةً على مدرستين فكريَّتين تبادليّاً، مُصرِّين في ذلك على إحداهما أو على الأخرى. فمن ناحيةٍ توجد مجموعةٌ كبيرةٌ من الَّذين بحثوا في القرآن الكريم لمئات السنين والَّذين يدَّعون والعياذ بالله: "نحن متأكِّدين من شيءٍ واحد، وهو أن ذلك الرَّجل محمَّداً (صلَّي الله عليه وآله وسلَّم) كان يتوهَّم أنَّه نبي. فقد كان مجنوناً!" فهم مقتنعون بأنَّ محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كان مخدوعاً بطريقةٍ ما. ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ هناك مجموعة أخرى تدَّعي: «بوجود هذا الدَّليل (الجنون)، فإنَّنا يقيناً نعرف شيئاً واحداً، وهو أنَّ ذلك الرَّجل محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كان كاذباً!» وما هو مدعاةٌ للسخرية أنَّ هاتين

المجموعتين لا يبدو أبداً أنَّهما تجتمعان دون تناقض. وفي الواقع، فإنَّ العديد من المراجع الَّتي كُتبت عن الإسلام عادةً تدَّعي النظريَّتين معاً. فهم يبدأون بالقول بأنَّ محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كان مجنوناً، وينتهون بأنَّه كان كاذباً. ويبدو أنَّهم لا يدركون أبداً بأنَّه (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) لم يكن بالإمكان أن يكون الاثنين معاً! لكنَّ الكثير من المراجع في العادة تذكر هذيْن الأمريْن معاً.

فمثلاً، إذا جُنَّ أحد النَّاس وظنَّ حقّاً أنَّه نبيّ، فإنَّه لن يقضي الليل بطوله مُخطِّطاً: «كيف سأخدع النَّاس غداً ليظنُّوا أنِّي نبيّ؟» فلأنَّه يؤمن فعلاً بأنَّه نبيّ، هو واثقٌ بأنَّ الإجابة على أيِّ تساؤلٍ ستأتيه عن طريق الوحي. وفي واقع الأمر، فإنَّ جزءاً كبيراً من القرآن الكريم نزل على شكل ردود على تساؤلات. فكان أحدهم يسأل رسول الله محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) سؤالاً، فينزل الوحي بالإجابة. ومؤكَّدٌ أنَّ أحد النَّاس إن كان مجنوناً ويعتقد بأنَّ ملاكاً سوف يلقي الإجابة في أُذُنه عندئذ حين يسأله أحد النَّاس سؤالاً سيظنُّ بأنَّ ملاكاً سيأتيه بالإجابة. فلأنَّه مجنون، هو حقّاً سيظنُّ ذلك. ولن يطلب من السائل الانتظار بُرهةً، ثم يذهب إلى أصحابه ليسألهم: «هل يعرف أيٌّ منكم الإجابة؟» فهذا النَّوع من السُّلوك هو ميزةٌ لغير المؤمن بأنَّه نبي. ما يرفض قبوله غير المسلمين هو أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يكون الاثنين معاً، فهو إمَّا أن يكون متوهِّماً وإمَّا كاذباً. وبطريقةٍ أخرى، فهو إمَّا أن يكون واحداً منهما أو لا يكون كلاهما؛ وقطعاً لا يمكنه أن يكون الاثنين معاً! ويجب التأكيد هنا على حقيقة أنَّ هاتين الصفتين - بديهيّاً - هما سمتان شخصيّتان تبادليَّتان. (أى حيث توجد إحداهما فلا وجود للأخرى).

والحوار التالي هو مثالٌ جيّدٌ لهذه الحلقة المفرغة الَّتي يدور فيها غير المسلمين بشكلٍ دائم. فإذا سألت أحدهم: "ما هو مصدر القرآن الكريم؟" فإنَّه سيجيبك بأنَّ مصدره هو عقل رجلٍ كان مصاباً بالجنون. عندئذٍ تسأله: «إن كان

قد جاء به من رأسه، فمن أين حصل على المعلومات المحتواة فيه؟ فمن المؤكَّد أنَّ القرآن الكريم يذكر أشياء كثيرة لم يكن العرب يعرفونها». ولكي يستطيع أن يفسر الحقيقة الَّتي قدَّمتها له فإنَّه سيغيِّر موقفه ويقول: «حسناً، ربَّما لم يكن مجنوناً، بل ربَّما كان بعض الأعاجم يعطونه تلك المعلومات. وهكذا كذب على النَّاس وأخبرهم بأنَّه كان نبيّاً». عند هذه النقطة يجب أن تسأله: "إذا كان محمدٌ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كاذباً، فمن أين حصل على ثقته بنفسه؟ ولماذا كان يتصرَّف وكأنَّه كان نبيّاً فعلاً؟" وفي النِّهاية - وعندما يكون قد حُشر في الزاوية - فإنَّه كالقطَّة سيندفع فجأةً وبسرعةٍ بأوَّل ردٍّ يخطر على باله - ومتناسياً أنَّه قبل ذلك استثنى ذاك الاحتمال - ليدَّعي: «حسناً، ربَّما لم يكن كاذباً. ربَّما كان مجنوناً وحقّاً كان يعتقد أنَّه نبي». وهكذا يبدو دورانه في الحلقة المفرغة من جديد.

(وهذا هو ديدن الكفَّار منذ بعثة النبيِّ عليه وآله الصَّلاة والسَّلام، حيث ذكر الله تعالى ذلك في سورة الدُّخان: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ (الآية: ١٣ - ١٤).

كما ذُكر سابقاً، فإنَّ القرآن الكريم يحوي معلوماتٍ كثيرةٍ لا يمكن نسبة مصدرها لأحد إلاَّ لله تعالى. فمثلاً، من أخبر محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) عن سدِّ ذي القرنين، وهو مكانٌ يبعد مئات الأميال إلى الشمال؟ ومن أخبره عن علم الأجنَّة؟ وعندما يُواجَه النَّاس بمثل هذه الحقائق، فإنَّهم - حتَّى وإن كانوا لا يريدون نسبتها إلى مصدر إلهيٍّ - يصنِّفونها تلقائيّاً حسب فرضيَّة أنَّ أحد النَّاس قدَّمها لمحمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وهو بدوره قام باستخدامها لخداع النَّاس. ومع ذلك فإنَّ هذه النظريَّة يمكن دحضها بسؤالٍ بسيط: «إذا كان محمَّدٌ كاذباً (حاشاه عليه وآله الصَّلاة والسَّلام)، فمن أين له بكلِّ تلك الثِّقة؟ ولماذا قال للنَّاس مُواجهةً ما لم يستطع أحدٌ منهم قوله أبداً؟ فمثل تلك الثِّقة اعتمدت بالكليَّة على اقتناعه التامِّ بأنَّ ما يأتيه هو وحيٌ إلهيّ.

ومثال على ذلك أنَّه كان للنبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) عمّاً يُكنّى بأبي لهب. وكان هذا الرَّجل يكره الإسلام لدرجة أنَّه كان يتبع النبيَّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أينما ذهب ليُكذِّبه. فكان إذا رأى النبيَّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) يتحدَّث إلى أحد الغرباء، كان ينتظر حتى يتفرَّقا، ثمَّ يذهب إلى ذاك الغريب ويسأله: "ماذا كان يقول لك؟ هل قال أبيض؟ لا، بل هو أسود. هل قال نهار؟ لا، بل هو ليل.

وقد كان مُثابراً في قوله عكس ما يسمعه من محمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أو من المسلمين الآخرين. ورغم ذلك، وقبل عشر سنوات تقريباً من موت أبي لهب، نزلت سورةٌ قصيرةٌ من القرآن الكريم بخصوصه بالذَّات، وتقول بأنَّه سوف يكون من أهل النَّار. وبتعبير آخر، فإنَّ هذه السُّورة تؤكِّد بأنَّه لن يدخل الإسلام أبداً، وبذلك سيكون محكوماً عليه بالخلود في النَّار. ولمدَّة عشر سنوات بعد نزول هذه السُّورة، كان كلُّ ما عليه قوله هو: "سمعت بأنَّه قد نزل على محمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بأنِّي لن أتغيَّر أبداً - أي أنِّي لن أُصبح مسلماً وسأدخل النَّار. حسناً، أنا أُريد دخول الإسلام الآن. فهل يعجبكم ذلك؟ وماذا تظنُّون بوحيكم الآن؟" ولكنَّه لم يفعل ذلك أبداً، مع أنَّ هذا السُّلوك كان بالضبط هو المُتوقَّع من شخص مثله كان دوماً يسعى لمعارضة الإسلام. لقد كان هذا وكأنَّ محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) قد قال له: "أنت تكرهني وتريد القضاء عليّ؟ هاك، قل هذه الكلمات (الشَّهادتين)، ويتمُّ لك ذلك. هيّا قلها!" لكنَّ أبا لهب - ولعشر سنواتٍ كاملة - لم يقلها أبداً! حتَّى أنَّه لم يصبح من المتعاطفين مع الإسلام. فكيف كان بإمكان النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أن يعلم يقيناً بأنَّ أبا لهب سيحقِّق النبوءة القرآنية إنّ لم يكن حقّاً رسول الله تعالى؟! كيف كان بإمكانه (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) أن يمتلك مثل تلك الثِّقة ليتحدَّى أحد ألدِّ أعداء الإسلام - ولمدَّة عشر سنواتٍ - مانِحاً إيَّاه الفرصة لتكذيب زعمه النبوَّة؟!

والجواب الوحيد هو أنَّه (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) كان رسول الله تعالى. فَلِكَيْ يضع نفسه أمام هذا التحدِّي الخطير، لا بُدَّ وأنَّه كان على ثقةٍ تامَّةٍ بأنَّ ما يأتيه هو وحيٌ من الله تعالى.

مثلٌ آخرٌ على الثِّقة الَّتي كان يمتلكها محمَّدٌ بنبوَّته (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) - وما يتبعها من حمايةٍ إلهيَّةٍ له ولرسالته - هو خروجه من مكَّة واختباؤه في الغار مع أبي بكرٍ الصدِّيق (رضي الله عنه) خلال هجرته إلى المدينة المنوَّرة. فقد رآى كلاهما بوضوحٍ أنَّ الكفَّار قد جاءوا لقتلهما، وأصاب الخوف أبا بكرٍ الصدِّيق (رضي الله عنه). ومن المؤكَّد أنَّ محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لو كان كاذباً، أو مُزوِّراً، أو أحد الَّذين يحاولون خداع النَّاس ليؤمنوا بنبوَّته، لكان من المتوقَّع أن يقول لصاحبه في مثل هذه الظروف: "يا أبا بكر، انظر إن كان بإمكانك إيجاد طريق للخروج من هذا الغار". أو: "اخفض نفسك في ذلك الرُّكن هناك، والزم الهدوء". إلاَّ أنَّ ما قاله حقيقةً يصوِّر بوضوحٍ ثقته المطلقة. فقد قال (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) لصاحبه (رضي الله عنه): ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

والآن، إذا كان أحدهم يدَّعي المعرفة بأنَّه (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) كان يخدع النَّاس، فمن أين له (عليه وآله الصَّلاة والسَّلام) أن يقف هذا الموقف النوعيّ؟ فواقعيّاً، هذا النوع من التفكير لا يُعدُّ على الإطلاق سمةً للكذَّاب أو المُزيِّف. لهذا - وكما ذُكر سابقاً - فغير المسلمين يظلُّون يدورون ويدورون في الدائرة المُفرغة ذاتها، باحثين عن طريقٍ للخروج منها، لكن بالعثور على طريقةٍ يفسِّررن بها الاكتشافات في القرآن الكريم دون نسبتها إلى مصدرها المناسب. فمن ناحية، كلُّهم - في أيام الاثنين والأربعاء والجمعة - يقولون: "كان الرَّجل كذَّاباً"؛ ومن ناحيةٍ أخرى - في أيام الثلاثاء والخميس والسبت - يقولون لك: "لقد كان مجنوناً". وما يرفضون قبوله هو أنَّ الإنسان لا يمكن أن يكون الاثنين معاً؛ ومع ذلك فإنَّهم يحتاجون بالحُجَّتَيْن معاً لتفسير ما جاء في القرآن الكريم.

قبل سبع سنواتٍ تقريباً، زارني أحد الرُّهبان في بيتي. وفي تلك الحجرة الَّتي كنَّا نجلس فيها كان هناك قرآنٌ على الطاولة ووجهه إلى الأسفل، فلم يعرف الرَّاهب أيّ كتابٍ هو. وفي منتصف نقاشنا، أشرت إلى الكتاب قائلاً: "أنا لديَّ الثِّقة بهذا الكتاب". فأجاب ناظراً إلى القرآن الكريم من غير أن يعرف ما هو: "حسناً، وأنا أقول لك بأنَّه إن كان ذلك الكتاب ليس الإنجيل، فقد أُلِّف من قِبَلِ الإنسان!" فكان ردِّي عليه: "دعني أُحدِّثك شيئاً عمَّا جاء في هذا الكتاب". وخلال ثلاث أو أربع دقائق فقط ذكرت له ما يتعلَّق ببضعةٍ من الأمور الموجودة في القرآن الكريم. وبعد تلك الثَّلاث أو الأربع دقائق فقط غيَّر موقفه تماماً وقال: "أنت على حقّ. فالإنسان لم يؤلِّف هذا الكتاب، بل الشيطان هو الَّذي ألَّفه!" طبعاً، اتِّخاذ مثل هذا الموقف هو غايةٌ في سوء الطَّالع، وذلك لأسبابٍ عدَّة، منها أنَّه عُذْرٌ مُتسرِّعٌ ورخيصٌ كمَخْرَجٍ فوريٍّ من ذلك الوضع المزعج.

وفيما يتعلق بهذا الأمر، هناك قصَّةٌ مشهورةٌ في الإنجيل تذكر كيف أنَّ بعض اليهود في أحد الأيَّام كانوا شهوداً حين أقام يسوع (عليه الصَّلاة والسَّلام) رجلاً من الموت. كان ذلك الرَّجل ميتاً لأربعة أيَّام، وعندما وصل يسوع، قال ببساطة: "انهض!" فقام الرَّجل ومشى في طريقه. وحين رأوا هذا المشهد، قال بعض الشُّهود من اليهود مُنْكِرِين: "هذا هو الشيطان. الشيطان هو الَّذي ساعده!" وهذه القصَّة تُكرَّر الآن كثيراً في الكنائس في جميع أنحاء العالم، والنَّاس يذرفون دموعاً غزيرة لسماعها قائلين: "آه لو كنت هناك، فما كنت لأكون غبيّاً مثل اليهود!" ويا للسخرية، فمع هذا فإنَّ هؤلاء النَّاس يفعلون ما فعله اليهود تماماً حين تعرض عليهم - في ثلاث أو أربع دقائق - جزءاً صغيراً فقط من القرآن الكريم؛ وكلُّ ما يستطيعون قوله هو: "آه، الشيطان فعل ذلك. الشيطان هو الَّذي ألَّف هذا الكتاب!" لأنَّهم حقّاً يكونون قد حُشِروا في الزَّاوية؛ وحين لا يملكون أيَّ إجابةٍ مقبولة، فإنَهم يلتجئون إلى أسرع وأرخص حُجَّةٍ مُتاحةٍ لهم.

ومثلٌ آخرُ على استخدام النَّاس لهذا الموقف الضَّعيف يمكن إيجاده في تفسير كفَّار مكَّة لمصدر رسالة محمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم). فقد اعتادوا القول بأنَّ الشيطان هو الَّذي يُملي عليه القرآن! لكنَّ القرآن ـ كعادته مع أيِّ حُجَّةٍ لهم ـ يقدِّم الإجابة على ذلك: فيقول الله تعالى في سورة التكوير: ﴿وما هُو بقولِ شيْطانٍ رَّجيمٍ (٢٥) فأيْن تذْهبُون (٢٦) إنْ هُو إلاَّ ذكْرٌ لِّلعالمين (٢٧)﴾ (الآيات: ٢٥ ـ ٢٧).

وهكذا فإنَّ القرآن يعطي ردّاً جليّاً على هذا الادِّعاء. في الواقع، هناك العديد من البراهين في القرآن الكريم جاءت كردٍّ على الادِّعاء بأنَّ الشيطان هو الَّذي أملى على محمَّدٍ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) رسالته. فمثلاً في سورة الشعراء: ﴿وَمَا تنزَّلَتْ به الشَّياطينُ (٢١٠) وما ينبغي لهُمْ وما يسْتطيعُون (٢١١) إنَّهُمْ عنِ السَّمعِ لمعزُولُون (٢١٢)﴾ (الآيات: ٢١٠ ـ ٢١٢).

وفي مكانٍ آخر في القرآن الكريم يعلِّمنا الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)﴾ (سورة النحل: ٩٨).

والآن، فهل بهذه الطريقة يكتب الشيطان كتاباً؟ وهل يقول للإنسان: "قبل أن تقرأ كتابي، اسأل الله أن يحفظك منِّي"؟ فما هذا إلاَّ افتراءٌ كبير، كبيرٌ جدّاً. طبعاً، إنَّ بإمكان الإنسان أن يكتب شيئاً كهذا، ولكن هل كان للشيطان أن يفعل ذلك؟ الكثير من غير المسلمين يقولون بوضوح إنَّهم لا يستطيعون الوصول إلى استنتاجٍ بخصوص هذا الموضوع. فهم من ناحيةٍ يدَّعون بأنَّ الشيطان لم يكن ليفعل مثل هذا الشيء، وحتى لو استطاع فإنَّ الله تعالى لم يكن ليسمح له بذلك، ويؤمنون أيضاً بأنَّ الشيطان أقلُّ بكثيرٍ من الله تعالى. ومن ناحيةٍ أخرى ـ وفي جوهر ما يطرحونه ـ هم يزعمون بأنَّ الشيطان يمكنه ربَّما فعل أيِّ شيءٍ يستطيعه الله تعالى. وكنتيجةٍ على ذلك، عندما ينظرون إلى القرآن الكريم ـ وحتَّى عند انذهالهم بعَظَمَتِهِ ـ فإنَّهم ما زالوا يصرُّون: "الشيطان هو الَّذي فعل ذلك!" الحمد لله أن ليس للمسلمين مثل هذا الموقف. فمع أنَّ الشيطان يمتلك

بعض القدرات، إلاَّ أنَّ الفرق بينها وبين قدرات الله تعالى كبير جدّاً. ولا يكون المسلم مسلماً إلاَّ إذا آمن بذلك. ومن البديهيِّ أيضاً - حتَّى لدى غير المسلمين - أنَّ الشيطان يمكنه بسهولة أن يقع في الأخطاء، ولذا فمن المتوقَّع أن يناقض نفسه إن حصل وكتب كتاباً. ولهذا فإنَّ الله تعالى يقول في سورة النِّساء: ﴿أفلا يتدبَّرون القُرآن ولَوْ كانَ منْ عند غيْرِ اللَّهِ لَوجدُوا فيه اخْتلافًا كثيراً﴾ (الآية: ٨٢).

وبالإضافة إلى الحجج الَّتي يقدِّمها غير المسلمين في محاولتهم التافهة لتبرير وجود الآيات الَّتي لا يفهمونها في القرآن الكريم، فإنَّ هناك هجوماً آخر غالباً ما يظهر كمزيج من النظريَّتين معاً، وهو أنَّ محمَّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كان مجنوناً وكاذباً. فأولئك النَّاس يقترحون أساساً اسماً في علم النّفس، وهو الميثومانيا Mythomania (المسُّ الأساطيريّ: وهو نزوعٌ مفرطٌ أو غير سويٍّ إلى الكذب والمبالغة). وهو يعني ببساطة أنَّ الإنسان يكذب، ثمَّ يصدِّق ما كذب. هذا هو ما يدَّعيه غير المسلمين عمَّا كان يعاني منه محمَّدٌ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم). إلاَّ أن المشكل الوحيد الَّذي يواجهونه بخصوص هذه الحُجَّة هو أنَّ الإنسان الَّذي يعاني من الميثومانيا لا يمكنه التعامل مع الحقائق مطلقاً، مع أنَّ القرآن الكريم كلّه قائمٌ تماماً على الحقائق. فكلُّ ما فيه يمكن بحثه والتثبُّت من صحته. في حين أنَّ الحقائق تعتبر مشكلاً كبيراً للمصاب بالميثومانيا. فعندما يحاول الطبيب النفسيُّ علاج أحد الَّذين يعانون من هذا المرض، فإنَّه باستمرار يواجهه بالحقائق. فمثلاً، إذا كان أحدهم مريضاً نفسيّاً ويدَّعي قائلاً: «أنا ملك إنجلترا»، فإنَّ الطبيب النفسيَّ لا يقول له: «لا، أنت لست كذلك، بل أنت مجنون!» فالطبيب لا يفعل ذلك، بل بدلاً من ذلك يواجهه ببعض الحقائق قائلاً: «حسناً، أنت تقول بأنَّك ملك إنجلترا، لذا قل لي أين هي الملكة اليوم؟ وأين رئيس وزرائك؟ وأين هم حرَّاسك؟» وعندما يكون لدى هذا المريض مشكلٌ في محاولته التعامل مع هذه الأسئلة، سيحاول إيجاد الأعذار: «آه.. الملكة.. ذهبت إلى بيت

أُمِّها. آه.. رئيس الوزراء.. حسناً، لقد مات». وفي النِّهاية سيشفى من مرضه تماماً لأنَّه لم يستطع التعامل مع الحقائق. فإذا استمرَّ الطبيب النفسيُّ بمواجهته بحقائق كافية، فإنَّه بالنِّهاية سيواجه الواقع قائلاً: «أظنُّ بأنِّي لست ملك إنجلترا».

والقرآن يصل إلى كلِّ إنسان يقرأه بنفس الطريقة الَّتي يعالج بها الطبيب النفسيُّ مريضه بالميثومانيا. يقول الله تعالى في سورة يونس: ﴿يا أيُّها النَّاسُ قد جاءتْكُم موْعظةٌ من ربِّكُم وشفاءٌ لما في الصُّدُورِ وهُدى ورحمةٌ للمؤْمنين﴾ (الآية: ٥٧).

للوهلة الأولى قد يبدو هذا التصريح غامضاً، ولكنَّ المعنى لهذه الآية يتَّضح عندما يُنْظر إليها على ضوء المثل السابق. فالإنسان يُشفى أساساً من أوهامه بقراءة القرآن الكريم. فهو في جوهره علاجٌ يشفي الضَّالِّين تماماً وذلك بمواجهتهم بالحقائق. ومن المواقف السائدة في القرآن الكريم هو ما يخاطب به النَّاس بأنَّهم يقولون كذا وكذا حول شيء مَّا؛ فماذا عن هذا أو ذاك؟ وكيف يستطيعون قول ذلك وهم يعلمون؟ وهكذا. كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الَّذي جعل لكُمُ الأرْض فراشًا والسَّماء بناء وأنزل من السَّماء ماءً فأخْرج به من الثَّمرات رزْقًا لَّكُم فلا تجْعلُوا للَّه أندادًا وأنتُم تعْلمُون﴾ (الآية: ٢٢).

إنَّه يرغم المرء على تدبُّر الحقيقة وما له علاقة بها، في حين يقوم في نفس الوقت بعلاجه من أوهامه، وذلك لأنَّ الحقائق المقدَّمة من الله تعالى للبشريَّة يمكن توضيحها وفصلها عن كلِّ النظريَّات والحُجج الرَّديئة. إنه نوعٌ خاصٌّ من التعامل مع الأشياء - مواجهة النَّاس بالحقائق - بحيث أثار اهتمام الكثير من غير المسلمين.

وفي الواقع، يوجد مرجعٌ مثير للاهتمام بخصوص هذا الموضوع في الموسوعة الكاثوليكيَّة: «عبر القرون الماضية قُدِّمت نظرياتٌ كثيرةٌ عن أصل القرآن... واليوم لا يوجد إنسانٌ عاقل يقبل بأيٍّ منها!». فها هي الكنيسة

الكاثوليكيَّة المُعمِّرَة، والماثلة هنا وهناك لقرون عديدة، تنكر تلك المواقف التافهة لدحض أصل القرآن الكريم. القرآن الكريم بالطبع يمثِّل مشكلاً للكنيسة الكاثوليكيَّة، فهو يصرِّح بأنَّه وحيٌ من الله تعالى، ولذلك هم يدرسونه. ومؤكَّدٌ أنَّهم يودُّون إيجاد برهانٍ على أنَّه ليس كذلك، ولكنَّهم لا يستطيعون. فهم لا يستطيعون إيجاد تفسيرٍ مقبول. لكنَّهم على الأقلِّ شرفاء في بحثهم، ولا يقبلون بأوَّل تفسيرٍ غير مدعوم بدليل يأتي إليهم. فالكنيسة تصرِّح بأنَّه - وخلال أربعة عشر قرناً - لم يُقدَّم بعد تفسيرٌ معقول. فهي بذلك على الأقلِّ تعترف بأنَّ القرآن الكريم ليس موضوعاً سهل الإنكار. لكن هناك بالتأكيد آخرون ممَّن هم أقلُّ شرفاً حين يقولون على عَجَل: «آه، لقد جاء القرآن من هنا، أو من هناك». وهم حتَّى لا يتفحَّصون مصداقية ما يصرِّحون به في معظم الأحيان. وطبعاً، فإنَّ مثل هذا التصريح من الكنيسة الكاثوليكيَّة يسبِّب للمسيحيِّ العاديِّ شيئاً من الصُّعوبة. وذلك لأنَّه ربَّما يكون لديه أفكاره الخاصَّة عن أصل القرآن، ولكنَّه كعضوٍ في الكنيسة لا يستطيع التصرُّف حقّاً حسب نظريَّته. فمثل هذا التصرُّف قد يكون مناقضاً للخضوع والإخلاص والولاء الَّذي تطلبه الكنيسة. فبموجب عضويَّته في الكنيسة، يتوجب عليه قبول ما تعلنه الكنيسة الكاثوليكيَّة دون سؤال، وأن يجعل تعاليمها كجزءٍ من روتينه اليوميّ. لذا، فجوهريّاً إذا كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة في عمومها تقول: «لا تستمعوا لتلك التقارير غير المؤكَّدة حول القرآن»، فما يمكن أن يقال حول وجهة النَّظر الإسلاميَّة؟ فحتَّى غير المسلمين يعترفون بأنَّ هناك شيئاً في القرآن - شيئاً كان يجب أن يكون معترفاً به - إذاً فلماذا يكون النَّاس عنيدين، وهجوميِّين، وعدائيِّين، حين يقدِّم المسلمون نفس النظريَّة؟ هذا بالتأكيد شيءٌ لأولي الألباب ليتأمَّلوا فيه - شيءٌ للتأمُّل لأولئك الَّذين يعقلون!

قام حديثاً واحدٌ من المفكِّرين القياديِّين في الكنيسة الكاثوليكيَّة - يدعى هانز

- بدراسة القرآن الكريم، وأدلى برأيه فيما قرأ. هذا الرَّجل أثبت حضوره القوي على الساحة ولزمنٍ طويل، وهو ذو منزلةٍ رفيعةٍ في الكنيسة الكاثوليكيَّة، وبعد تفحُّص دقيق نشر ما وجده مستنتجاً: «إنَّ هذا الاستنتاج من مصدر غير مسلم - وهو مفكِّرٌ قياديٌّ كبيرٌ في الكنيسة الكاثوليكيَّة نفسها! أنا لا أظنُّ بأنَّ البابا يتَّفق معه، ولكن على الرغم من ذلك فإنَّ رأي مثل هذه الشخصيَّة العامَّة ذائعة الصِّيت وذات السُّمعة الحسنة يجب أن يكون له وزنه في الدِّفاع عن الموقف الإسلاميّ. ويتوجب التَّصفيق له لمواجهته الواقع بأنَّ القرآن الكريم ليس شيئاً يمكن أن يلقى بعيداً بسهولة وبأنَّ الله تعالى حقّاً هو مصدر كلماته.

يتَّضح من كلِّ ما تقدَّم سابقاً بأنَّ كلَّ البدائل قد استنزفت، ولذا فالفرصة لإيجاد إمكانيَّةٍ أخرى لإنكار القرآن الكريم لا وجود لها. لأنَّ هذا الكتاب إن لم يكن وحياً، فإنَّه عندئذٍ خداع؛ وإن كان خداعاً، فإنَّ على الإنسان أن يتساءل: «ما هو مصدره؟ وفي أيِّ جزءٍ منه يقوم بخداعنا؟» وطبعاً فإنَّ الإجابات الصحيحة على هذه التساؤلات تُلقي الضَّوء على أصالة القرآن الكريم، وتُسكت ادعاءات الكفَّار اللاذعة وغير القائمة على دليل.

ومن المؤكَّد أنَّه إذا استمرَّ أولئك النَّاس بالإصرار على أنَّ القرآن الكريم ما هو إلاَّ خداع، فإنَّه يتوجب عليهم تقديم البرهان الَّذي يدعم ادعاءهم. فعبء إيجاد البرهان يقع على عاتقهم، وليس على عاتقنا! فلا يُفترض من أحدهم أبداً أن يقدِّم نظريَّةً بدون حقائق كافية تعزِّزها؛ لذا فأنا أقول لهم: «أروني خداعاً واحداً! أروني أين يخدعني القرآن الكريم! أروني ذلك، وإن لم تفعلوا، فلا تقولوا لي بأنَّه خداع»!

9 ـ القس المصري السابق فوزي صبحي سمعان

فوزي المهدي.. الداعية الذي كان قساً..

خلف أسوار الكاتدرائية كنيسة (ماري جرجس) في مدينة الزقازيق المصرية، وفي جو اختلطت فيه رهبة الظلمة بإتقان من أضواء خافتة مع حالة التيه التي تحرص عليها تهويمات الرهبان.

خلف هذه الأسوار جلس الفتى فوزي صبحي سمعان السيسي خادم الكنيسة الذي يحلم بأن يحصل على رتبة (القس) يستمع إلى القس الأكبر.

كان الفتى شارداً مع حلمه تتنازعه بعض أفكار ثقيلة لشبح في سماء فكره كلما انتبه لكي يسمع وارتفع صوت قسيس الكنيسة مناجياً المسيح: (يا ابن الله يا مخلصنا وإلهنا).

وانتفض الفتى طارداً الفكرة، لكنها تلح عليه مرة أخرى، لاذ بحلمه وشرود يطارده هارباً مما يسمع.

ويعلو صوت القسيس مرة أخرى كأن الفتى هو المقصود.. انتزعه من حلمه فرك عينيه وانتبه.. والتمرد يكبر.. يواجه نفسه بالحقيقة التي طالما نجح في الفرار منها: لقد قالوا لنا إن المسيح صلب وعذب ولم يكن قادراً على تخليص نفسه من الصلب والتعذيب المبرح.. فكيف يتأتى له أن يخلصنا؟!

وتتمدد علامة الاستفهام الكبيرة.. الفتى يشعر بالخطر.. الصراع يملأ رأسه وجعاً. يقف مولياً ظهره للقسيس والكنيسة.

كم كبير من المخدوعين:

الفتى هو فوزي صبحي سمعان السيسي الذي كبر وتحقق حلمه وأصبح

قسّاً.. لكن ظلت الفكرة تطارده وتفقده طعم الحلم الذي طالما انتظره.. وأخيراً تتغلب عليه ليصبح الشيخ فوزي صبحي عبدالرحمن المهدي الداعية ومدرس التربية الإسلامية في مدارس التربية الإسلامية في مدارس منارات جدة.. لكن لماذا وكيف حدث ذلك؟..

خرج الفتى من الكنيسة غاضباً من تمرده، هلعاً من أفكاره الأكثر تمرداً.. لكن ماذا بيده؟

كان لابد أن يُسكت هذا التمرد في داخله.. بدأ يبحث في الأديان الأخرى وآخرها الإسلام.. واستمع إلى القرآن فاهتز له قلبه.. ونظر إلى المسلمين فوجد نظافة ووضوءاً وطهارة وصلاة وركوعاً وسجوداً.. واستدار ينظر إلى حاله فلا طهارة ولا اغتسال ولا وضوء.

لم يكن ذلك كافياً لإحداث الانقلاب كما أنه لم يرحمه من مطاردة الفكرة.

وعاد الفتى إلى الكنيسة.. القس يرفع صوته متحدثاً عن أسرار الكنيسة السبعة.. همت الضحكة أن تفلت من فمه فأسكتها بصعوبة شديدة وهو يتمتم: أية أسرار يتحدثون عنها؟!

ومرة أخرى داهمته فكرة التمرد.. أية أسرار سبعة؟ وبدأ يستعرضها:

السر الأول: هو (التعميد) بئر داخل الكنيسة صلى عليها الصلاة فحلت بها الروح القدس.. الطفل يغمس فيها فيصبح نصرانيّاً!! هكذا؟!!! وصرخت به فكرة التمرد.. أنه يولد فيجد أبويه نصرانيين فماذا يحتاج بعد ذلك ليكون نصرانيّاً.. بعد أن أسلم الفتى وجد الإجابة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه ينصّرانه أو يمجّسانه أو يهوّدانه».

السر الثاني: هو (الاعتراف) إذ يجلس النصراني المذنب أمام نصراني أكبر منه رتبة (قس ـ مطران ـ بطريك ـ بابا) ليعترف أمامه بكل شيء ويضع الأخير

عصاه على رأسه ويتمتم ببعض الكلمات مانحاً إياه صك الغفران.. ويخبر الفتى حواراً دار بينه وبين طبيب نصراني: القس يغفر لي فمن يغفر للقس؟.. قال: البابا. ومن يغفر للبابا؟ قال: الله.. فلماذا لا نعترف لله مباشرة ليغفر لنا؟! لماذا نفضح أنفسنا أمام الناس وقد سترنا الله؟!..

السر الثالث: هو (الشرب من دم المسيح).. هكذا؟! نعم.. يأتي النصراني بالنبيذ ليصلي عليه القس فيتحول إلى دم مبارك هو دم المسيح ليشربه النصراني بوَلَهٍ وخشوع!! ويتساءل الفتى: إذا كان المسيح مخلصنا فلماذا نشرب من دمه؟ فنحن نشرب من دم عدونا فقط، الفتى جرب مرة وأحضر النبيذ للقس فصلى عليه وشربه فلم يجده قد تحول..

السر الرابع: هو (أكل لحم المسيح)، قرابين تصنع من الدقيق ليرتل عليها القس فتحول إلى جزء من جسد المسيح يأكلونه!! هكذا أيضاً!! وتساءلت النفس المتمردة. لماذا نأكل لحم المسيح وهو إلهنا وأبونا؟!

الأسرار الثلاثة الأخيرة: هي (الأب والابن والروح القدس).. ويقولون تثليث في توحيد.. كهنوت وتهاويم وتناقض لا يقبله عقل!!

وهرع الفتى مرة أخرى ساخطاً على الكنيسة والقس، وأشياء كثيرة يناقضها المنطق.

ووسط الزحام دس الفتى جسده ونفسه المتمردة.. رويداً رويداً.. تناسى الأفكار التي تطارده.. وخجلاً قادته قدماه إلى الكنيسة.. وأحس هذه المرة بانقباض فقد أرهقه الكر والفر مع نفسه.. وعلا صوت القس ومعه جموع المخدوعين بقانون الإيمان كما يقولون:

(بالحقيقة نؤمن).. بـ (إله واحد).. الأب.. ضابط الكل.. خالق السماء والأرض.. ما يُرى وما لا يرى.. نؤمن برب واحد يسوع المسيح.. ابن الله الوحيد..

المولود من الأب قبل كل الدهور.. نور من نور.. إله حق.. إله حق.. مولود غير مخلوق.. تساوى الأب في الجوهر.. هذا الذي كان به كل شيء.. هذا الذي كان من أجلنا ـ نحن البشر ـ نزل من السماء فتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء.. وصلب وقبر عنا.. وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتاب.. و.. و..

وانسحب الفتى من بين الجموع وهو ممسك برأسه يمنعه من الانفجار..

يقولون: إله واحد، ثم يقولون المسيح ابن الله الوحيد؟!.. كيف وكل مولود مخلوق؟!

يقولون: صلب وقبر من أجلنا.. فكيف يليق بالرب خالق الكون أن يصلبه ويعذبه أحد خلقه؟!

ومضى الفتى إلى الجيش ليؤدي الخدمة العسكرية.. وفي الإسماعيلية دخل الكنيسة للمرة الأخيرة.. مضى إلى الهيكل مباشرة حيث لا يرى من بداخله.. سجد مثلما يسجد المسلم.. بكى بحرقة وابتهل إلى رب الخلق أجمعين الواحد الأحد ـ قال: ربي.. أنت تعلم أنني في حيرة شديدة فإن كانت النصرانية هي الحق فاجعل روح القدس تحل عليَّ الآن.. وإن كان الإسلام هو الحق فأدخله في قلبي.

يقول الفتى: ولم أرفع رأسي من السجود إلا وصدري قد انشرح للإسلام.

وقبل أن يخرج من الكنيسة عرج على القس وألقى عليه بعض التساؤلات.. لم يجبه ولكن سأل: هل تقرأ القرآن؟ قال الفتى نعم.. اكفهر وجه القس وصرخ: نحن فقط الذين نقرأ القرآن أما أنت والعامة فلا.. وخرج ولم يعد للكنيسة.

والآن يقول الفتى: كنت رجلاً تائهاً في لهيب الفيافي يقتلني العطش ولا ألقى سوى السراب وإذا بي أجد ماء زمزم.. عشت تسع سنوات بين نفسي

المتمردة والهروب منها.. قارنت بين الإسلام والنصرانية.. بين الأناجيل والقرآن وكانت الغلبة للحقيقة والنور..

اجتمع إخوة الفتى وتشاوروا واتخذوا القرار ووضعوا طريقة التنفيذ.. لابد أن يقتل.. لقد عصى الرب وأهان الكنيسة.. وجاء من يخبره ويشير عليه.. وهرب الفتى من قريته.. قلبه على إخوته.. يدعو لهم بالهداية..

ويدق باب شقته دقّاً خفيفاً.. يفتح يجد أخته أمامه.. بكت وأخبرته بما أفرحه.. ستشهر إسلامها.. وبكى وأخبرها أنه طالما سهر الليالي يبتهل إلى الله أن يلحقها به.. ولأن الأم قد ماتت منذ أمد بعيد فقد ظلا يتوسلان إلى الله أن يهدي قلب أبيهما إلى الإيمان.

ولم يمض وقت طويل حتى جاء ذلك اليوم.. عاد من عمله.. وجد أخته خلف الباب.. أسرعت إليه.. قالت له: أبوك في انتظارك.. جاء ساعياً إلى نور الحق.. انكب على رأسه ويديه يقبلهما. ويشهر الأب إسلامه ليموت على الإسلام بعد عام ونصف العام.

وفارس آخر يلحق بالركب.. عبدالله المهدي.. أسلم وجاء ليكمل نصف دينه.. ولم يجد أمامه سوى أخت (الفتى) ليقترن بها ويسافرا معاً حيث يعمل إماماً لأحد المساجد في الدوحة.

وهذا مقال نشرته عنه مجلة الفيصل في عددها الصادر في أكتوبر 1992 - بتصرف:

كانت أمنية «فوزي صبحي سمعان» منذ صغره أن يصبح قسّاً يقَبِّل الناس يده ويعترفون له بخطاياهم لعله يمنحهم صك الغفران ويغسل ذنوبهم بسماعه الاعتراف... ولذا كان يقف منذ طفولته المبكرة خلف قس كنيسة «ماري جرجس» بمدينة الزقازيق - عاصمة محافظة الشرقية بمصر - يتلقى منه العلم الكنسي، وقد أسعد والديه بأنه سيكون خادماً للكنيسة ليشب نصرانيّاً طبقاً لاعتقادهما.

ولم يخالف الفتى رغبة والديه في أن يكون خادماً للكنيسة يسير وراء القس حاملاً كأس النبيذ الكبيرة أو دم المسيح كما يدَّعون ليسقي رواد الكنيسة وينال بركات القس.

لم يكن أحد يدري أن هذا الفتى الذي يعدونه ليصير قسّاً سوف يأتي يوم يكون له شأن آخر غير الذي أرادوه له، فيتغير مسار حياته ليصبح داعية إسلامياً.

يذكر فوزي أنه برغم إخلاصه في خدمة الكنيسة فإنه كانت تؤرقه ما يسمونها «أسرار الكنيسة السبعة» وهي: التعميد، والاعتراف، وشرب النبيذ، وأكل لحم المسيح، والأب، والابن، والروح القدس... وأنه طالما أخذ يفكر مليّاً في فكرة الفداء أو صلب المسيح ـ عليه السلام ـ افتداءً لخطايا البشرية كما يزعم قسس النصارى وأحبارهم، وأنه برغم سنه الغضة فإن عقله كان قد نضج بدرجة تكفي لأن يتشكك في صحة حادثة الصلب المزعومة، وهي أحد الأركان الرئيسية في عقيدة النصارى المحرَّفة، ذلك أنه عجز عن أن يجد تبريراً واحداً منطقيّاً لفكرة فداء خطايا البشرية، فالعدل والمنطق السليم يقولان بأن لا تزر وازرة وزر أخرى، فليس من العدل أو المنطق أن يُعَذَّب شخص لذنوب ارتكبها غيره.. ثم لماذا يفعل المسيح عليه السلام ذلك بنفسه إذا كان هو الله وابن الله كما يزعمون؟!.. ألم يكن بإمكانه أن يغفر تلك الخطايا بدلاً من القبول بوضعه معلقاً على الصليب؟!

ثم كيف يقبل إلهٌ ـ كما يزعمون ـ أن يصلبه عبدٌ من عباده، أليس في هذا مجافاة للمنطق وتقليل بل وامتهان لقيمة ذلك الإله الذي يعبدونه من دون الله الحق؟.. وأيضاً كيف يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو الله وابن الله في آن واحد كما يزعمون؟!

كانت تلك الأفكار تدور في ذهن الفتى وتتردد في صدره، لكنه لم يكن وقتها

قادراً على أن يحلل معانيها أو يتخذ منها موقفاً حازماً، فلا السن تؤهله لأن يتخذ قراراً ولا قدراته العقلية تسمح له بأن يخوض في دراسة الأديان ليتبين الحقائق واضحة، فلم يكن أمامه إلا أن يواصل رحلته مع النصرانية ويسير وراء القسس مردداً ما يلقنونه له من عبارات مبهمة.

ومرت السنوات، وكبر فوزي وصار رجلاً، وبدأ في تحقيق أمنيته في أن يصير قسّاً يشار إليه بالبنان، وتنحني له رؤوس الصبية والكبار رجالاً ونساءً ليمنحهم بركاته المزعومة ويجلسون أمامه على كرسي الاعتراف لينصت إلى أدق أسرار حياتهم ويتكرم عليهم بمنحهم الغفران نيابةً عن الرب!!!

ولكن كم حسدهم على أنهم يقولون ما يريدون في حين أنه عاجز عن الاعتراف لأحد بحقيقة التساؤلات التي تدور بداخله والتي لو علم بها الآباء القسس الكبار لأرسلوا به إلى الدير أو قتلوه.

ويذكر فوزي أيضاً أنه كثيراً ما كان يتساءل:

«إذا كان البسطاء يعترفون للقس، والقس يعترف للبطريرك، والبطريرك يعترف للبابا، والبابا يعترف لله، فلماذا هذا التسلسل غير المنطقي؟... ولماذا لا يعترف الناس لله مباشرةً ويجنبون أنفسهم شر الوقوع في براثن بعض المنحرفين من القسس الذين يستغلون تلك الاعترافات في السيطرة على الخاطئين واستغلالهم في أمور غير محمودة؟!»

لقد كان القس الشاب يحيا صراعاً داخليّاً عنيفاً، عاش معه لمدة تصل إلى تسعه أعوام، كان حائراً بين ما تربى عليه وتعلمه في البيت والكنيسة، وبين تلك التساؤلات العديدة التي لم يستطع أن يجد لها إجابة برغم دراسته لعلم اللاهوت وانخراطه في سلك الكهنوت... وعبثاً حاول أن يقنع نفسه بتلك الإجابات الجاهزة التي ابتدعها الأحبار قبل قرون ولقنوها لخاصتهم ليردوا بها على استفسارات العامة برغم مجافاتها للحقيقة والمنطق والعقل.

لم يكن موقعه في الكنيسة يسمح له أن يسأل عن دين غير النصرانية حتى لا يفقد مورد رزقه وثقة رعايا الكنيسة، فضلاً عن أن هذا الموقع يجبره على إلقاء عظات دينية هو غير مقتنع بها أصلاً لإحساسه بأنها تقوم على غير أساس، ولم يكن أمامه إلا أن يحاول وأد نيران الشك التي ثارت في أعماقه ويكبتها، حيث إنه لم يملك الشجاعة للجهر بما يهمس به لنفسه سرّاً خيفة أن يناله الأذى من أهله والكنيسة، ولم يجد أمامه في حيرته هذه إلا أن ينكب بصدق وحماسة سرّاً على دراسة الأديان الأخرى.

وبالفعل أخذ يقرأ العديد من الكتب الإسلامية، فضلاً عن القرآن الكريم الذي أخذ يتفحصه في اطلاع الراغب في استكشاف ظواهره وخوافيه، وتوقف ودمعت عيناه وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٦، ١١٧).

قرأ فوزي تلك الكلمات وأحس بجسده يرتعش، فقد وجد فيها الإجابات للعديد من الأسئلة التي طالما عجز عن إيجاد إجابات لها، وجاء قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩).

لقد وجد أن القرآن الكريم قدم إيضاحات لم يقرأها في الأناجيل المحرفة المعتمدة لدى النصارى إن القرآن يؤكد بشرية عيسى عليه السلام وأنه نبي مرسل لبني إسرائيل ومكلف برسالة محددة كغيره من الأنبياء.

كان فوزي خلال تلك الفترة قد تم تجنيده لأداء الخدمة العسكرية وأتاحت له هذه الفترة فرصة مراجعة النفس، وقادته قدماه ذات يوم لدخول كنيسة في مدينة الإسماعيلية، ووجد نفسه ـ بدون أن يشعر ـ يسجد فيها سجود المسلمين، واغرورقت عيناه بالدموع وهو يناجي ربه سائلاً إياه أن يلهمه السداد ويهديه إلى الدين الحق.. ولم يرفع رأسه من سجوده حتى عزم على اعتناق الإسلام، وبالفعل أشهر إسلامه بعيداً عن قريته وأهله خشية بطشهم وإيذائهم، وتسمى باسم «فوزي صبحي عبدالرحمن المهدي».

وعندما علمت أسرته بخبر اعتناقه الإسلام وقفت تجاهه موقفاً شديداً ساندتهم فيه الكنيسة وبقية الرعايا النصارى الذين ساءهم أن يشهر إسلامه، في حن كان فوزي في الوقت نفسه يدعو ربه ويبتهل إليه أن ينقذ والده وإخوته ويهديهم للإسلام، وقد ضاعف من ألمه أن والدته قد ماتت على دين النصرانية.

ولأن الدعاء مخ العبادة فقد استجاب الله لدعاء القلب المؤمن، فاستيقظ ذات يوم على صوت طرقات على باب شقته، وحين فتح الباب وجد شقيقته أمامه تعلن رغبتها في اعتناق الإسلام.. ثم لم يلبث أن جاء والده بعد فترة ولحق بابنه وابنته على طريق الحق.

ومن الطريف أن يعمل فوزي ـ الآن ـ مدرساً للدين الإسلامي في مدارس منارات جدة بالمملكة العربية السعودية.. أما والده فقد توفاه الله بعد إسلامه بعام ونصف العام.. وتزوجت شقيقته من شاب نصراني هداه الله للإسلام فاعتنقه وصار داعية له، وهو يعمل حالياً إماماً لأحد المساجد بمدينة الدوحة بدولة قطر حيث يعيش مع زوجته حياة أسرية سعيدة.

10 ـ الشهيد القس السابق الأثيوبي ملقاه فقادو

مانشرته صحيفة المسلمين عنه عدد 2 اكتوبر 1991 ـ بتصرف:

القس الأثيوبي الذي أسلم على يديه الكثيرون:

نال ثقة الكنيسة فيما يقوم به من نشاط في حركات التبشير والتنصير حتى وصل إلى أعلى المراتب الكنيسية، ولكن داخله الشك عندما وقع تحت يده كتاب يتضمن تفاسير قرآنية وكانت بداية خطواته على طريق الإيمان الذي يحكيه فيقول:

«عشت سنوات من التيه، ولم أكن أدري ما يخبئه القدر لي... خدمت المسيحية بكل ما أستطيع، ومن ثم تدرجت في السلم الكنيسي حتى وصلت إلى مراتب عليا في الكنيسة وأصبحت أحد القياديين فيها، ثقةً من كبار القساوسة في شخصي وفيما أقوم به من نشاط بكل إخلاص وهمة، مما دفعهم إلى تحميلي مسئوليات كبرى في التبشير والتنصير.

كنت محبّاً للقراءة والاطلاع، فلم أجد كتاباً عن الإنجيل إلا قرأته حتى فوجئت وأنا أقرأ بعض الكتب الإنجيلية المترجمة أنها تتناول الدين الإسلامي وتطرح سؤالاً مؤداه: أهو دين سماوي أم لا؟.. وعندما وصلت إلى هذه النقطة بدأت أعيد طرح السؤال مرة أخرى... ثم مرت الأيام وعثرت على كتاب للتفاسير القرآنية مكتوب باللغة الأمهرية، فبدأت أقارن بين ما وجدته في هذا الكتاب وما قرأته سابقاً في الترجمات الإنجيلية عن دين محمد، حتى بدأ يداخلني الشك وأشعر بالفرق الهائل وبالتحريف الذي حدث تجاه دين الإسلام، حتى أيقنت تماماً أن الإسلام هو الدين الحقيقي.. بعدها أشهرت إسلامي وتسميت باسم «محمد سعيد قفادو».. بعدها عكفت على إعداد دراسة تبين أسباب إسلامي موضحاً فيها حقيقة المعلومات الخاطئة المنحرفة في الكتب الإنجيلية، ومن ثم أوردت الحقائق الثابتة ورفعتها إلى المجلس الإسلامي الأعلى في أديس أبابا».

ثم يصمت برهةً يلتقط فيها أنفاسه ليعرض رد فعل الكنيسة فيقول:

«لم تقف الكنيسة موقف المتفرج بعد أن فضحها من عاش بداخلها ردحاً من الزمن، فتحركت بسرعة وحركت أذنابها في السلطة الشيوعية إبَّان عهد «منجستو» وسلطوا عليّ أجهزة الأمن التي قامت باعتقالي، ودخلت السجن لمدة ثلاثة أشهر بلا ذنب سوى أنني اعتنقت الإسلام وتخليت عن المسيحية».

وكان لمحمد سعيد دور في الدعوة الإسلامية فيعبر عن ذلك بقوله:

«بعد خروجي من السجن استفدت من علاقاتي الشخصية ونجحت في إدخال أكثر من مائتي شخص جديد لدين الإسلام، ولكن الأسقف «كارلويوس» رئيس القساوسة لم يهنأ له بال حتى قام برشوة أجهزة القمع فى نظام «منجستو» الديكتاتوري، ومرةً ثانية جرى اعتقالي وتأكد لي أنني لن أخرج هذه المرة من السجن، ولا سيما أن الكنسيين مستمرون في ملاحقتي، غير أنه بعد زيارة قام بها الدكتور «عبدالله عمر نصيف» الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي لأثيوبيا ولقائه مع الرئيس السابق «منجستو» طلب منه الإفراج عني، فاستجاب لطلبه».

وهكذا نجد أنفسنا أمام شخصية صارت تستميت من أجل عقيدتها لا يثنيها عنها المكائد المتلاحقة.

وهذا ما كتبته مجلة الفيصل عنه عدد أبريل 1992 ـ بتصرف ـ :

ولد ملقاه فقادو لأب يهودي وأم نصرانية في إحدى قرى أثيوبيا، ودرس في صباه المبكر التوراة والإنجيل، واختار أن يصير نصرانيّاً كأمه، ولم يكن اختياره نابعاً عن قناعة بالديانة النصرانية، ولكن للأفضلية التي يحظى بها أتباع هذه العقيدة في بلاده التي تعد أحد معاقل النصرانية في أفريقيا.

ولم يجد «ملقاه» ذاته في التوراة أو الإنجيل، إذ رأى في الأولى مجموعة من الأقاصيص والأساطير التي عمد الكهان والأحبار إلى حشوها بكل ما هو غريب بعد أن حرفوا الكلم عن مواضعه، فلم يتقبل عقل «ملقاه» ما في التوراة المحرفة

من خرافات وأباطيل، فنبذها إلى دراسة الإنجيل الذي تؤمن به والدته، فوجد أن التناقض بين نصوص الأناجيل واضح، فضلاً عن كونها لا تقدم تفسيراً للحياة والكون ولا تحاول تنظيم أية علاقة في شئون الدنيا والآخرة، فأدرك أنها ليست الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام، أما الإسلام فلم يحاول «ملقاه» أن يدرسه ولم يَسْعَ إليه لحظة، فالدعاية الكنسية القوية والمؤثرة تصور الإسلام على أنه دين المتخلفين وتنسب العديد من الافتراءات والأكاذيب عليه وعلى المسلمين، ومن ثم كبر «ملقاه» على بغض الإسلام، وبحث عن مهنة تليق بمستوى أسرته الاجتماعي وتتيح له أن يحيا حياته في بحبوحة ورغد من العيش، فلم يجد أفضل من السلك الكنسي، حيث سيحظى بالاحترام وبالمرتب الكبير وبالسيارة، وقد ساعده على الالتحاق بالعمل في الكنيسة حفظه التوراة، وصار الشاب «ملقاه» قسّاً يشار إليه بالبنان وتقبل العامة يديه وينادونه «أبانا»،،

واستمر عمله في الكنيسة ست سنوات، اجتهد خلالها في الدعوة إلى النصرانية دونما كلل أو ملل ولا سيما أنه ينعم بمميزات عدة من راتب سخي وسكن أنيق وسيارة فاخرة في بلد تهدده المجاعة كل يوم وتفتك بالكثيرين من مواطنيه.

وظل هكذا يعمل بجد في خدمة الكنيسة والدعوة لمعتقداتها حتى كانت ليلة فاصلة إذ رأى فيها ـ فيما يرى النائم ـ رجلاً يقترب منه في المنام ويوقظه هاتفاً به أن يقرأ شهادتي: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وسورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾.. فقام من نومه فزعاً وقد روعته تلك الرؤيا التي لم يستوعبها، وإنما فسرها بفهمه القاصر على أنها من الشيطان.

وتكررت الرؤيا ليلتين أخريين، ورأى في الليلة الثالثة نوراً يضئ أمامه الطريق ورجلاً يقرؤه الشهادتين وسورة الإخلاص، فأدرك من فوره أن هذه رؤيا حق وليست من عمل شيطان رجيم كما كان يتوهم، فالنور الذي أضاء سبيله في

الرؤيا قد تسرب في وجدانه وأنار بصيرته فأصبح من يومه وفي قرارة نفسه إيمان عميق بأن عقيدة الإسلام هي الحق وما دونها باطل.. ولم يطُل به التفكير لأنه بحكم دراسته اللاهوتية كان مطلعاً على البشارات العديدة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولذا أشهر إسلامه عن اقتناع تام.

وعندما حدَّث زوجته في الأمر عارضاً عليها الدخول في الإسلام جاوبته بالإيجاب ودخلت معه في عقيدة التوحيد، وكذلك فعل أطفاله الثلاثة.

وكان أول ما فعله «ملقاه» بعد إشهار إسلامه أن قام بتغيير اسمه إلى «محمد سعيد» معتبراً ذلك اليوم يوم ميلاده الحقيقي شاكراً الله تعالى ما أنعم به عليه من نعمة الهداية إلى دين الحق.

أما بالنسبة للأوساط الكنسية الأثيوبية فقد استقبلت نبأ إسلام «محمد سعيد» بغضب شديد، ولم تكتف بحرمانه من الامتيازات التي كان ينعم بها من مسكن راق وسيارة فاخرة وراتب ضخم وغير ذلك، بل سعت حتى أدخلته السجن ليلقى صنوفاً وألواناً من التعذيب في محاولة لرده عن إيمانه وليكون عبرة وعظة لكل من يفكر في ترك النصرانية والالتحاق بركب الإسلام.

وتحمل «محمد سعيد» كل ذلك صابراً محتسباً أجره عند الله، ولم يتزحزح إيمانه قيد أنمُلة، ولسانه يلهج بالقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله»..

وحين لم تُجْدِ معه وسائل التعذيب ـ وما أكثرها! ـ اضطر القساوسة إلى تركه لكيلا يتحول إلى رمز وقدوة تنير الطريق لكثير من رعايا الكنيسة إلى درب دين الحق.

وخرج «محمد سعيد» من السجن أقوى إيماناً وأشد تصميماً على إيصال دعوة الحق إلى غيره إذ زادته محنة السجن ثباتاً وحرصاً على أن يصبح داعية للإسلام بعدما كان قسّاً يدعو إلى النصرانية، وجعله الله سبباً في هداية نحو 280 شخصاً اعتنقوا الإسلام على يديه.

ويذكر «محمد سعيد» أنه قد استفاد من دراسته العميقة للتوراة والإنجيل في استكشاف الكثير من أوجه الإعجاز القرآني، وأنه بحكم عمله السابق كقس يدرك الأساليب غير السوية التي يلجأ إليها المنصرون من أجل جذب الفقراء والمحتاجين إلى الديانة النصرانية، حيث يستغلون فقر الناس وعَوزَهم بالتظاهر بمواساتهم ماديّاً ومعنوياً والاهتمام بهم صحيّاً وتعليميّاً في محاولة لاكتساب ودهم ومحبتهم، ومن ثم السيطرة على عقولهم وإقناعهم بأن في النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا!!

هذا ويقضي «محمد سعيد» أوقاته في حفظ القرآن الكريم، مع ما في ذلك من مشقة لكونه من غير الناطقين باللغة العربية ليتمكن من الدعوة الإسلامية.. وعن أسلوبه في الدعوة يقول: «أعتمد على معرفة عقيدة من أدعوه من غير المسلمين، ومن ثم مناقشته في عقيدته وإظهار بطلانها ومخالفتها للفطرة والعقل، ثم بعد ذلك أقوم بشرح ما في الإسلام من نواحٍ خيِّرة عديدة مبيناً أنه الدين الحق الذي اختاره الله للبشرية منذ بدء الخليقة، فالإسلام يعني التسليم لله بالربوبية والطاعة والانقياد لأوامره ـ عز وجل ـ واجتناب نواهيه».

وعن أمنية «محمد سعيد» يقول:

«أمنيتي الخاصة أن أتمكن من هداية والدي ووالدتي إلي دين الحق.. أما أمنيتي العامة فهي أن أستطيع أن أكون أحد فرسان الدعوة الإسلامية وأن يوفقني الله لما فيه خير أمة الإسلام وأن ينصرها ويعلي شأن دينه».

أجل.. أمنيات تدل على صدق إيمان القس السابق «ملقاه» بدين محمد صلى الله عليه وسلم الذي صار سعيداً باعتناقه له فتسمى باسم نبي الإسلام ويقرنه بكونه سعيداً.

أما آخر أخباره فكان الخبر التالي من موقع مفكرة الإسلام :www.islammemo.cc

(فقادو) من أشهر قساوسة أثيوبيا، ذاع صيته وانتشر لنشاطه في تنصير

أعداد كبيرة من أبناء جلدته، تعمق في دراسة النصرانية واطلع على أدق تفاصيلها وخفاياها، وأصبح علماً بارزاً من أعلامها، وقد أكسبته هذه الشهرة الجاه والمال وأصبح ذا شأن عظيم في أوساط نصارى القرن الأفريقي.

رأى في منامه كأنه يقرأ سورة الإخلاص بكاملها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ ونظراً لما يمتاز به من ذكاء حاد وفطنة وحس يقظ لم تمر عليه هذه الرؤيا مرور الكرام بل ظل يدور حولها ويمعن النظر في تفسيرها ويفكر في فحواها ومغزاها. ولما لم يصل إلى نتيجة مقنعة حول تعبير هذه الرؤيا ذهب إلى مكتب رابطة العالم الإسلامي بأثيوبيا علّه يجد ما يطفيء ظمأه، ويجد تعليلاً وتوضيحاً وتفسيراً لرؤيته التي لم يهدأ له بال بعدها لإدراكه بأن هذه السورة من سور القرآن. وقد وجد في مكتب الرابطة ضالته إذ أوضح له مدير المكتب مغزى هذه الرؤيا وأن الله عز وجل أراد له الهداية وإخراجه من الظلمات إلى النور وكعادة مكاتب الرابطة، المنتشرة في مختلف أنحاء العالم، في نشر الدعوة الإسلامية وإرشاد الناس إلى دين الله اقتنع السيد (فقادو) بعد عدة زيارات للمكتب بالإسلام وأشهر إسلامه بحمد الله وأصبح اسمه (محمد سعيد).

ونظراً لما يمثله هذا الرجل من ثقل في النصرانية فقد أزعج إسلامه الكنيسة واعتبروه مارقاً عن ديانتهم ولا مناص من عودته إلى النصرانية أو تصفيته جسديّاً. وفي الجانب الآخر يعتبر إسلام هذا الرجل مكسباً للمسلمين نظراً لكثرة أتباعه وتأثيره عليهم وتأثرهم به مما سيؤدي إلى إسلام قرى بأكملها وهذا ما تم بالفعل.

ولما أحس رجال الكنيسة بما يمثله (فقادو) من خطورة وأدركوا تمسكه بالإسلام واستحالة عودته إلى ديانتهم قرروا الانتقام منه وقد فطن إلى ذلك. وقام مكتب الرابطة بأثيوبيا بالتنسيق مع الأمانة العامة للرابطة بمكة المكرمة بمنحه تأشيرة دخول إلى المملكة العربية السعودية لإبعاده عن مضايقات رجال

الكنيسة من جهة ولتعليمه مبادئ الإسلام فى مهبط الوحي من جهة أخرى. ونظراً لعدم إلمامه باللغة العربية فقد تم إلحاقه بمعهد اللغة العربية التابع لجامعة أم القرى بمنحة من الرابطة وتم تأمين سكن مناسب له ولأسرته بمكة المكرمة وتخصيص راتب شهري يليق بمكانته. ونظراً لحدة ذكائه كما أسلفت فقد تعلم أساسيات اللغة العربية في وقت قياسي وتعمق في دراسة الإسلام وحسن إسلامه وظهرت سمات الصلاح في وجهه وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم وترقق قلبه وأصبح دائم البكاء من شدة فرحه بما أنعم الله عليه من نور الهداية.

وفي هذه الأثناء جاءته ابنة راعي الكنيسة قادمة من أثيوبيا وهى شابة حسناء، أتته باكية مستنجدة مدعية بأن أباها طردها عندما أدرك أنها سوف تعتنق الدين الإسلامي وهى جاءت إلى فقادو لكي ينقذها من أسرتها التي تريد قتلها وطلبت منه أن يتزوجها ويعلمها الإسلام وتم لها ما أرادت فتزوجها وأسكنها في جدة لأن زوجته الأولى أسلمت معه وسكنت في مكة المكرمة.

ولم يكن يعلم بما حيك له من سوء وما دبر له من مكائد فقد يئس رجال الكنيسة من عودته إلى ديانتهم فخططوا لقتله حتى وإن كان خارج أثيوبيا.

وأرسلوا له هذه الحسناء المصابة بمرض الإيدز وبالتالي انتقلت إليه العدوى ونقلها دون أن يعلم إلى زوجته الأولى. ولما أدركت هذه الشابة نجاح مهمتها ولّت هاربة إلى إثيوبيا تاركة هذا المرض يسري في جسد محمد سعيد وزوجته. ولم يمهلهما المرض كثيراً حيث توفيت زوجته بعد عدة أشهر أما هو فقد هزل جسمه وضعفت قوته ثم قضى نحبه ودفن بمكة المكرمة. نسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾ (البقرة: ١٢٠).

رحمك الله يا فقادو وتقبلك شهيداً في جنة الخلد.

11 ـ القس السابق الإندونيسي من أصل هولندي رحمة بورنومو[1]

إنه رجل ينتسب إلى أب هولندي وأم إندونوسية من مدينة (أمبون) الواقعة في جزيرة صغيرة في أقصى الشرق من جزر إندونيسيا، والنصرانية هي الدين الموروث لأسرته أباً عن جد.

كان جده قسيساً ينتمي إلى مذهب البروتستانت، وكان أبوه أيضاً قسيساً على مذهب بانتي كوستا، وكانت والدته معلمة الإنجيل للنساء، أما هو نفسه فقد كان قسّاً، ورئيساً للتبشير في كنيسة (بيتل إنجيل سبينوا)، وقد قال وهو يحكي سبب إسلامه:

لم يخطر ببالي ولو للحظة واحدة أن أكون من المسلمين، إذ أنني منذ نعومة أظفاري تلقيت التعليم من والدي الذي كان يقول لي دائماً: (إن محمداً رجل بدوي صحراوي ليس له علم ولا دراية، ولا يقرأ وأنه أمي)، هكذا علمني أبي، بل أكثر من ذلك فقد قرأت للبروفسور الدكتور ريكولدي النصراني الفرنسي قوله في كتاب له: (بأن محمداً رجل دجال يسكن في الدرك التاسع من النار)، هكذا كانت تساق المفتريات الكثيرة لتشويه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنذ ذلك الحين تكونت لدي فكرة مغلوطة راسخة تدفعني إلى رفض الإسلام، وعدم اتخاذه ديناً لي.

ثم يقول: الواقع أنه لم يكن من أهدافي بحال من الأحوال أن أبحث عن دين الإسلام، ولكني كان يحدوني دائماً دافع لأن أهتدي إلى الحق، ولكن لماذا كنت أبحث عن الحق المجهول؟ ولماذا تركت ديني رغم أنني كنت أتمتع بمكانة مرموقة بين قومي، وحيث كنت رئيس التبشير المسيحي في الكنيسة، وكنت أحيا بناء على ذلك حياةً كلها رفاهية ويسر، إذن لماذا اخترت الإسلام؟

(1) نقلاً عن كتاب (علو الهمة) للشيخ محمد بن إسماعيل ص (239 ـ 254) بتصرف يسير.

لقد بدأت القصة على النحو التالي:

في يوم من الأيام أرسلتني قيادة الكنيسة للقيام بأعمال تبشيرية لمدة ثلاثة أيام ولياليها في منطقة (دايري) التي تبعد عن عاصمة (ميدان) الواقعة في شمال جزيرة (سومطرة) بضع مئات من الكيلومترات، ولما انتهيت من أعمال التبشير والدعوة أويت إلى دار مسئول الكنيسة في تلك المنطقة، وكنت في انتظار وصول سيارة تقلني إلى موقع عملي، وإذا برجل يطلع علينا فجأة لقد كان معلماً للقرآن، وهو ما يسمى في إندونيسيا مطوع في الكُتَّاب، وهو المدرسة البسيطة التي تعلم القرآن، لقد كان الرجل ملفتاً للأنظار، كان نحيف الجسم، دقيق العود يرتدى كوفية بيضاء بالية خلقة، ولباساً قد تبدل لونه من كثرة الاستعمال، حتى إن نعله كان مربوطاً بأسلاك لشدة قدمه، اقترب الرجل مني، وبعد أن بادلني التحية بادرني بالسؤال التالي، وكان سؤالاً غريباً من نوعه، قال: (لقد ذكرت في حديثك أن عيسى المسيح إله، فأين دليلك على ألوهيته؟)، فقلت له: (سواء أكان هناك دليل أم لا فالأمر لا يهمك: إن شئت فلتؤمن، وإن شئت فلتكفر) وهنا أدار الرجل ظهره لي، وانصرف، ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، فقد أخذت أفكر في قرارة نفسي، وأقول: هيهات هيهات أن يدخل هذا الرجل الجنة، لأنها مخصصة فقط لمن يؤمن بألوهية المسيح فحسب، هكذا كنت أعتقد جازماً آنذاك.

ولكن عندما عدت إلى بيتي وجدت أن صوت الرجل يجلجل في روعي، ويدق بقوة في أسماعي، مما دفعني إلى الرجوع إلى كتب الإنجيل بحثاً عن الجواب الصحيح على سؤاله، ومعلوم أن هناك أربعة أناجيل مختلفة أحدها بقلم متَّى، والآخر مارك، والثالث لوقا، والرابع إنجيل يوحنا، هذه التسميات أُخذت لمؤلف كل منها، أي أن الأناجيل الأربعة المشهورة هي من صنع البشر، وهذا غريب جداً، ثم سألت نفسي: (هل هناك قرآن بنسخ مختلفة من صنع البشر؟) وجاءني

الجواب الذي لا مفر منه، وهو: (بالطبع لا يوجد)، فهذه الكتب وبعض الرسائل الأخرى هي فقط مصدر تعاليم الديانة المسيحية المعتمدة!

وأخذت أدرس الأناجيل الأربعة فماذا وجدت؟ هذا إنجيل متَّى ماذا يقول عن المسيح عيسى عليه السلام؟ إننا نقرأ فيه ما يلي: (إن عيسى المسيح ينتسب إلي إبراهيم وإلى داود... إلخ) (1ـ1) إذن من هو عيسى؟ أليس من بني البشر؟ نعم إذن فهو إنسان، وهذا إنجيل لوقا يقول: (ويملك علي بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية) (1ـ33)، وهذا إنجيل مارك يقول: (هذه سلسلة من نسب عيسى المسيح ابن الله) (1:) وأخيراً ماذا يقول إنجيل يوحنا عن عيسى المسيح عليه السلام؟ إنه يقول: (في البدء كان المسيح، والمسيح عند الله، والمسيح هو الله).

قلت لنفسي: إذن هناك خلاف بارز بين هذه الكتب الأربعة حول ذات المسيح عيسى عليه السلام أهو إنسان أم ابن الله أم ملك أم هو الله؟ لقد أشكل عليَّ ذلك، ولم أعثر على جواب، وهنا أحب أن أسال إخواني النصارى: (هل يوجد في القرآن الكريم تناقض بين آية وأخرى؟) بالطبع لا ـ لماذا؟ لأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، أما هذه الأناجيل فهي من تأليف البشر، إنكم تعرفون ولا شك أن عيسى عليه السلام كان طيلة حياته يقوم بأعمال الدعوة إلى الله هنا وهناك، ولنا أن نتساءل:ـ ترى ما هو المبدأ الأساسي الذي كان يدعو إليه عيسى عليه السلام؟

ثم واصلت البحث، فوجدت في إنجيل يوحنا نصوصاً تشير إلى دعاء المسيح عليه السلام وتضرعه إلى الله سبحانه وتعالى. فقلت في نفسي: لو كان عيسى هو الله القادر على كل شيء فهل يحتاج إلى هذا التضرع والدعاء الذي ورد في إنجيل يوحنا، هذا هو نص الدعاء: (هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته، أنا مجدتك على الأرض، العمل

الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته) (17ـ3ـ4) وهو دعاء طويل يقول في نهايته: (أيها الرب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به) (17ـ25ـ26).

هذا الدعاء يمثل اعترافاً من عيسى عليه السلام بأن الله هو الواحد الأحد، وأن عيسي هو رسول الله المبعوث إلى قوم معينين، وليس إلى جميع الناس، فأي قوم هم هؤلاء يا ترى؟ نقرأ جواب ذلك في إنجيل متّى (15ـ4) حيث يقول: (لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة)، إذن لو ضممنا هذه الاعترافات إلى بعضها لأمكننا أن نقول: (إن الله الواحد الأحد وإن عيسى عليه السلام هو رسول الله إلى بني إسرائيل). ثم واصلت البحث، فتذكرت أنني حين أكون في صلاتي أقرأ دائماً العبارات التالية: (الله الأب، الله الابن، الله الروح القدس، ثلاثة في أقنوم واحد)، قلت لنفسي: أمر غريب حقّاً، فلو سألنا طالباً في الصف الأول الابتدائي (1+1+1=3؟)، لقال: (نعم)، ثم إذا قلنا له: (ولكن أيضاً 3=1)، لما وافق على ذلك، إذ أن هناك تناقضاً صريحاً فيما نقول، لأن عيسى عليه السلام يقول في الإنجيل كم رأينا بأن الله واحد، لا شريك له.

لقد حدث تناقض صريح بين العقيدة التي كانت راسخة في نفسي منذ أن كنت طفلاً صغيراً، وهي: ثلاثة في واحد، وبين ما يعترف به المسيح عيسى نفسه في كتب الإنجيل الموجودة الآن بين أيدينا وهي أن الله واحد أحد، فأخذت أبحث في الإنجيل من جديد لعلي أقع على ما أريد، لقد وجدت في سفر أشعياء النص التالي: (اذكروا الأوليات منذ القديم، لأني أنا الله وليس آخر الإله، وليس مثلي)(46:9) ولشد ما كانت دهشتي عظيمة حين اعتنقت الإسلام فوجدت في سورة الإخلاص قول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ نعم، مادام الكلام

كلام الله فهو لا يختلف حيثما وجد، هذا هو التعليم الأول أو البديهية الأولى في ديانة المسيحية السابقة، إذن (ثلاثة في واحد) لم يعد لها وجود في نفسي.

ثم ينتقل الأخ رحمة بورنومو الإندونيسي إلى نقطة جوهرية أخرى جعلته يختار الإسلام ديناً فهو يقول:

أما البديهية الثانية في الديانة المسيحية فتقول بأن هناك ما يسمى بالذنب الوراثي أو الخطيئة الأولى، ويُقصد بها أن الذنب الذي اقترفه آدم عليه السلام عندما أكل الثمرة المحرمة عليه من الشجرة في الجنة، هذا الذنب سوف يرثه جميع بني البشر حتى الجنين في رحم أمه يتحمل هذا الإثم يولد آثماً، فهل هذا صحيح أم لا؟ لقد أخذت أبحث عن حقيقة ذلك، فلجأت إلى العهد القديم فوجدت في سفر حزقيال ما يلي: (الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون، فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وعمل حقّاً وعدلاً، فحياة يحيا ولا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه) (حزقيال 20:18ـ21).

لعل من المناسب هنا أن نذكر ما يقوله القرآن الكريم في هذا المقام: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (فاطر: ١٨).. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يُولد ابن آدم على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، هذه هي القاعدة في الإسلام، ولا يوافقها ما جاء في الإنجيل، فكيف يقال: (إن خطيئة آدم تنتقل من جيل إلى جيل، وأن الإنسان يولد آثماً؟).

يقول الأخ (رحمة بورنومو) الإندونيسي:

إذن هذه التعاليم المسيحية قد اتضح بطلانها وافتراؤها بنص صريح من الكتاب الموصوف بـ (المقدس) نفسه.

وهناك البديهية الثالثة في التعاليم النصرانية التي تقول: إن ذنوب بني البشر لا تغفر حتى يصلب عيسى عليه السلام، لقد أخذت أفكر في هذه البديهية، وأتساءل: (هل هذا صحيح؟) وكان الجواب الذي لا مفر منه: بالطبع لا، لأن النص الآنف الذكر في العهد القديم ينفي مثل هذا الاعتقاد بقوله: (فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقّاً وعدلاً، فحياة يحيا ولا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه)، أي أن الله يغفر ذنوبه دون حاجة إلى أية وساطة من أحد.

ويمضي الأخ الأندونيسي الذي كان قسّاً في يوم من الأيام يحدثنا عما فعل بعد ذلك ضمن رحلته الطويلة من الكفر إلى الإسلام، فيقول:

لقد واصلت البحث في عدد من القضايا الاعتقادية الأخرى، لقد وضعت يوماً من الأيام كُلاّ من الإنجيل والقرآن أمامي على المنضدة، ووجهت السؤال التالي إلى الإنجيل قلت له: (ماذا تعرف عن محمد؟) فقال: (لا شيء، لأن اسم محمد غير مذكور في الإنجيل)، ثم وجهت السؤال التالي إلي عيسى كما تحدث القرآن فقلت: (يا عيسى ابن مريم ماذا تعرف عن محمد؟) فقال: (لقد ذكر القرآن بما لا يدع مجالاً للشك أن رسولاً لا بد أن يأتي بعدي اسمه أحمد)، يقول تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ (الصف: ٦) فأى حق ذلك يا ترى؟

ثم يقول: هناك إنجيل واحد هو إنجيل برنابا وهو غير الأناجيل الأربعة التي ذكرناها من قبل، وهذا الإنجيل للأسف حَرَّم رجالُ الدين النصارى على أتباعهم الاطلاع عليه، أتدرون لماذا؟ الأرجح أنه لأن هذا الإنجيل هو الوحيد الذي يتضمن البشرى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتقل فيه الإضافات والتحريفات إلى حد أدنى، كما أن فيه حقائق تطابق ما جاء في القرآن الكريم، جاء في

إنجيل برنابا (إصحاح 163): وقتئذ يسأل التلاميذ المسيح: يا معلم من يأتي بعدك؟ فقال المسيح بكل سرور وفرح: محمد رسول الله سوف يأتي من بعدي كالسحاب الأبيض يُظل المؤمنين جميعاً.

ويمضي الأخ رحمة بورنومو فيقول: ثم قرأت آية أخرى في إنجيل برنابا وهي قوله في (الإصحاح 72): وقتئذ إندرياس (التلميذ) يسأل المسيح: (يا معلم! حين يأتي محمد، ما هي علاماته حتى نعرفه؟) فقال المسيح: (محمد لا يأتي في عصرنا هذا، وإنما يأتي بعد مئات السنين حين يُحرَّف الإنجيل، والمؤمنون حينئذ لا يبلغ عددهم ثلاثين نفراً، فحينئذ يرسل الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم)، لقد تردد ذكر ذلك في إنجيل برنابا عدة مرات أحصيتها فوجدت أن فيه خمسة وأربعين آية تذكر محمداً صلى الله عليه وسلم، وقد اكتفيت بالآيتين السابقتين على سبيل الاستشهاد.

بعد ذلك يتحدث الأخ المهتدي الجديد، من إندونيسيا عن جانب آخر من دراسته المقارنة فيقول:

ومن التعاليم البديهية في الديانة المسيحية أن عيسى عليه السلام هو المنقذ المخلِّص للعالم، أي أنك إذا آمنت بألوهية عيسى فسوف تنجو، وهذا يعني أنك يمكنك أن تفعل ما تشاء غيرَ آبهٍ بالذنوب والمعاصي مادمت تؤمن بعيسى كمنقذ لك، شريطة أن تكون علي يقين بأنك من التابعين، قلت لنفسي: لابد أن أبحث في الإنجيل وأعرف الحق من الباطل في ذلك، في سفر أعمال الرسل رسالة بولس الأول إلى أهل كورينثوس يقول: الله قد أقام الرب وسيُقيمنا نحن أيضاً بقوته (6:14)، والقصة كما وردت في التعاليم المسيحية فيه كالآتي: أنه لما قبضوا على السيد المسيح عرضوه أمام العدالة فحكم عليه بالصلب، ثم دُفن فهنا تأتي الآية مناسبة لتلك القصة.

وهنا يعلق الأخ رحمة بورنومو فيقول: لقد تأملت هذه الآية طويلاً ثم قلت:

إذا لم يتدخل الله في إقامة المسيح من القبر لبقي مدفوناً تحت التراب إلى يوم القيامة، إذن ما دام المسيح لم يستطع إنقاذ نفسه فكيف يكون بوسعه إنقاذ الآخرين؟ هل يليق بإله - كما يزعمون - أن يكون عاجزاً عن ذلك؟ لا أشك لحظة أن كل ذي عقل سيوافقني فيما ذهبت إليه. أليس كذلك؟

ثم يقول:

عند ذلك عزمت على الخروج من الكنيسة وعدم الذهاب إليها، كان ذلك في عام 1969 حيث خرجت فعلاً ولم أعد أتردد على الكنيسة، وليس معنى ذلك أنني خرجت ذلك الحين من الديانة النصرانية نفسها، لأنه كما هو معلوم هناك كنائس ومذاهب شتى في الديانة النصرانية، فهناك الكاثوليك، والبروتستانت، والميثوديست، والبلاي كسلامتن، واليونيتاريان، وغيرها كثير، حتى أنني أستطيع أن أقول بأن هناك أكثر من 360 مذهباً في الديانة النصرانية، وصدق الله العظيم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

قد يقول قائل: وفي الإسلام أيضاً توجد مذاهب وطوائف عدة، فهناك المذاهب الأربعة المعروفة، وهي الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي وغيرها.

والجواب هو أن أتباع المذاهب.. لا يختلفون في أصول الدين بل يتفقون جميعاً أن الله واحد، لا شريك له، وأن محمداً رسول الله، كما يتفقون في أركان الإسلام الخمسة، وجوانب الخلاف بينهم في الفروع الفقهية فقط لا في الأصول، أما في الديانة المسيحية فالأمر مختلف تماماً إذ الخلاف في صُلب العقيدة، وهذا هو الفارق بين الإسلام والمسيحية.

ومهما اختلفت المذاهب في الإسلام فإنك لا تجد مسجداً يخص مذهباً معيناً دون سائر المساجد، بل على العكس من ذلك، فإذا نادى المنادي للصلاة تجد كل مسلم يدخل أقرب مسجد ليصلي فيه. ولكن الأمر مختلف تماماً في

الديانة النصرانية: فكل كنيسة تتبع مذهباً معيناً ولا يدخلها إلا أتباع ذلك المذهب فحسب، فالكاثوليكي لا يصلي في كنيسة بروتستانتية، والبروتستانتي لا يصلي هو الآخر في كنيسة كاثوليكية، وهكذا.

ثم يمضي الأخ رحمة بورنومو في قصته الشائقة، فيقول:

وذات يوم لقيت صديقاً لي فدعاني إلى الكاثوليكية، وأخذ يعدد مميزات لهذا المذهب لم أجد مثلها في مذهبي البروتستانتي، قال صديقي: (في هذا المذهب توجد حجرة الغفران، وهي عبارة عن غرفة في الكنيسة يجلس فيها قس ذو لحية كثيفة يرتدي لباساً أسود، ويقعد على كرسي عال، ومن طلب العفو والغفران ذهب إليه، وردد بعض الألفاظ غير المفهومة، وما أن يكاد يفرغُ من قراءتها حتى يقال له بأنه بريء من ذنوبه، ويرجع كيوم ولدته أمه، وهكذا قال لي صديقي، وأضاف قائلاً: كل ما تقترف يداك من الذنوب خلال أيام الأسبوع كفيل بأن يُغفر لك عند ذهابك إلى الكنيسة يوم الأحد، وحصولك على الغفران. فأنت لا تحتاج إلى الصلاة، ولا إلى العبادة، ولكن إذا تركت ذلك كله وذهبت إلى القس، واعترفت أمامه، غُفرت ذنوبك).

يقول الأخ رحمة بورنومو: لقد تذكرت ما يقرره الإسلام في ذلك، وهو أن البشر مهما علت رتبة أحدهم لا يمكن أن يُوكَلَ إليه غفران ذنوب العباد، كما أن التوبة والمغفرة لا تُسقط التكاليف والفرائض، بل لابد للتائب من أن يؤدي الصلوات الخمس اليومية في أوقاتها، فإذا تركها فلا قيمة لتوبته وعليه إثم كبير لا يمكن أن يتحمله عنه غيره من الناس ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخرىٰ﴾ صدق الله العظيم (فاطر: ١٨).

ثم يقول: لقد رأيت الداخلين إلى حجرة الغفران في الكنيسة عليهم أمارات الحزن والكآبة لثقل الذنوب، بينما رأيت من يخرج منها وقد علت وجهه ابتسامة الفرح لاعتقاده بأن ذنوبه قد غفرت له، أما أنا فحين جربت تلك الغرفة دخلتها

حزيناً وخرجت منها حزيناً، لماذا يا ترى؟ لأنني كنت أفكر وأتسائل: (هذه ذنوبنا يتحملها القس، ولكن من يتحمل ذنوبه هو؟) وهكذا لم أقتنع بالكاثوليكية فتركتها، وبحثت عن دين آخر.

ثم يحدثنا الأخ رحمة بورنومو عن المرحلة التالية من رحلته من الشك إلى اليقين فيقول: بعد ذلك تعرفت على طائفة نصرانية أخرى تسمى (شهود يهوه) وهي مذهب آخر من مذاهب النصرانية، لقيت رئيسهم، وسألته عن تعاليم مذهبه، وقلت له: (من تعبدون؟)، قال: (الله)، قلت: (ومن هو المسيح؟) فقال: (عيسى هو رسول الله)، فصادف ذلك موافقة لما كنت أومن به، وأميل إليه، ودخلت كنيستهم فلم أجد فيها صليباً واحداً، فسألته عن سر ذلك، فقال: (الصليب علامة الكفر، لذلك لا نعلقه في كنائسنا).

وهكذا رضي الأخ رحمة بورنومو أن يعرف المزيد عن شهود يهوه، وهو يصف هذه الفترة من حياته فيقول: لقد أمضيت ثلاثة أشهر كاملة أتلقى تعاليم ذلك المذهب، وفي نهايتها كان لي الحوار التالي مع رئيس الكنيسة، وكان هولنديا. قلت له: (يا سيدي، إذا توفيت على هذا المذهب، فإلى أين مصيري؟) قال: (كالدخان الذي يزول في الهواء)، فقلت متعجباً: (ولكني لست سيجارة، بل أنا إنسان ذو عقل وضمير).

ثم سألته: (وأين أتجه بعد الممات؟)، فقال: (تُوضع في ميدان واسع)، قلت له: (وأين ذلك الميدان؟) قال: (لا أعلم)، قلت: (سيدي إذا كنت عبداً مطيعاً ملتزماً بهذا المذهب، فهل أدخل الجنة؟) قال: (لا)، قلت: (فإلى أين إذن؟) قال: (الذين يدخلون الجنة عددهم 144 ألف شخص فقط، أما أنت فسوف تسكن الأرض مرة أخرى)، وهنا قاطعته قائلاً: (ولكن يا سيدي قد وقعت الواقعة، فالدنيا خربت)، قال: (أنت لا تفهم حقيقة القيامة، لو كان لديك كرسي وفوقه حشرات مؤذية، هل تحرق الكرسي لتتخلص من الحشرات؟) قلت: (لا)، قال: (بل

تقتل الحشرات ويبقى الكرسي سليماً، وهكذا تبقى الأرض سليمة بعد تطهيرها من الدنس والخطايا، وعندها ينتقل إليها الناس من ذلك الميدان، فليس هناك ما يسمى بالنار).

وهنا أعملت فكري جيداً، ودرست الأمر وقلبته، حتى اتخذت القرار الأخير بترك النصرانية بجميع مذاهبها رسميّاً، كان ذلك في عام 1970، وفي أحد الأيام بينما كنت أسير في طريقي بحثاً عن الحق، رأيت معبداً بوذيّاً جميلاً ضخماً فاقتربت منه فوجدت فيه عدة تماثيل وصور وفي السقف تمثال لتنين، وعلى الجدران مثل ذلك، كما شاهدت أمام البوابة تمثالين على شكل أسد صامت، وما أن دخلت من البوابة حتى جاءني رجل فأوقفني، وسأل: (إلى أين؟) قلت: (أريد أن أدخل)، قال: (اخلع نعليك قبل أن تدخل، هذا معبد لنا فاحترم مكان عبادتنا)، قلت في نفسي: (حتى البوذية تعرف النظافة، أما ديانتي السابقة فلا نظافة فيها، أذكر أنني عندما كنت أدخل الكنيسة لم أكن أخلع نعليَّ عند الدخول).

ثم يقول: (لقد جربت الديانة البوذية فترة من الزمن، ولكن سرعان ما تركتها لإحساسي بأنني لم أجد الحق الذي أنشده، ثم اتصلت بالديانة الهندوسية التي بدأت ونشأت في الهند، والتي انتشرت تعاليمها حتى وصلت إلى بعض الجزر الإندونيسية، فأخذت أتنقل بين تلك الجزر التي يوجد فيها نشاط لأتباع هذا الدين، ومكثت معهم فترة من الزمن تعلمت فيها الكثير، وقد نجحت في المرحلة الأولى إلى درجة أنني أخذت أجرى الخوارق كالعبور في النار، والمشي على المسامير الحادة، وإدخال المسامير في أعضاء الجسم إلى غير ذلك، ولكن أيضاً ليس هذا هو ما كنت أبحث عنه).

ثم يضيف الأخ رحمة بورنومو: وذات يوم سألت رئيس المعبد الهندوسي: (ماذا تعبدون؟)، قال: نعبد (برهما، ويشنو، وشيوا)، برهما: إله الخلق، ويشنو:

إله الخير، وشيوا: إله الشر، ثلاثة آلهة تجلت في جسد إنسان واحد اسمه كريشنا الذي يعتبر المنقذ للعالم عند الهندوس، قلت لنفسي: (إذن فلا فرق في أمر الألوهية بين الهندوسية والنصرانية، ولو اختلفت الأسماء فهما يناديان ثلاثة في واحد).

قلت للكاهن الهندوسي: (اشرح لي نشأة كريشنا)، فقال: كان في الهند سنة ألفين قبل الميلاد ملك جبار ظالم لا يرحم حتى أبناءه، فيقتل ولده الذكر خوفاً من أن يحتل عرشه غصباً، وفي إحدى الليالي الظلماء كان الملك جالساً أمام قصره، وإذا بكوكب مضئ يطلع في السماء فوق رأسه، وكان يسير بسرعة مذهلة، ثم توقف في الفضاء وأرسل نوره الباهر على حظيرة الأبقار، فلما سأل الملك رجال العلم والدين، راجعوا كتبهم المقدسة، فقالوا: إن ذلك دليل على تجلي الآلهة في جسم إنسان اسمه سري كريشنا، فقلت في نفسي: هذه القصة بحذافيرها مع تغيير الأشخاص موجودة في الديانة المسيحية، وكنت أحدث بها الناس وأنا قس، والفرق أن القرية المشار إليها هي بيت لحم، والإنسان عندنا هو المسيح، فلا فرق إذن بين القصتين ولا بين العقيدتين في قضية أساسية هي قضية الألوهية، وقضية هوية المنقذ للعالم.

لقد واصلت حواري مع الكاهن الهندوسي فقلت له: (يا سيدي إذا توفيت وأنا على دينكم، فإلى أين مصيري؟) قال: (لا أعلم، ولكن عليك أن تمتنع عن قتل الحشرات من أمثال النمل والبعوض وغيرها)، وقال: (قد تكون هذه الحشرات آباءك وأجدادك الموتى).

ثم يقول: (وفى النهاية قررت أن أترك كل تلك الديانات، ولم يكن أمامي إلا الإسلام الذي لم أكن أريد اعتناقه لما غُرس في نفسي منذ طفولتي من نفور وكراهية لهذا الدين الذي لم أكن أعرف عنه إلا الشبهات، كنت أريد البحث عن الحق المجهول وهذا البحث يلزم الجهد والصبر، وذات يوم قلت لزوجتي: اعتباراً

من هذه الليلة لا أريد أن يزعجني أحد، أريد أن أصلي وأتضرع إلى الله، وهكذا أقفلت باب حجرتي ورفعت يدي إلى الله خاشعاً متضرعاً قائلاً: (يا رب: إذا كنت موجوداً حقّاً فخذ بناصيتي إلى الهدى والنور، واهدني إلى دينك الحق الذي ارتضيته للناس).

ويمضي الأخ رحمة بورنومو في حديثه قائلاً:

والدعاء إلى الله ليس كأي طلب من الطلبات كما أن دعائي إلى الله سبحانه وتعالى لم يكن خلال فترة وجيزة فحسب، بل استمر ذلك زمناً طويلاً، حوالي ثمانية أشهر، وفي ليلة الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر عام 1971م الموافقة للعاشر من رمضان من نفس العام، وبعد أن فرغت من دعائي المعتاد رحت في نوم عميق، وعندها جاءني نور الهدى من الله عز وجل، إذ رأيت العالم حولي في ظلام دامس، ولم يكن بوسعي أن أرى شيئاً، وإذا بجسم شخص يظهر أمامي، فأمعنت النظر فيه فإذا بنور حبيب يشع منه يبدد الظلمة من حولي، لقد تقدم الرجل المبارك نحوي، فرأيته يلبس ثوباً أبيض وعمامة بيضاء، له لحية بصوت حبيب قائلاً: (ردد الشهادتين)، وما كنت حينئذ أعلم شيئاً اسمه الشهادتين، فقلت مستفسراً: (وما الشهادتان؟) فقال: (قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) فكررتهما وراءه ثلاث مرات، ثم ذهب الرجل عني.

يقول الأخ الإندونيسي بعد ذلك: ولما استيقظت من نومي وجدت جسمي مبللاً بالعرق، وسألت أول مسلم قابلته: (ما هما الشهادتان. وما قيمتهما في الإسلام؟)، فقال: (الشهادتان هما الركن الأول في الإسلام، ما أن ينطقهما الرجل حتى يصبح مسلماً)، فاستفسرت منه عن معناهما فشرح لي المعنى، وفكرت مليّاً، وتساءلت من يكون الرجل الذي رأيته في منامي، وكانت ملامحه واضحة المعالم لي؟ فلما وصفتها لصديقي المسلم هتف على الفور قائلاً: (لقد رأيت الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم).

ثم يختم الأخ رحمة بورنومو قصته بقوله: وبعد عشرين يوماً في ذلك الحادث وكانت ليلة عيد الفطر سمعت صيحات التكبير يرددها المسلمون من المساجد القريبة من دارنا، فاقشعر بدني واهتز قلبي، ودمعت عيناي لا حزناً على شيء، بل شكراً لله على هذه النعمة فالحمد لله الذي هداني أخيراً إلى ما كنت أبحث عنه منذ سنين، لقد تم ذلك في عام 1971م وقد خَيَّرتُ زوجتي بين الإسلام والمسيحية، فاختارت الإسلام، والجدير بالذكر أنها كانت في طفولتها مسلمة ومن عائلة مسلمة تنصرت بسبب إغراءات المبشرين، وتبعاً لجهلها بأمور دينها الحنيف، كما تبعنا أبناؤنا فاعتنقوا الإسلام، ومنذ الثاني من شهر فبراير عام 1972م ونحن مسلمون والحمد لله.

12 ـ القمص السابق المصري عزت إسحاق معوض[1]

كان أحد الدعاة للالتزام بالنصرانية، لا يهدأ ولا يسكن عن مهمته التي يستعين بكل الوسائل من كتب وشرائط وغيرها في الدعوة إليها، وتدرج في المناصب الكنسية حتى أصبح «قُمُّصاً».. ولكن بعد أن تعمق في دراسة النصرانية بدأت مشاعر الشك تراوده في العقيدة التي يدعو إليها في الوقت الذي كان يشعر بارتياح عند سماعه للقرآن الكريم.. ومن ثم كانت رحلة إيمانه التي يتحدث عنها قائلاً:

«نشأت في أسرة مسيحية مترابطة والتحقت بقداس الأحد وعمري أربع سنوات.. وفي سن الثامنة كنت أحد شمامسة الكنيسة، وتميزت على أقراني بإلمامي بالقبطية وقدرتي على القراءة من الكتاب المقدس على النصارى.

ثم تمت إجراءات إعدادي للالتحاق بالكلية الأكليريكية لأصبح بعدها كاهناً ثم قُمُّصاً، ولكنني عندما بلغت سن الشباب بدأت أرى ما يحدث من مهازل بين الشباب والشابات داخل الكنيسة وبعلم القساوسة، وبدأت أشعر بسخط داخلي على الكنيسة، وتلفت حولي فوجدت النساء يدخلن الكنيسة متبرجات ويجاورن الرجال، والجميع يصلي بلا طهارة ويرددون ما يقوله القمص بدون أن يفهموا شيئاً على الإطلاق، وإنما هو مجرد تعود على سماع هذا الكلام.

وعندما بدأت أقرأ أكثر في النصرانية وجدت أن ما يسمى «القداس الإلهي» الذي يتردد في الصلوات ليس به دليل من الكتاب المقدس، والخلافات كثيرة بين الطوائف المختلفة بل وداخل كل طائفة على حدة، وذلك حول تفسير «الثالوث»... وكنت أيضاً أشعر بنفور شديد من مسألة تناول النبيذ وقطعة القربان من يد القسيس والتي ترمز إلى دم المسيح وجسده!!!».

---

(1) صحيفة «المسلمون» ـ الصادرة في 1991/10/4 (بتصرف).

ويستمر القُمُّص عزت إسحاق معوض - الذي تبرأ من صفته واسمه ليتحول إلى الداعية المسلم محمد أحمد الرفاعي - يستمر في حديثه قائلاً:

«بينما كان الشك يراودني في النصرانية كان يجذبني شكل المسلمين في الصلاة والخشوع والسكينة التي تحيط بالمكان برغم أنني كنت لا أفهم ما يرددون.. وكنت عندما يُقرأ القرآن كان يلفت انتباهي لسماعه وأحس بشيء غريب داخلي برغم أنني نشأت على كراهية المسلمين... وكنت معجباً بصيام شهر رمضان وأجده أفضل من صيام الزيت الذي لم يرد ذكره في الكتاب المقدس، وبالفعل صمت أياماً من شهر رمضان قبل إسلامي».

ويمضي الداعية محمد أحمد الرفاعي في كلامه مستطرداً:

«بدأت أشعر بأن النصرانية دين غير كامل ومشوه، غير أنني ظللت متأرجحاً بين النصرانية والإسلام ثلاث سنوات انقطعت خلالها عن الكنيسة تماماً، وبدأت أقرأ كثيراً وأقارن بين الأديان، وكانت لي حوارات مع إخوة مسلمين كان لها الدور الكبير في إحداث حركة فكرية لديّ.. وكنت أرى أن المسلم غير المتبحر في دينه يحمل من العلم والثقة بصدق دينه ما يفوق ما لدى أي نصراني، حيث إن زاد الإسلام من القرآن والسنة النبوية في متناول الجميع رجالاً ونساءً وأطفالاً، في حين أن هناك أحد الأسفار بالكتاب المقدس ممنوع أن يقرأها النصراني قبل بلوغ سن الخامسة والثلاثين، ويفضل أن يكون متزوجاً!!»

ثم يصمت محمد رفاعي لحظة ليستكمل حديثه بقوله:

«كانت نقطة التحول في حياتي في أول شهر سبتمبر عام 1988 عندما جلست إلى شيخي وأستاذي «رفاعي سرور» لأول مرة وناقشني وحاورني لأكثر من ساعة، وطلبت منه في آخر الجلسة أن يقرئني الشهادتين ويعلمني الصلاة، فطلب مني الاغتسال فاغتسلت ونطقت بالشهادتين وأشهرت إسلامي وتسميت

باسم «محمد أحمد الرفاعي» بعد أن تبرأت من اسمي القديم «عزت إسحاق معوض» وألغيته من جميع الوثائق الرسمية. كما أزلت الصليب المرسوم على يدي بعملية جراحية.. وكان أول بلاء لي في الإسلام وهو مقاطعة أهلي ورفض أبي أن أحصل على حقوقي المادية عن نصيبي في شركة كانت بيننا، ولكنني لم أكترث، ودخلت الإسلام صفر اليدين، ولكن الله عوضني عن ذلك بأخوة الإسلام، وبعمل يدر عليّ دخلاً طيباً».

ويلتقط أنفاسه وهو يختتم كلامه قائلاً:

«كل ما آمله الآن ألا أكون مسلماً إسلاماً يعود بالنفع عليّ وحدي فقط، ولكن أن أكون نافعاً لغيري وأساهم بما لديّ من علم بالنصرانية والإسلام في الدعوة لدين الله تعالى».

13 ـ القس السابق الفليبيني عيسى بياجو[1]

اسمه عيسى عبدالله بياجو، عمره أربعون سنة، بلده الفلبين، متزوج وله ابن، كان قساً كاثوليكياً ثم اهتدى إلى النور، وشرح الله صدره للإسلام، كان ذلك من أربع عشرة سنة، وهو الآن قد جاء للعمل بالدوحة.. فسعينا إلى الالتقاء به.

سألناه عن حياته قبل الإسلام فقال: اسمي الأصلي هو كريسانتو بياجو، درست في المعهد اللاهوتي، وحصلت على درجة الليسانس في اللاهوت وعملت كقس كاثوليكي سمعت عن المسلمين كمجموعة من الناس، ولم تكن عندي فكرة عما يدينون به. وفي ذلك الحين كنت لا أطيق حتى مجرد سماع اسمهم نظراً للدعاية العالمية التي توجه ضدهم. وحتى المسلمين المنتمين إلى جبهة تحرير مورو في الفلبين كان يُعطى الإيحاء بأنهم قراصنة وهمجيون، يسهل عليهم العدوان وسفك الدماء، هذا الشعور يشاركني فيه معظم نصارى الفلبين الذين يمثلون 90٪ من السكان. جاء يوم حضرت فيه محاضرة ألقاها منصّر أمريكي اسمه بيتر جوينج عن الإسلام، فأخذتني الرغبة في التعرف على هذا الدين، وانطلقت لأقرأ بعض الرسائل عن أركان الإيمان، وأركان الإسلام، وعن قصص الأنبياء، فدهشت من أن الإسلام يؤمن بالأنبياء الذين من أهمهم المسيح عليه السلام. كانت مشكلتي نقص الكتب التي تتكلم عن الإسلام وعن القرآن ولكني لم أيأس، لأنني كنت أستحضر من كلام المبشر الأمريكي قوله: إن التوراة فيها أخطاء، مما أدخل الشك في نفسي، فبدأت أكوّن فكرتي عن الدين الحق الذي أومن به. ولم أجد الإجابات عن الأسئلة التي جالت آنئذٍ في صدري حول الإنجيل وكلما حللت مشكلة أو أجبت عن سؤال، ظهرت مشاكل كثيرة وأسئلة أكثر، لجأت إلى تفريغ ذهني من كل فكرة مسبقة، ودعوت الله أن يهديني إلى

(1) حاوره: علي ياسين.

الحق وكان من المفارقات العجيبة أنني كقسيس كنت أعلّم الناس ما لا أعتقده، فمثلاً لم أكن على الإطلاق مقتنعاً بفكرة الخطيئة الأصلية، والصّلب، إذ كيف يحمّل الله إنساناً ذنوب الآخرين؟ هذا ظلم، ولماذا يغفرها الله ابتداءً؟ وكيف يفعل الأب هذا بابنه؟ أليس هذا إيذاءً للأبناء بغير حق؟ وما الفرق بين هذا وبين ما يفعله الناس من إساءة معاملة الأطفال؟. بدأت أبحث عن الوحي الحقيقي فتأملت نص التوراة فلم أجد إلا كلاماً مليئاً بالأخطاء والتناقضات لا ندري من كتبه ولا من جمعه، فأصل التوراة مفقود، وهناك أكثر من توراة. اهتزت عقيدتي تماماً. ولكني كنت أمارس عملي، لئلا أفقد مصدر دخلي وكل امتيازاتي. ومرت سنتان وأنا على هذا الحال حتى جاء يوم لقيت فيه جماعة من المسلمين يوزعون كتيبات عن الإسلام، فأخذت منهم واحداً قرأته بشغف، ثم سعيت إلى مناقشة تلك الجماعة التي كانت توزع تلك الكتيبات فقد كنت أحب الجدال والمناظرة، وهذا ليس غريباً، ففي الفلبين جماعات نصرانية متصارعة يقارب عددها ٢٠ ألف جماعة وكثيراً ما كنت أمارس الجدال والمناظرة مع بعض تلك الجماعات.

فلما جلست مع ذلك الفريق المسلم في إحدى الحدائق فوجئت بأن الذي يحاورني كان قسيساً كبيرا دخل الإسلام. أخذت أنصت لكلامه: عن النظام السياسي في الإسلام، فأعجبني لأنني كنت أحب المساواة التي لم أجدها في النظم البشرية ولكني حينئذٍ وجدتها في دين مبني على كلام الله ووحيه إلى خلقه.

سألت المتحدث عن سبب اعتناقه للإسلام، ثم عن الفرق بين القرآن والإنجيل فأعطاني كتاباً لرجل اسمه أحمد ديدات. قرأت الكتاب فوجدت فيه الإجابة عن كل تساؤلاتي حول الإنجيل واقتنعت تماماً.

ثم أخذت أقابل ذلك الرجل كل يوم جمعة بعد الظهر لأسأله عن كل شيء، وكان من فضولي أن سألته عن محمد صلى الله عليه وسلم، وهل هو من نسل

إسماعيل؟ فقال إن في التوراة الموجودة حالياً ذكر محمد صلى الله عليه وسلم، وأعطاني مقاطع كثيرة من التوراة في هذا الصدد. أخذت أبحث لأقتنع، وكان من دواعي اطمئناني أن إيماني بعيسى عليه السلام يجعلني أقبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، واستمر بحثي شهرين، شعرت بعدهما ببعض التردد، لخوفي على مستقبلي لأنني أعلم يقيناً أنني لو أسلمت فسأخسر كل شيء: المال، ودرجتي العلمية، والكنيسة، وسأخسر والديّ وإخوتي.

كان الشيء الذي هزني هو عجزي عن تدريس الناس العقيدة النصرانية إذ أصبحت بارداً جداً وغير مقتنع بما أقول. تركت قراءة التوراة حتي لاحظ والداي ذلك.

ثم لقيت صديقي المسلم، وسألته عن الصلاة، فقال لي: الشهادة أولاً، فرفعت أصبعي بتلقائية وقلت خلفه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم أكن أعرف معنى هذا القول حتى شرحه هو لي بعد ذلك. وقلت: أشهد أن عيسى رسول الله. كان في المجلس مسلمون من جنسيات مختلفة فقام الجميع وعانقوني وهنأوني، فقلت في نفسي: كل هؤلاء مسلمون رغم اختلاف جنسياتهم وألوانهم، لقد جمعهم الإسلام بلا تمييز، فلماذا التمييز في النصرانية حتى تجد جماعات نصرانية للبيض وجماعات نصرانية للسود؟ فرجعت إلى بيتي ونطقت بالشهادة باللغة الانجليزية بيني وبين الله تعالى فليس يهمني الناس.

بقيت على إسلامي من غير أن يعلم أحد من معارفي، وكنت أدخل الكنيسة لمدة ستة أسابيع، لأنزع بعد ذلك فتيل القنبلة وأعلن إسلامي، فغضب والداي أشد الغضب. وجاء الكاهن الأكبر إلى المنزل ليناقشني فعرضت عليه ما عندي من تناقضات الإنجيل، فكلمني عن بعض الشبهات التي تثار حول الإسلام فقلت له: أقنعني أولاً أن محمداً ليس رسولاً من عند الله، فوعدني ولكن لم يرجع،

وسمعت بعد ذلك أن الكنيسة كلها تصلي من أجلي لأرجع إلى عقلي، وكأنني صرت مجنوناً. بدأت بعد ذلك أثبّت قدمي في الإسلام ـ دراسة وتعلماً ـ وكنت ألقي بعد ذلك برامج إسلامية في التليفزيون والإذاعة المحلية التي تمولها الجهات الإسلامية، ثم تزوجت امرأة مسلمة رزقني الله منها عبدالصمد ابني الوحيد (11 سنة). واعتنق الإسلام بعد ذلك أبي وأمي وأختي وزوجها وابن أخي وبنت أختي. وأحمد الله على أن كنت سبب هدايتهم إلى الصراط المستقيم. بعد هذه القصة المثيرة لإسلام عيسى بياجو سألناه عن حال الدعوة في الفلبين فقال: يدخل في الإسلام كل شهر أكثر من أربعمائة من نصارى الفلبين حسب السجلات الرسمية، أما العدد الحقيقي فالمرجح أنه أكثر من ذلك. ومعظم أهل الفلبين مسيحيون بالاسم فقط ولا يجدون من يدعوهم إلى الإسلام. ومنهم من يقتنع بالإسلام، ولكن يعوقه عن اعتناقه عامل الخوف من المستقبل لأنه سيفقد الأسرة وسيفقد العمل، فالناس هناك لا تقبل توظيف من ترك النصرانية. سألناه عن خير وسيلة للدعوة إلى الإسلام فقال: إنها المعاملة الطيبة بخلق الإسلام، فكثير ممن أسلموا كان دافعهم إلى الاقتراب من عقيدة التوحيد معاملة المسلمين الحسنة لهم، كأن يكون صاحب العمل مسلماً حسن المعاملة، أو زميلاً لمسلم حسن الصحبة ودمث الأخلاق. وكثير ممن أسلموا في الفلبين لم يسلموا إلا بعد أن عادوا إلى بلادهم بعد العمل في بلد إسلامي، إذ أحسوا بالفرق عندما فقدوا المناخ الإسلامي، فتبخرت كل أوهامهم وشكوكهم حول الإسلام فأعلنوا إسلامهم بعيداً عن كل ضغط أو تأثير، ولذا أوصى بالدعوة الحسنة، وبعدم استعجال النتيجة، فالبذرة لا تنمو ما بين يوم وليلة.

وقال الأخ عيسى: إن بعض من أسلموا كان سبب إسلامهم تأثرهم برؤية منظر المسلمين وهم يصلّون، لأنه منظر عجيب حقّاً. سألناه: ماذا عن دعوة المسيحي المثقف ثقافة دينية؟ هل يكفي معه هذا وحده؟ فقال مثل هذا نأخذ

بيده، وندعوه إلى مقارنة أسفار الكتاب المقدس، ودراسة مقارنة الأديان، فتلك الوسائل أفضل لإقناعه. ثم كان السؤال الأخير عن العقبات التي تحول دون دخول الناس في الإسلام فقال: أول ما يصد الناس هو الفكرة الخاطئة التي تعشش في أذهانهم عن الإسلام ثم هناك سلوكيات كثير من المسلمين، الذين ـ بأقوالهم وأفعالهم ـ يعطون صورة سيئة عن الإسلام، ثم فتوى بعض المسلمين من غير علم. وتأتي أخيراً الشبهات التي تثار حول الإسلام من كونه يدعو إلى الإرهاب ويسيء معاملة المرأة، فيدعو الرجل إلى طلاقها، وإلى الزواج بغيرها، وأنه يحرمها من حقوقها ويقهرها ولا يعطيها حريتها. ولا شك أن هذه الشبهات كلها منحازة وخاطئة، ولكن ـ للأسف ـ تؤلف فيها كتب، وتروّج بين غير المسلمين لتصدهم عن الإسلام وهنا يأتي دورنا نحن الدعاة المسلمين لتقديم الصورة المشرقة الحقيقية، ونفض الغبار وهدم السور العالي الذي أقامه الإعلام الهدام، ليحول بين الناس وبين التعرف الحر على دين الله رب العالمين.

14 ـ القس السابق الفرنسي جان ماري دوشمان[1]

في السادس من أيلول (سبتمبر) 1988م، توفّي بالدار البيضاء في المغرب الأب «عبدالمجيد جان ماري دوشمان» في الثمانين من عمره. وقد دُفن بمقبرة المدينة المغربيّة تلبية لرغبته أن يُدفن فى أرض إسلاميّة. وكانت هذه الرغبة هي سبب مغادرته مدينة لومانس بغرب فرنسا، للإقامة في المغرب سنة 1987م.

قرّر القسيس المسيحي السابق هذا الانتقال، بعد اعتناقه الدّين الإسلاميّ في السنوات الأخيرة ولقصّة إسلامه أهمية بالغة تجعل هذا المسلم الفرنسيّ يُقارن بالدكتور «غرونين» الذي دخل البرلمان الفرنسيّ بلباس عربي، بعد إعلانه التمسّك بالدّين الإسلاميّ سنة 1984م بمدينة البلدية بالجزائر. كما أنّ الأسباب التي جعلت الأب «دوشمان» يفضّل الإسلام تذكّر بالموقف الذي شرحه «عبدالله الترجمان» ذلك القسيس الإسباني الذي غادر كليّة اللاهوت ببولونيا في إيطاليا في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد إلى تونس، حيث أعلن اسلامه أمام أبى العبّاس الحفصيّ.

وتأثرت الجالية الإسلاميّة في غرب فرنسا بوفاة هذا الرجل الذي خصّص جزءاً كبيراً من ماله ووقته من أجل مساعدة العمّال المسلمين من أفريقيا الشمالية وأفريقيا السوداء ومن تركيا، منذ ربع قرن. فكان يطرق بابه كلّ من واجه صعوبات في ميادين الشغل والسّكن وتربية الأطفال.. وتمكّن الأب دوشمان من تخفيف المشاق التي يعانيها العمّال المغتربون.. وقبل هذا المنعطف من حياته، كان قد اعتني بمعرفة الإسلام عندما أراد أن يصير مبشّراً في المغرب أو في أفريقيا، وهو مُعجب في بداية شبابه بالأب دوفوكو الذي كوّن مجموعة دينية لتختصّ بتنصير المسلمين، ولم يستطع تنفيذ هذا المشروع نظراً لحالته الصحيّة، وعوض

(١) المصدر: «الإسلام والغرب، الوجه الآخر» تأليف حسن السعيد.

السفر خارج فرنسا دخل دوشمان معهد إعداد القسيسين، حيث تخرّج عام 1932م، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وعُين على رأس كنائس عديدة في المدن والقرى المجاورة لمدينته لومانس، والتي كان يقطن أحد أحيائها الشعبيّة.

كان حلم دوشمان وثقافته، زيادة على ذوقه كرسّام يرسم لوحات زيتيّة تحت امضاء «دوتو»، وهو اسم مُستعار، يجعلانه مطلوباً من طرف أغنياء وأشراف المقاطعة الذين كانوا ينتظرون من القسيس ثقافة عليا زيادة على معرفته بعلم اللاهوت وتاريخ الكنيسة.. إلاّ أنه كان لا يحتمل جوانب من النفسيّة السائدة داخل الكنيسة لأنّها تتناقض في نظره والصّراحة الناتجة عن الايمان الحقيقي. وسبق له أن حرّر كتاباً يتهكّم فيه على تصرّف بعض المسئولين في الكنيسة، إلاّ أنّه لم يرد نشر هذا الكتاب القيّم الذي كان يقرأ صفحات منه للقسيسين الذين كانوا يدعوهم إلى مائدته من أجل تسليتهم. في هذه الفترة كان الأب دوشمان قسيساً مثاليّاً متمسّكاً بقيم الانجيل أكثر ممّا كان متفقاً مع الكنيسة ولا يتحمّل ما يقترب من النفاق، ومع هذا كان منضبطاً يمتثل للأوامر الآتية من القمّة.

في سنة 1947م عثر الأب دوشمان على ترجمة لسورة الفاتحة وانكبّ على قراءتها وصار يقرأ هذه الترجمة وسط الأدعية المسيحيّة، إلى أن زار مسجد باريس سنة 1957م بمناسبة معرض فنّي. فاشترى هناك ترجمة كاملة للقرآن للأستاذ مونتي. وتعوّد منذ تلك الفترة على قراءة القرآن عدّة مرّات في كلّ سنة.

وبعد انتهاء حرب الجزائر تعرّف على بعض الجزائرين الذين هاجروا مع الجيش الفرنسيّ، وبعد انتهاء تعاقدهم خرجوا من الثكنات الواقعة قرب مدينة لامانس، واتّصلوا به كي يساعدهم في بحثهم على عمل. وهكذا تمّ الاتصال بين الأب دوشمان والجالية الإسلامية بمدينة لامانس وضواحيها.. وممّا لاحظه التأثير الديني على سلوكهم وثقافتهم، وكان يحسن الحوار معهم، رغم جهلهم للّغة الفرنسية وعدم معرفته اللغة العربيّة إلى أن فكّر يوماً بفتح مسجد كي يتجمّع

فيه العمّال الذين كانوا يصلّون في بيته، وجّه الطلب الأوّل إلى إدارة الكنيسة كي تقبل بيع قطعة من الأرض لجمعيّة مسلمي السارت التيّ أسسها عدد من المهاجرين ذوي الأقدميّة بفرنسا بوحي من القسيس الذي حرّر النصوص الأساسيّة، وقام ببقيّة الإجراءات الإداريّة سنة 1970م. لم تقبل الكنيسة تنفيذ هذا المشروع نظراً للأفكار المسبقة عن الإسلام السائدة آنذاك في الأوساط المسيحيّة، إلا أنّ إلحاح الأب دوشمان جعل الأسقف شوفالييه يوافق على بيع القطعة من الأرض الواقعة بحي «فلونسار» على الطريق المؤديّ إلى مدينة تور.

وهكذا شرع في بناء المسجد بفضل تطوّع عدد من العمّال المسلمين (الذين يشتغلون في قطاع البناء) وتمويل من طرق محسنين آخرين. وكان الأب دوشمان هو أسخى هؤلاء المحسنين، حيث كان يدفع ثمن التكاليف التي لم يتمكّن من دفعها العمّال، وهكذا فُتح واحد من أكبر المساجد خارج باريس في أوائل السبعينيات، واستمرّ الأب دوشمان في اعتنائه بالجالية الإسلامية إلى أن صار يتردّد على المقاهي ليلتقي بالعمّال المسلمين المنسيين من حكوماتهم والمتروكين من طرف الفرنسيين والهيئات المسمّاة بالوطنيّة. وعندما كان يحاول أن ينهاهم عن شرب الخمر ردّ عليه مرّة أحدهم قائلاً له: «لماذا تشرب الخمر وأنت رجل دين؟» فقرّر القسيس منذ هذا الوقت الكفّ عن شرب الخمر، كي تصبح نصائحه مسموعة لدى الذين يسعى من أجل إنقاذهم.

ثم صار يرافق الذين هجروا المقاهي ليرجعوا إلى المسجد ليصلّي معهم يوم الجمعة، وفي شهر رمضان، بدأ يصوم مع المسلمين، في حين كان يتابع نشاطه كقسيس مسيحيّ يقوم بالصّلوات والوعظ في كنائس لومانس وضواحيها. وكان المسيحيّون يتذوّقون خطبه الدينيّة. بعد أن شرع في تعميق معرفته للإسلام صار يقرأ ما نُشر عن هذا الدين. وراجع دروسه الدينية، وفتح من جديد الكتب التي كانت مسطّرة في برنامج معهد إعداد القسيسين الذي تخرّج منه سنة 1932م.

الى أن أصبح خبيراً في المقارنة بين الديانتين المسيحيّة والإسلام. وصار يُدخِل كثيراً من الأفكار الإسلاميّة في خطبه الدينيّة الموجّهة للمسيحيين. واجتاز مراحل شتّى أدّت به إلى رفض عدد من المعتقدات المسيحيّة مثل فكرة ألوهيّة عيسى (عليه السلام) وفكرة التثليث. وبعد صدور كتاب نشره الكاردينال دانيالو، في أواخر الستينيات، يتساءل فيه المؤلّف حول الظروف التي كُتبت فيها الأناجيل وتأثير القدّيس بول (الذى لم يعرف السيّد المسيح) على محرّري الأناجيل، صار الأب دوشمان يقارن هذا باحتفاظ المسلمين بالنصّ الأصليّ. وتمعّن كثيراً في الآيات الموجّهة لأهل الكتاب وللمسيحيين مثل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧١)، و﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢).

وتعجب كثيراً عندما قال له الاستاذ حميد الله، بعد توديعه إثر زيارة المسجد الجديد: «سنلتقي إن شاء الله يوم القيامة» فسأل القسيس: «أيستطيع رجل دين مسيحيّ أن يكون مع المسلمين يوم القيامة؟».. ثم أكّد له حميد الله: «نعم، إنّ الله يجازي كل من سعى من أجل أن يُعبد في هذه الأرض». فقارن القسيس ذلك بمبدأ المسيحيين بأن «لا نجاة خارج الكنيسة». وأعاد قراءة الآيات التي تضمن الجنّة لكلّ ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٨).

وفي سنة 1976م، قام الأب دوشمان بزيارة إلى الهند وباكستان استغرقت أربعين يوماً، واحتفظ بانطابعات إيجابيّة.. وربّما قرّر القسيس اعتناقه الإسلام، في هذه السنة، إلاّ أنّه صار يخفي ذلك، كي لا يزعج ابنة خالته التي كفلها والتي كانت تُبدي تمسّكاً شديداً بالمسيحية التقليديّة. وبعد وفاتها سنة 1982م، غيّر دوشمان مناخ بيته، حيث وضع اسم الله في الأماكن التي كان فيها صليب أو صنم. وكان قد اختار لنفسه اسم «عبدالمجيد» لأنه اسم الشاب التونسيّ الذي ساعده على معرفة الإسلام، بينما بقي حريصاً على الصلوات الخمس وصوم

رمضان، وتابع خطبه أمام المصلّين المسيحيين الذين لم يلاحظ إلاّ القليل منهم أنّ قسيسهم المفضّل صار يخاطبهم حول عظمة الله أكثر ممّا يركّز على شخصيّة السيّد المسيح (عليه السلام).

وفي سنة 1983م توجّه إلى مسجد باريس ليعلن عن إسلامه رسميّاً ليحصل على شهادة الاعتناق. لأنّه قرّر أن يذهب ليقيم في بلد إسلاميّ حتّى يُدفن في أرض الإسلام.. وكان لإعلان إسلامه رسميّاً ردود فعل في الأوساط المسيحيّة المحليّة شجّعته على مغادرة مسقط رأسه، إلاّ أنّ الأسقف جلسون حرص على استمرار الصّلة معه، رغم عدم إدراكه لمثل هذه المبادرة التي تزداد غرابة في نظره، لأنّها أتت من أحسن القسيسين في العلم والتقوى.

وفي أغسطس (آب) غادر عبدالمجيد دوشمان مدينته لومانس متوجّهاً إلى الدار البيضاء في المغرب، حيث فوجىء بالفرق الموجود بين فكرته عن الإسلام وأوضاع المسلمين الراهنة..

15 ـ معلمة اللاهوت السابقة الأمريكية ماري واتسون

معلمة اللاهوت «ميري واتسون» بعد إسلامها:

- **درست اللاهوت في ثماني سنوات.. واهتدت إلى الإسلام في أسبوع!!**
- **يوم إسلامي يوم ميلادي.. والمسلمون بحاجة إلى قوة الإيمان.**

بين الشك واليقين مسافات، وبين الشر والخير خطوات، اجتازتها «ميري واتسون» معلمة اللاهوت سابقاً بإحدى جامعات الفلبين، والمنصِّرة والقسيسة التي تحولت بفضل الله إلى داعية إسلامية تنطلق بدعوتها من بريدة بالمملكة العربية السعودية بمركز توعية الجاليات بالقصيم، لتروي لنا كيف وصلت إلى شاطئ الإسلام وتسمت باسم خديجة.

- **بياناتك الشخصية قبل وبعد الإسلام؟**

ـ أحمد الله على نعمة الإسلام، كان اسمي قبل الإسلام «ميري» ولديَّ سبعة أبناء بين البنين والبنات من زوج فلبيني، فأنا أمريكية المولد في ولاية أوهايو، وعشت معظم شبابي بين لوس أنجلوس والفلبين، والآن بعد الإسلام ولله الحمد اسمي خديجة، وقد اخترته لأن السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ كانت أرملة عندما تزوجت من النبي صلى الله عليه وسلم، وآمنت بما أنزل عليه، وكذلك أنا كنت في الأربعينيات، عندما اعتنقت الإسلام، كما أنني معجبة جدّاً بشخصيتها، لأنها عندما نزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم آزرته وشجعته دون تردد، لذلك فأنا أحب شخصيتها.

- **حدثينا عن رحلتك مع النصرانية؟**

ـ كانت لديَّ ثلاث درجات علمية: درجة من كلية ثلاث سنوات في أمريكا، وبكالوريوس في علم اللاهوت بالفلبين، ومعلمة اللاهوت في كليتين فقد كنت

لاهوتية وأستاذاً محاضراً وقسيسة ومنصِّرة، كذلك عملت في الإذاعة بمحطة الدين النصراني لإذاعة الوعظ النصراني، وكذلك ضيفة على برامج أخرى في التلفاز، وكتبت مقالات.

● وماذا عن أولادك؟

ـ عندما كنت أعمل بالمركز الإسلامي بالفلبين كنت أحضر للبيت بعض الكتيبات والمجلات وأتركها بالمنزل على الطاولة «متعمدة» عسى أن يهدي الله ابني «كريستوفر» إلى الإسلام، إذ إنه الوحيد الذي يعيش معي، وبالفعل بدأ هو وصديقه يقرآنها ويتركانها كما هي تماماً، كذلك كان لديَّ «منبه أذان» فأخذ يستمع إليه مراراً وتكراراً وأنا بالخارج ثم أخبرني بعد ذلك برغبته في الإسلام، ففرحت جداً وشجعته ثم جاء إخوة عدة من المركز الإسلامي لمناقشته في الإسلام وعلي إثرها أعلن الشهادة وهو ابني الوحيد الذي اعتنق الإسلام في الوقت الحالي، وسمى نفسه عمر، وأدعو الله أن يمنَّ على باقي أولادي بنعمة الإسلام.

● ما الذي أعجبك في دين الإسلام؟

ـ الإسلام هو الطريق الأكمل والأمثل للحياة، بمعنى آخر هو البوصلة التي توجه كل مظاهر الحياة في الاقتصاد والاجتماع وغيرها حتى الأسرة وكيفية التعامل بين أفرادها.

● ما أكثر الآيات التي أثارت قلبك؟

ـ قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٣). فهي تعني لي الكثير وقد ساعدتني وقت الشدة.

● ما نوعية الكتب التي قرأتها؟

ـ أحب القراءة جداً. فقد قرأت في البخاري ومسلم والسيرة النبوية، وعن بعض الصحابة والصحابيات بجانب تفسير القرآن طبعاً وكتب غيرها كثيرة.

• الخوض في أجواء جديدة له متاعب، فما الصعوبات التي واجهتها؟

- كنت أعيش بين أمريكا والفلبين كما أن بناتي جميعهن متزوجات هناك وعندما أسلمت كان رد ثلاث من بناتي عنيفاً إزاء اعتناقي الإسلام والباقيات اعتبرنه حرية شخصية، كما أن بيتي وتليفوني روقبا، فقررت الاستقرار في الفلبين، لكن تنكر لي أهل زوجي لأني من قبل كنت مرتبطة بهم لكون أبي وأمي ميتين، لذلك بكيت ثلاثة أيام، وعندما كنت أظهر في الشارع بهذا الزي كان الأطفال ينادون عليّ بالشيخة أو الخيمة، فكنت أعتبر هذا بمثابة دعوة إلى الإسلام، كما تجنبني كل من يعرفني تماماً.

• هل حضرت ندوات أو مؤتمرات بعد اعتناق الإسلام؟

- لم أحضر، ولكن ألقيت العديد من المحاضرات عنه في الجامعات والكليات بالفلبين، وقد دعيت من قبل رؤساء بعض الدول لإجراء محاورات بين مسلمة ونصرانية لكن لا أحب هذه المحاورات لأن أسلوبها عنيف في النقاش، وأنا لا أحب هذه الطريقة في الدعوة بل أفضل الأسلوب الهادئ لا سيما اهتمامنا بالشخص نفسه أولاً ثم دعوته ثانياً.

• ما رأيك فيما يُقال عن خطة عمرها ربع القرن المقبل لتنصير المسلمين؟

- بعد قراءتي عن الإسلام وفي الإسلام علمت لماذا الإسلام مضطهد من جميع الديانات لأنه أكثر الديانات انتشاراً على مستوى العالم، وأن المسلمين أقوى ناس لأنهم لا يبدلون دينهم ولا يرضون غيره بديلاً، ذلك أن دين الإسلام هو دين الحق وأي دين آخر لن يعطيهم ما يعطيه لهم الإسلام.

• ماذا تأملين لنفسك وللإسلام؟

- لنفسي - إن شاء الله - سأذهب إلى إفريقيا، لأدرس بها وأعمل بالدعوة، كما آمل أن أزور مصر لأرى فرعونها الذي ذُكر في القرآن، وجعله الله آية للناس،

أما بالنسبة للإسلام، فنحن نحتاج إلى إظهار صحته وقوته وحسنه، وسط البيئات التي يحدث فيها تعتيم أو تشويش إعلامي. كما نحتاج إلى مسلمين أقوياء الإيمان، إيمانهم لا يفتر، يقومون بالدعوة إلى الله. الإسلام قبل توبتي، فأسأل الله أن يغفر لي، فلقد كنت متعصبة جداً للنصرانية.

● ما نقطة تحولك إذن من منصِّرة إلى داعية إسلامية؟

- كنت في إحدى الحملات التنصيرية إلى الفلبين لإلقاء بعض المحاضرات، فإذا بأستاذ محاضر فلبيني جاء من إحدى الدول العربية، لاحظت عليه أموراً غريبة، فأخذت أسأله وألح عليه حتى عرفت أنه أسلم هناك، ولا أحد يعرف بإسلامه وقتئذ.

● وكيف تخطيت هذه الحواجز وصولاً إلى الإسلام؟

- بعدما سمعت عن الإسلام من هذا الدكتور الفلبيني روادتني أسئلة كثيرة: لماذا أسلم؟ ولماذا بدل دينه؟ لابد من أن هناك شيئاً في هذا الدين وفيما تقوله النصرانية عنه؟! ففكرت في صديقة قديمة فلبينية أسلمت وكانت تعمل بالجزيرة، فذهبت إليها، وبدأت أسألها عن الإسلام، وأول شيء سألتها عنه معاملة النساء، لأن النصرانية تعتقد أن النساء المسلمات وحقوقهن في المستوى الأدنى في دينهن، وهذا غير صحيح طبعاً، كما كنت أعتقد أن الإسلام يسمح للأزواج بضرب زوجاتهم، لذلك هن مختبئات وكائنات في منازلهن دائماً!

ارتحت كثيراً لكلامها فاستطردت أسألها عن الله عز وجل، وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعندما عرضت عليَّ أن أذهب إلى المركز الإسلامي ترددت فشجعتني فدعوت «الرب» وابتهلت إليه حتى يهديني، وذهبت فاندهشوا جداً من معلوماتي الغزيرة عن النصرانية ومعتقداتي الخاطئة عن الإسلام.. وصححوا ذلك لي، وأعطوني كتيبات أخذت أقرأ فيها كل يوم وأتحدث إليهم

ثلاث ساعات يومياً لمدة أسبوع، كنت قد قرأت بنهايته 12 كتاباً، وكانت تلك المرة الأولى التي أقرأ فيها كتباً لمؤلفين مسلمين والنتيجة أنني اكتشفت أن الكتب التي قد كنت قرأتها من قبل لمؤلفين نصارى ممتلئة بسوء الفهم والمغالطات عن الإسلام والمسلمين، لذلك عاودت السؤال مرة أخرى عن حقيقة القرآن الكريم، وهذه الكلمات التي تُقال في الصلاة.

وفي نهاية الأسبوع عرفت أنه دين الحق، وأن الله وحده لا شريك له، وأنه هو الذي يغفر الذنوب والخطايا، وينقذنا من عذاب الآخرة، لكن لم يكن الإسلام قد استقر في قلبي بعد، لأن الشيطان دائماً يشعل فتيل الخوف والقلق في النفس، فكثّف لي مركز التوعية الإسلامي المحاضرات، وابتهلت إلى الله أن يهديني، وفي خلال الشهر التالي شعرت في ليلة - وأنا مستلقية على فراشي وكاد النوم يقارب جفوني - بشيء غريب استقر في قلبي، فاعتدلت من فوري وقلت يارب أنا مؤمنة لك وحدك، ونطقت بالشهادة وشعرت بعدها باطمئنان وراحة تعم كل بدني والحمد لله على الإسلام، ولم أندم أبداً على هذا اليوم الذي يعتبر يوم ميلادي.

● وكيف تسير رحلتك مع الإسلام الآن؟

- بعد إسلامي تركت عملي كأستاذة في كليتي وبعد شهور عدة طلب مني أن أنظم جلسات أو ندوات نسوية للدراسات الإسلامية في مركز إسلامي بالفلبين حيث موطن إقامتي، وظللت أعمل به تقريباً لمدة سنة ونصف، ثم عملت بمركز توعية الجاليات بالقصيم - القسم النسائي كداعية إسلامية خاصة متحدثة باللغة الفلبينية بجانب لغتي الأصلية.

16 ـ معلم النصرانية السابق السريلانكي ألدو دمريس

كان «ألدو دمريس» أحد القساوسة الذين بلغ حماسهم للنصرانية منتهاه ومن الدعاة المخلصين لها في بلاده سيريلانكا، فقد كانت مهمته تلقين النشء الصغير عقيدة التثليث وأن يزرعها في نفوسهم ويعمقها في وجدانهم وعقلهم ليشبوا نصارى لا يعرفون غير النصرانية ديناً، وساعده على إتقان عمله كونه أحد المتخصصين في علم مقارنة الأديان إلى جانب مؤهله الجامعي في الاقتصاد والتجارة الذي هيأ له فرصة العمل بالمملكة العربية السعودية التي منها بدأت قصة إيمانه بالإسلام.

لقد كان «ألدو دمريس» يظن أن المسلمين قوم وثنيون يعبدون القمر، وهذا الظن كان نتيجة فهم خاطئ بسبب تحري المسلمين ظهور القمر كل أول شهر قمري، إذ لم يكن يدري أن هذا يعود إلى ضرورة معرفة بدايات الشهور كي يتسنى لهم أداء فريضة الصوم والحج في موعدهما... وكان بفهمه القاصر ـ آن ذاك ـ يعتقد أن قيام المسلمين بمثل هذا هو ضرب من ضروب عبادة القمر كما يفعل الوثنيون، وقد أسهم في ترسيخ هذه الفكرة الخاطئة لديه نشأته في أسرة نصرانية متعصبة، ولذلك كان أمر إسلامه بعيداً عن مخيلة من يعرفونه، فضلاً عن مخيلته هو نفسه.

وعندما جاء «ألدو» إلى المملكة العربية السعودية استوقفه وأثار انتباهه إغلاق المحال التجارية وانصراف جموع المسلمين إلى المسجد حين يؤذن المنادي للصلاة، لقد شده هذا المشهد بما يجسده من معانٍ عميقة في نفوس المسلمين واعتزازهم بدينهم.. كما أثار انتباهه المعاملة الطيبة التي قوبل بها، فضلاً عن معرفته ـ أخيراً ـ أن الإسلام يدعو إلى قيم ومبادئ لو طبقت لساد العالم الحب والعدل، ومن ثم بدأت نفسه تميل إلى معرفة سر هذا الدين.

وحين قوي هذا الإحساس في داخله بدأ لايكتفي بالسؤال، وإنما أخذ يبحث عن نسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم كي يكتشف بنفسه نواحي بلاغته وإعجازه.. ولم يلبث أن تحقق له ما أراد حين وجدها لدى أحد أصدقائه المسلمين فاستعارها منه فرحاً، وظل عاكفاً عليها يدرسها حتى حان أذان الفجر وسمع المؤذن ينادي للصلاة، فدمعت عيناه، ولم يملك إلا أن يهرع ليغتسل ويصلي كما رأى المسلمين يفعلون.

كان لابد أن يتوج «ألدو» إيمانه بإثباته رسميّاً كي يتمكن من زيارة الكعبة الشريفة والمسجد النبوي الشريف، ومن ثم توجه إلى أحد أصدقائه المسلمين ليرشده إلى طريق إشهار إسلامه الذي تحقق بحضور القاضي الشرعي معلناً مولده من جديد باسم «محمد شريف».

ولم يكتف «محمد شريف» بإسلامه، فقد شعر بأن عليه واجباً مطلوب منه أن يؤديه وهو الإسهام في هداية غيره، ولا سيما هؤلاء الذين كان هو أحد أسباب تعميق النصرانية في نفوسهم من أهله وتلاميذه.

واستطاع بمثابرته وأسلوب حواره الهادئ المبني على الحقائق أن يقنع أهله والكثير من أقاربه بأن الإسلام دين الحق، فآمنوا به بما فيهم صديق قس صار ـ بعد إسلامه ـ من أخلص المؤمنين لدين الله، كما نجح في هداية تلاميذه السابقين، فأسلم معظمهم.

ومن الجدير بالإشارة أن دراسة «محمد شريف» للنصرانية ـ كما يقول هو ـ كانت خير معين له في إقناع أولئك الذين هداهم الله، إذ أوضح لهم بعد أن منَّ الله عليه بالهداية مدى التضارب الحاصل في الأناجيل حول طبيعة عيسى عليه السلام في الوقت الذي يتخذ القرآن الكريم موقفاً واضحاً حول طبيعة ذلك النبى محمد صلى الله عليه وسلم، موقف يقبله العقل ويتفق مع المنطق.

هذا، ويعد «محمد شريف » نموذجاً للداعية المسلم، حيث استفاد من

معرفته لثماني لغات في الدعوة لله بين الناطقين بتلك اللغات، وله - كداعية - آراء وأساليب للدعوة إلى دين الله ينبغي الالتفات إليها لأنها تصدر عن تجربة عملية، من ذلك:

يرى أن الدعوة الإسلامية لا تزال تفتقر إلى أمور كثيرة، منها على سبيل المثال قلة الرسائل والمطبوعات التي تدعو الناس إلى دين الله ، وفي حين كانت تتوفر لديه أثناء عمله في التنصير.

كما يرى أن الدعاة المسلمين مطالبون بالتغلغل في الأوساط الشعبية في مختلف البلدان ليشرحوا للناس حقيقة الإسلام ومزاياه الفريدة، ولا سيما أن التصورات لدى العامة في البلدان غير الإسلامية بفعل تأثير دعاة النصرانية في غير صالح الإسلام ومن ثم فمن غير المنطقي أن ندعو الناس إلى الدخول في دين معلوماتهم عنه مشوهة.

لذا يطالب «محمد شريف» بضرورة اتباع طرق تكتيكية في الدعوة الإسلامية تبدأ بشرح جوهر الإسلام وكيف أن الدين عند الله الإسلام، وتبيان حقيقة كون عيسى عليه السلام نبيّاً مرسلاً بالحق، وتوضيح مقدار إجلال المسلمين له باعتباره نبيّاً، ولأمه العذراء التي يضعها الإسلام في مقدمة نساء الجنة.

ويشير كذلك إلى جزئية هامة، وهي تقع على عاتق أثرياء المسلمين، فيرى أن الواجب يحتم عليهم أن يبادروا إلى طبع ترجمات لمعاني القرآن الكريم والكتب التي تتناول جوهر العقيدة الإسلامية وغيرها من الكتب التي تصلح للدعوة إلى مختلف اللغات، ذلك أن كثيرين من أبناء الملل الأخرى يتوقون إلى التعرف على حقيقة الإسلام وتعاليمه، غير أن حاجز اللغة يقف حجر عثرة أمام تحقيق مطلبهم.

ويبرر «محمد شريف» حقيقة ليعلمها أثرياء المسلمين، فيقول:

«إن نشاطات التنصير تجد دعماً من أغنياء النصرانية، في حين يلقي المسلمون تبعة نشاطات الدعوة على عاتق الحكومات والمنظمات والهيئات التي تكون ـ عادة ـ مشغولة بألوان متعددة من النشاطات».

وهكذا نجد أنفسنا أمام شخصية قد أخلصت في اعتناقها للإسلام، إلى حد غيرتها على الدعوة إليه بتبصرة الدعاة المسلمين إلى أساليبها ومتطلباتها ليكون لها أثر فعال.

17 ـ معلم النصرانية السابق الهندي كرست راجا[1]

كرست راجا العالم النصراني الذي اعتنق الإسلام: قرأت القرآن بقصد الانتقاد ولكن الله هداني إلى الإسلام.

عالم نصراني في ولاية «تملنادو» من أقصى جنوب الهند تعمق في دراسة كتب اليهود والنصارى المسماة بالكتب المقدسة. وكان يعتقد أن القرآن مسروق من العهد القديم والجديد، فوجد فرصة لقراءة ترجمة معاني القرآن الكريم في اللغة التاميلية فعرف أنه منزل من عند الله تعالى فنطق بكلمة التوحيد وسمى نفسه «محمدا».

● ما قصة إسلامك يا محمد؟

ـ كان اسمي الأول «كرست راجا». ولدت في عائلة نصرانية في قرية من ولاية تملنادو ولغتي التاميلية وأعرف عدداً من اللغات، منذ صغر سني كنت أحب النصرانية وكذلك المسيح حبّاً شديداً، لأن أحبار النصارى كانوا يعلمونني أن الذى لا يحب المسيح لا يدخل الجنة، ونشأت على هذه العقيدة. وكنت أدعو الله دائما أن يحول المسلمين جميعا إلى النصرانية.

وفي أحد الأيام التقيت بعالم مسلم ووجدت فرصة لكى أناقش معه بعض الأمور المتعلقة بالإسلام والمسيحية، وتحداني بقوله: لن تجد شيئاً في القرآن يخالف العقل أو يخالف الفطرة وكان هذا التحدى سبباً لأقرأ القرآن الكريم فقرآت ترجمة المعاني في اللغة التاميلية مرتين فعرفت أن الإسلام هو الدين الصحيح والنصرانية محرفة فقبلت الإسلام ديناً.

● هل واجهت أى مشكلة من مجتمعك بعد إعلانك الإسلام؟

ـ طبعا واجهت مشاكل كثيرة من مجتمعي، إنهم كانوا ينظرون إلى نظرة

(1) المصدر: حوار أجراه أبو بشرى: المجلة الخيرية العدد «74» محرم 1417هـ

السخرية وقالوا لي: إنك صرت مجنونا وضحكوا على لأنني أطلقت اللحية بعد أن كنت متعودا على حلقها، وتحملت جميع هذه المشاكل من قومي وصبرت عليها لأنني كنت أقرأ في القرآن قصص الدعاة والمصلحين من الأنبياء والرسل وتحملهم الأذى والمصائب في سبيل تبليغ الدعوة إلى الله.

● هل أسلم على يديك أحد؟

- نعم أسلم على يدي زوجتي وثلاثة من أولادي وكذلك أسلم على يدي بعض الإخوة الآخرين.

● ماذا تعمل الآن يا محمد؟

- إنكم تعلمون جيدا أن أحبار النصارى وعلماءهم ودعاتهم يتمتعون بكل نعيم في الدنيا ويعيشون عيشة راضية بما يحصلون عليه من المعونات الهائلة من الدول النصرانية، وأنني تركت هذه كلها طمعا بما أعد الله لي في الآخرة من نعيم في الجنة، والآن أتجول في القرى والمدن ماشيا وألتقي بالناس أفراداً وجماعات أوجه الدعوة إليهم وأدعوهم إلى الإسلام وأبين لهم أباطيل دينهم وأبذل جهدي لإيصال ترجمة معاني القرآن الكريم إلى كل شخص من غير المسلمين. لأنني على يقين أنهم إذا قرأوا القرآن مرة واحدة من أوله إلى آخره فسيدخلون في دين الله.

● قلت إنك تعمل في مجال الدعوة فهل تشتغل بنفسك أو تتبع أحد المراكز الإسلامية؟

- إنني لا أستطيع أن أعمل منفرداً لأنني لا أجد ما أنفقه فلذلك أشتغل كداعية في مركز الدعوة للمسلمين الجدد التابع لجمعية أهل القرآن والحديث في ولاية تملنادو جنوب الهند والتى تبذل جهدها في نشر الدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم.

● ماذا تريد أن تقول للمسلمين؟

- إن المستقبل للإسلام وآلاف من القلوب في هذه المنطقة تنتظر الفرصة للدخول في الإسلام وعلى المسلمين مسئولية كبرى، يجب عليهم أن يتمثلوا صورة الإسلام الصحيحة أولا ثم يقوموا بالدعوة المستمرة ويبذلوا جهدهم في تعريف الإسلام لغير المسلمين من النصارى والهندوس وغيرهم، وعلى المؤسسات والهيئات الإسلامية في داخل البلاد وخارجها التي تهتم بالشئون الدينية أن تقوم بتوزيع ترجمة معاني القرآن بكمية كبيرة.

وأقول أخيراً إن المسلمين هم المسئولون أمام الله لتأخر دخولي في الإسلام. فقد كنت جاهلا به أكثر من ثلاثين سنة، وذلك بسبب المسلمين وتقصيرهم في دعوتي للإسلام وبيان معانيه، وإنني أخشى أن يقول الناس جميعاً يوم القيامة أمام الله تعالى مثل قولي هذا..

18 ـ الشماس السابق المصري سيف الإسلام التهامي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

وبعد..

النشأة:

ولدت في القاهرة في 1980/10/30 من أبوين نصرانيين، كان أبي من الأرمن الكاثوليك وأمي إنجيلية (طوائف نصرانية)، وكانت ابنة عم أبي راهبة في مدرسة راهبات الأرمن، و كان خالي قسيساً في أحد الكنائس الإنجيلية، وكان لي أختان أكبر مني بأربع سنوات.

نشأت نشأة نصرانية بحتة، فمنذ نعومة أظافري وأنا أذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد، وفي الأعياد، وفي كل وقت أشاء حيث لم يكن علي رقيبٌ فيما يخص ذهابي للكنيسة فقد أحببت الذهاب إليها والاستمتاع بكل ما فيها من شعائر وصلوات وأيضاً ألعاب ومعسكرات ورحلات.

التحقت بمدرسة نوباريان الأرمنية وهي مدرسة لا تقبل إلا النصارى الأرمن فقد كان عدد طلاب المدرسة من حضانة إلى ثانوي ما يقرب من 125 طالبا فقط في جميع مراحل التعليم بها. وكان أول ما نفعله صباحاً في طابور المدرسة هو الصلاة ونحن واقفون في صفنا، وكانت توجد كنيسة بالمدرسة وكان أكثر المدرسين في المدرسة نصارى.

فمن الواضح الآن للقارئ أني لم يكن لي أي اختلاط بالمسلمين إلا القليل من أصدقائي في الحي أو جيراني، بل كانت معظم أوقاتي أقضيها بالكنيسة، وكنت

أخدم كشماس في الكنيسة (والشماس هو الذي يساعد القسيس في مراسم القداس والصلاة).

واستمر بي الحال على ذلك حتى وصلت المرحلة الثانوية، وفي هذه المرحلة بدأت أرتبط بالكنيسة والقساوسة أكثر من ذي قبل وكنت سعيداً جداً بهذه العلاقة لأني كنت من المقربين لديهم وأصبحت أقوم بمعظم شعائر القداس من قراءة للإنجيل ورد على القسيس عندما يتلو أي شيء منه، بالإضافة إلى تحضير القربان والخمر للقداس (أعاذكم الله منها).

بداية الهداية:

وفي يوم من الأيام كنت أجلس مع أحد أصدقائي المسلمين، فقال لي: ألن تسلم؟

فقلت له: ولم أسلم؟ ولم لا تتنصر أنت؟

فقال لي عبارة كانت هي أشد ما سمعت..

قال: (أنتم كلكم في النار)!

فيالها من كلمة قوية وقعت عليّ كالصاعقة..

النار؟!

لماذا النار.. وأنا أعمل كل شيء صالح لأتقرب إلى ربي لكي أدخل الجنة ثم يقول لي أني سوف أدخل.. النار؟

فعندما هدأت سألته: لماذا أدخل أنا والنصارى جميعاً النار وأنتم المسلمون تدخلون الجنة؟

فقال: لأنكم تقولون ثالث ثلاثة وأن المسيح ابن الله وغيرها من الافتراءات على المسيح!

فقلت له: وكيف عرفت كل هذه الأشياء؟.. هل قرأت الإنجيل؟

قال: لا بل قرأتها عندنا في القرآن.

الشك واليقين:

فكان هذا من الأشياء العجيبة التي سمعتها أيضاً، فكيف يعرف القرآن ما هو في ديننا (سابقاً) وكيف يقر بأن هذه الأشياء التي نقولها على المسيح كلها كفر وتؤدي إلى النار؟

عندئذ احتار أمري وبدأت أتفكر مليا في هذا الأمر، ثم بدأت أقرأ الإنجيل ولأول مرة ببصيرة فقد كان على قلبى عمى، وبدأت أجد الاختلافات الشديدة في ذكر نسب المسيح!

وادعاء ألوهيته تارة ونبوته تارة أخرى!

فبدأت أتساءل من هو المسيح إذن؟

أهو نبي أم ابن الله أم هو الله؟

أسئلة بلا أجوبة:

وبدأت أضع بعض الأسئلة ثم أذهب بها إلى القسيس، لكى أحصل على الإجابة الشافية، ولكني لم أجد ما يثلج صدري في أي إجابة!

فأتذكر أني ذات مرة سألت القسيس: لماذا الكتاب المقدس يقول إن المسيح جالس على جبل الزيتون وهو يدعو الله؟

.. فإن كان هو الله حقّاً فلمن يدعو؟ ولمن يسجد؟ فأجابني إجابات لم أفهم منها شيئاً.

ثم بدأت أتفكر فيما كنا نفعله في الكنيسة من اعتراف بالخطايا والذنوب للقسيس وأيضاً المناولة (وهي عبارة عن جلاش طري يوضع في الخمر فيقول

القسيس إن هذين الشيئين صارا دم وجسد المسيح ومن يأخذهما يغفر له ويطهر من الداخل!).

وتساءلت كيف يغفر ذنوبي بشر مثله مثلي؟!!

وهو لمن يعترف؟ ومن يغفر له؟

وكيف يحل دم وجسد المسيح في هذه الكأس؟

هل هذه خرافة أم حقيقة؟

وكيف يطهر ما في داخلي ويغفر ذنوبي؟

فبدأت الأسئلة تكثر داخلي ولم أجد لها إجابة، فبدأت آخذ قراراتي من نفسي: مثل عدم الاعتراف للقسيس لأنه بشر مثلي، وأيضا عدم أخذ المناولة، وآمنت أن المسيح عليه السلام كان نبيّاً لأنه بشر..

والإله له صفات الكمال الخاصة التي تتنافي مع صفات البشر وبدأت أقرأ الإنجيل بدون أن أقول (ربنا يسوع المسيح) (بنص الإنجيل).

ولكن أقول يسوع المسيح (فقط)، ولكن مع هذا لم أشعر بالراحة التي أريدها ولم أشعر أن هذا هو الحل في هذا الدين الذي أعتنقه.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

وأثناء ذلك وفي تلك الحقبة من حياتي، كنت ذات يوم أستذكر دروسي في غرفتي داخل منزل الأسرة الذي يقع خلفه تماماً مسجد، وكنا في شهر رمضان وكانت مكبرات الصوت تعمل من بعد صلاة العشاء خلال صلاة التراويح، وكان صوت الإمام الذي يقرأ القرآن يصل إلى غرفتي..

إنه صوت خافت وجميل كنت أشعر فيه بحلاوة تمس قلبي ولم أكن قد علمت بعد أن هذه التلاوة هي القرآن الكريم.

داخل الكنيسة:

ثم جاءت اللحظة التي شرح الله فيها صدري للإسلام وكان ذلك يوم الأحد بالقداس داخل الكنيسة وعندما كنت أقرأ الإنجيل، قبل القداس استعداداً لقراءته على الناس خلال الصلاة.

وأثناء استعدادي سألت نفسي:

هل سأقول ربنا يسوع المسيح؟

أم يسوع المسيح فقط؟

لأنه نبي وليس إله، ولكن إذا قلت ذلك سوف يدرك الحاضرون أني تجاوزت عن تلك الكلمة، ولكن أيضاً كيف سأخالف ضميري..

وفي النهاية قررت أني سأقرأ الإنجيل كما هو دون تغيير مادمت أمام الناس وأن أجعل هذا التغيير عندما أقرأه بمفردي.

وجاء ميعاد قراءتي للإنجيل خلال القداس..

وبدأت أقرأ بثبات كما هو مكتوب تماماً حتى وقفت عند كلمة: (ربنا يسوع المسيح).. فأبى لساني أن ينطق بها، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أتجاوز كلمة (ربنا) خلال القراءة بالكلية، وتعجب القسيس من ذلك الموقف، فأشار إلي بالجلوس فتوقفت عن القراءة ثم جلست ولكننا أكملنا الصلاة بشكل طبيعي، حتى إذا انتهت الصلاة توجهت للغرفة الخاصة بنا..

وهناك سألني القسيس: لم فعلت ذلك؟

لماذا لم تقرأ الإنجيل كما هو؟

فلم أجبه وقلت له: إني أريد أن أذهب إلى البيت لأستريح!

وذهبت إلى غرفتي وأنا في غاية الدهشة..

لماذا فعلت ذلك؟ وماذا حدث لي؟

ومنذ ذلك اليوم، وأنا أنام قبل إتمام قراءة الإنجيل يومياً كما كنت معتاداً من ذي قبل، وأصبحت لا أشعر بالراحة لا في صلاة، ولا قراءة ولا حتى الذهاب إلى الكنيسة..

وظللت أتفكر في حالي.

وتخترق أذني تلك الكلمة القاسية التي قالها لي صديقي المسلم: (كلكم في النار..).

الطريق إلى اليقين:

بعدها.. أقبلت على القراءة الجادة في كتب المقارانات والكتب الإسلامية التي تتناول حياة المسيح، فعرفت من هو المسيح في الإسلام، وعلمت أيضاً ما لم أكن أعلم: وهو ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) في إنجيل العهدين القديم والحديث..

وأكتشفت: أن المسيح وأمه مريم (عليهما السلام).. مكرمان غاية التكريم في القرآن.

وأن المسيح (نبيّ)، قال الله له كن: فكان.

وهو (روح منه)، فتأكدت حينئذ أن الإنجيل الذي بين يديّ محرف، ويكثر فيها الغلط.

ثم علمت أن (الإسلام) هو دين الحق، وأن الله لا يرضى غير الإسلام ديناً، وأنه هو الطريق إلى الجنة والنجاة من النار (التي لا يسعى إليها أحد).

فذهبت بعدها إلى إحدى المكتبات واشتريت مصحفاً كي أقرأ فيه..

وعندما قرأته لم أكن ـ حينها ـ أفهم منه شيئاً، ولكني والله أحسست براحة غريبة في صدري!!

لقد انشرح صدري لهذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده وكرمهم به وأرشدهم إليه، فالحمد لله أولاً، والحمد لله آخراً، والحمد لله أبداً أبداً، الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

ومن المدهش أيضاً أني عندما أخبرت أخواتي بالإسلام وجدتهن قد سبقنني إليه!!

ولم يعارضني منهن واحدة، فالحمد لله الذي منَّ علينا جميعاً بالإسلام..

فيومها نطقت بالشهادتين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

لقد ولدت من جديد، فما أجمله من دين، وما أعظمه من إله واحد أحد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فلك الحمد يا إلهي، أنت عزي وأنت جاهي، فمن يستعن بسؤالك وأنت لا تخيب من رجاك.

اللهم فلك الحمد على نعمة الإسلام وعلى نعمة الإيمان، اللهم ثبتني على ما أنا عليه واجعل آخر كلماتي في هذه الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله فبها ومن أجلها أحيا وأموت وبها ألقاك، وصلاة وسلاما على خير المرسلين إمام النبيين محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كبيراً عظيماً إلى يوم الدين.

19 ـ المنصر السابق الألماني جي ميشيل

تعرضت بعثة تنصيرية رفيعة المستوى للفشل الذريع بسبب اعتناق رئيسها للدين الإسلامي، والذي تعرض لمحاولات مستميتة من قبل البعثة التنصيرية بهدف إبعاده عن اعتناق الإسلام، والتي وصلت إلى حد التهديد بالقتل.. وترجع قصة هذا الخبر عندما اختارت منظمة التنصير بألمانيا الغربية سابقا «جي ميشيل» G. Michel لكي يكون رئيساً للبعثة التنصيرية في الصومال، بجانب عمله كطبيب لأمراض العيون..

كانت بعثة تنصيرية اتخذت في خطتها مشروع تنصير القرن الأفريقي، على أن تكون الصومال هي نقطة الانطلاق لعمليات التنصير.. وقد اتخذت هذه البعثة مشروعاً خيريّاً كستار تخفي من ورائه نشاطها المشبوه.. وكان هذا المشروع هو علاج أمراض العيون كي تنفذ من خلاله إلى المواطنين والتأثير عليهم بترغيبهم في الديانة المسيحية.

وبعد خمسة أشهر تلقت المنظمة تقارير تفيد بتفانيه في عمله كطبيب.. وإهماله للشق الآخر من مهمته، وهو التنصير.. فتلقى «جي ميشيل» برقية من رئاسة المنظمة تطلب منه ضرورة ذهابه إلى إنجلترا لقضاء فترة تدريبية لمدة شهر، ثم السفر منها إلى «تنزانيا».

وفي إنجلترا تعرّف «جي ميشيل» على صديق مسلم من الصومال يدعى «محمد باهور» الذي وطد علاقة صداقته معه، وحدث أن دعاه ذات يوم لزيارة منزله.. الذي يتحدث عنه قائلاً: «بعد أن تعرفت على صديق مسلم من الصومال اسمه «محمد باهور» دعاني إلى زيارة منزله، فلبيت دعوته، وكان الترحيب من أسرته.. وأثناء الزيارة فوجئت برجل يتكلم الإنجليزية بطلاقة مدهشة.. وعلمت

أنه والد «صديقي محمد»، وفرحت به، وتمنيت أن أجذبه إلى الدين المسيحي حتى تتحقق عملية التنصير.. وبدأت مع هذا الرجل عملية جذبه للمسيحية بالحديث عنها معه.. وهو ينصت إليّ بإصغاء تام، توقعت اقتناعه بما أقول، وبالتالي سيكون مفتاح «التنصير في المنطقة كلها».

ويسترسل رئيس البعثة التنصيرية في حديثه قائلاً:

«بعد أن أسهبت في الكلام عن المسيحية كدين لا يرقى في مكانته أية ديانة أخرى، وأنا أتعرض لعظمة الإنجيل والمسيح عيسى ابن الله.. فوجئت بوالد صديقي ممسكاً بنسخة من القرآن في يديه وسألني أتعرف هذا الكتاب.. فابتسمت ولم أجب، خشية إثارته أو التلميح له بمهمتي، ولكن أحسست أن هذا الرجل يدرك ما يدور بعقلي، فمنحني فرصة الخروج من المأزق.. وبدأ هو يتحدث عن الإنجيل وعن المسيح.. ومن خلال حديثه أدركت تماماً أن المسلمين جميعاً يحبونه ويعترفون به، وخصوصاً أن الإسلام ذاته يدعو إلى الإيمان به وبغيره من الرسل والأنبياء، بل جعل ذلك من دعائم الإيمان بالإسلام.

ثم طلب مني والد صديقي أن أوجه له أي سؤال في الإنجيل أو في القرآن.. فقلت له: كيف؟! قال: في القرآن كل شيء.

ويصمت «جي ميشيل» برهة وهو يستعيد حكايته مع الإسلام التي نُسجت خيوطها الاولى من خلال زيارة لصديقه والتقائه بوالده الذي أصغى إليه وهو يحاول أن يجذبه للمسيحية، ثم تعقيب والد صديقه على ما سمعه منه، وإفاضته في الحديث عن الإسلام في سلاسة ويُسر يستسيغه العقل والتفكير المنطقي.

.ثم يستطرد قائلا:

«وتعددت زياراتي لوالد صديقي.. وكنت مُراقباً من أفراد البعثة الذين طلبوا مني عدم الذهاب إلى هذا المنزل، وفوجئت بعد ذلك بقرار نقل صديقي، ثم

اعتقاله بدون سبب.. أما بالنسبة لي فقد طلبوا مني الانتقال إلى «كينيا» لقضاء أجازة ممتعة على حد تعبير منظمة التنصير... ووصلتني رسالة ساخنة من والدي يطالبني فيها بالعودة إلى ألمانيا بأسرع ما يمكن».

ولكن «جي ميشيل» رئيس بعثة التنصير رفض الاستجابة لتعليمات رئاسته في ألمانيا.. كما رفض الاستجابة لطلب والده.. فكتب هذه البرقية إلى كل منهما:

«اطمئنوا تماماً.. كل شيء على ما يرام، وسأعتنق الإسلام».

وعكف «جي ميشيل» على دراسة الإسلام وتفهم تعاليمه وأركانه التي حث عليها.. بعدها أعلن اعتناقه للإسلام، وقام بتغيير اسمه إلى «عبدالجبار».

واستمر «عبدالجبار» في الصومال يؤدي رسالته كطبيب مسلم يعرف حق الله وحق مرضاه، ويعامل الناس بآداب الإسلام التي تحلّى بها في سلوكياته وأخلاقياته.

20 ـ معلم اللاهوت السابق الدكتور آرثر ميلاستنوس[1]

(آرثر ميلاستنوس) دكتوراه في اللاهوت، وكان الرجل الثالث في مجمع كنائس قارة آسيا.

قصته مع الإسلام:

في أثناء عمله بالتنصير عام 1983 قال لنفسه: أي ضير في قراءة القرآن من أجل الرد على المسلمين؟ فتوجه إلى أحد المسلمين سائلاً إياه أن يعيره كتابه المقدس، فوافق المسلم مشترطاً عليه أن يتوضأ قبل كل قراءة، ثم شرع آرثر يقرأ القرآن خفية، ولنستمع إليه يحدثنا عن تجربته الأولى مع القرآن:

«عندما قرأت القرآن أول مرة، شعرت بصراع عنيف في أعماقي، فثمة صوت يناديني ويحثني على اعتناق هذا الدين، الذي يجعل علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة، لا تحتاج إلى وساطات القسس، ولا تباع فيها صكوك الغفران!! وفي يوم توضأت، ثم أمسكت بالقرآن فقرأت: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)، فأحسستُ بقشعريرة، ثم قرأت ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣)، فحلّت السكينة في الروح الحيرى، وشعرت أني قد خُلقت من جديد.

في تلك الليلة لم يصبر آرثر حتى تطلع الشمس، بل اتجه حالاً إلى منزل صديقه المسلم ليسأله عن كيفية الدخول في الإسلام، وبين حيرة الصديق ودهشته نطق آرثر بالشهادتين.

(1) المصدر: ربحت محمداً ولم أخسر المسيح ـ د. عبدالمعطي الدالاتي.

21 ـ معلم اللاهوت السابق عبدالأحد داود[1]

(بنجامين كلداني) أستاذ في علم اللاهوت، وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحدة، يتكلم عدة لغات.

اسمه هو دافيد بنجامين الكلداني، كان قسيسا للروم من طائفة الكلدان، وبعد إسلامه تسمى بـ«عبدالأحد داود».

مولده:

ولد عام 1868م، في أروميا من بلاد فارس، وتلقى تعليمه الابتدائي في تلك المدينة، وبين عامي 1886ـ 1889م كان أحد موظفي التعليم في إرسالية أساقفة «كانتر بوري» المبعوثة إلى النصارى النسطوريين في بلدته، وفي عام ١٨٩٢م أرسل إلى روما حيث تلقى تدريبا منتظما في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية «بروبوغاندافيد» وفي عام 1895م تم ترسيمه كاهنا، وفي هذه الفترة شارك في كتابة سلسلة من المقالات التي تم نشرها في بعض الصحف المتخصصة، وبعد عودته من روما توقف في إستانبول عام 1895م وأسهم في كتابة ونشر بعض المقالات عن الكنائس الشرقية في الصحف اليومية الإنجليزية والفرنسية.

لم يمكث طويلا في إستانبول بل عاد في نفس العام إلى بلدته، وانضم إلى إرسالية «لازارست» الفرنسية، ونشر لأول مرة في تاريخ الإرسالية منشورات فصلية دورية باللغة السريانية، وبعد ذلك بعامين انتدب من قبل اثنين من رؤساء

(1) المصدر: (محمد في الكتاب المقدس) عبدالأحد داود ص(162) ـ (عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام) محمد طماشي.

من كتبه: الإنجيل والصليب على هذا الرابط:

http://saaid.net/book/49.zip

أساقفة الطائفة الكلدانية في بلده لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر «القربان المقدس» الذي عقد في مدينة «باري لو مونيال» في فرنسا، وفي عام 1898م عاد إلى قريته «ديجالا» وافتتح مدرسة بالمجان.

وفي عام 1899م أرسلته السلطات الكنسية إلى سالماس، لتحمل المسئولية، حيث يوجد نزاعات بين بعض القياديين النصارى هناك، وفي عام 1900م ألقى موعظة بليغة شهيرة، حضرها جمع غفير من طائفته وغيرها، وكان موضوعها:

(عصر جديد ورجال جدد) انتقد فيها تواني بني قومه عن واجبهم الدعوى.

ما هي دوافع إسلامه؟

يحدثنا عبدالأحد داود نفسه في كتبه عن هذه الدوافع، ومنها:

1 ـ عناية الله به، إذ يقول لما سئل: كيف صرت مسلما؟ كتب: إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث، ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية، واللحظة التي آمنت بها بوحدانية الله، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن.

2 ـ ومن الأسباب التي ذكرها أيضا والتي جعلته يعلن عصيانه على الكنيسة، أنها تطلب منه أن يؤمن بالشفاعة بين الله وبين خلقه في عدد من الأمور، كالشفاعة للخلاص من الجحيم، وكافتقار البشر إلى الشفيع المطلق بصورة مطلقة، وأن هذا الشفيع إله تام وإنسان تام، وأن رهبان الكنيسة أيضا شفعاء مطلقون، كما تأمره الكنيسة بالتوسل إلى شفعاء لا يمكن حصرهم.

3 ـ من واقع دراسته لعقيدة الصلب وجد أن القرآن ينكرها والإنجيل المتداول يثبتها، وكلاهما في الأصل من مصدر واحد، فمن الطبيعي ألا يكون بينهما اختلاف، ولكن وقع بينهما الاختلاف والتضاد، فلا بد من الحكم على

أحدهما بالتحريف، فاستمر في بحثه وتحقيقه لهذه المسألة حتى توصل إلى الحقيقة، حيث يقول:

(ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية).

4 ـ اعتقاد النصارى بالتثليث، وادعاؤهم أن الصفة تسبق الموصوف كان أحد الأسباب التي دعته للخروج من المسيحية.

5 ـ التقى بعدد من العلماء المسلمين وبعد مواجهات عديدة معهم اقتنع بالإسلام واعتنقه.

6 ـ اعتزل الدنيا في منزله شهراً كاملاً، يعيد قراءة الكتب المقدسة بلغاتها القديمة وبنصوصها الأصلية مرة بعد مرة ويدرسها دراسة متعمقة مقارنة ضمّن بعضها في كتابه الفذ (محمد في الكتاب المقدس) وأخيراً اعتنق الإسلام في مدينة استانبول ومن مؤلفاته (الإنجيل والصليب).

يقول عبدالأحد داود:

«في اللحظة التي آمنت فيها بوحدانية الله، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، بدأت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن».

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» هذه العقيدة سوف تظل عقيدة كل مؤمن حقيقي بالله حتى يوم الدين.. وأنا مقتنع بأن السبيل الوحيد لفهم معنى الكتاب المقدس وروحه، هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية».

22ـ القس السابق محمد فؤاد الهاشمي[1]

ألّف كتاب (الأديان في كفة الميزان) يقول فيه: «لقد كان قصدي من البحث الإسلامي استخراج العيوب التي أوحى إلي بها أساتذتي، لكن وجدت أن ما زعموه في الإسلام عيوباً هو في الحقيقة مزايا! فأخذ الإسلام بلبي، فانقدت إليه، وآمنت به عن تفكُّر ودراسة وتمحيص، وبها كلها رجحت كفة الإسلام، وشالت كفة سواه»..

(1) المصدر:عن (الإسلام) الدكتور أحمد شلبي ص (288)

23 ـ القس السابق ثاني أكبر قسيس في غانا

أخذوه طفلاً فقيراً معدماً يلبس الرث من الثياب، وبالكاد يجد لقمة يومه، ربوه في ملاجئهم ودرسوه في مدارسهم، ما إن لحظوا منه نباهة حتى جعلوه من أولويات اهتماماتهم، كان يتميز بذكاء حاد ونظرة ثاقبة في سن مبكرة من حياته، سرعان ما شق طريقه في التعليم، حتى نال أكبر الشهادات بالطبع كان ذلك مقابل دينه الذي يعرف انتماءه له، لكنه تلفت يمنةً ويسرةً في وقت العوز والحاجة، فما وجد أحدا إلا المنفرين ـ أعني المنصرين أو من يسمون أنفسهم بالمبشرين ـ أصبح قسيسا لامعاً في بلده، له لسان ساحر وأسلوب جذاب ومظهر لامع، وبريق عينيه يقود من رآه إلى مرآب ساحته، ومع الأسف كانت ساحته هي التنصير، وكم تنصر على يديه من مسلم.

وذات يوم إذ أراد الله هدايته، تأمل... وأخذ يتساءل.. أنا لم أترك ديني لقناعة في الديانة النصرانية، وإنما الجوع هو الذي قادني، والحاجة هي التي دفعتني، والعوز هو الذي ساقني، وعلى الرغم من رغد العيش الذي أنا فيه، والرفاهية التي أتمتع بها إلا أنني لم أجد الانشراح ولم أشعر وأنعم بالراحة والسعادة والطمأنينة إذ ما فتئت أقلق من المصير بعد الموت، ولم أرس على بر أمان أو قاعدة صلبة تريح الضمير حول ما في الآخرة من مصير.

لماذا لا أتعرف على الإسلام أكثر؟ لماذا لا أقرأ القرآن مباشرة، بدلا من الاكتفاء بمعلوماتي عن الإسلام من المصادر النصرانية التي ربما لم تعرض الإسلام بصورته الحقيقية.

وهنا شرع يقرأ القرآن ويتأمل ويقارن، فوجد فيه الانشراح والاطمئنان، وانفرجت أساريره وعرف طريق الحق وسبيل النور ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥ ـ ١٦). هنا اتخذ قراره الحاسم وعزم على التصدي لكل عقبة تحول دون إسلامه، تُرى ماذا أفعل؟ لقد عمل بالمثل القائل الباب الذي يأتيك منه الريح. افتحه وقف في وجهه. فذهب إلى الكنيسة وقابل الرجل الأول فيها القسيس الأوروبي الكبير عندهم، وأخبره بقراره، فظن أنه يمزح أو أنه هكذا أراد أن يقنع نفسه لكنه أكّد له أنه جاد في رغبته هذه، فجن جنون الرجل وأخذ يزبد ويرعد ويهدد... ثم لما هدأ، أخذ يذكره بما كان عليه وما صار إليه، وما فيه الآن من نعمة ويسر، وحاول إغراءه بالمال وأنه سيزيد راتبه ويعطيه منحة ويزيد من المنحة السنوية، ويزيد من صلاحياته، و... و... و.. لكن دون جدوى فجذوة الإيمان قد تغلغلت في شغاف القلب واستقرت في سويداء الضمير، كذلك بشاشة الإيمان إذا خالطت القلب استقرت كما قال قيصر الروم لأبي سفيان فيما رواه البخاري رحمه الله.

هنا قال له: إذن تُرجع لنا كل ما أعطيناك وتتجرد من كل ما تملك، قال أما ما فات فليس لي سبيل لإرجاعه، وأما ما لدي الآن فخذوه كله، وكان تحت يديه أربع سيارات لخدمته، وفيلا كبيرة وغيرها، فوقع تنازلا عن كل ما يملك، وهو في هذا يعيد لنا أمجاد أبا يحيى صهيب الرومي رضي الله عنه الذي قال له الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: ربح البيع أبا يحيى، وذلك عندما استوقفه مشركو قريش في طريق هجرته وقالوا له جئتنا معدماً فقيراً ثم استغنيت فوالله لا ندعك حتى تخرج من مالك فاشترى نفسه منهم بأن دلهم على ماله على أن يدعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١).

اغتاظ القسيس الكبير وجرده حتى من ملابسه وطرده من الكنيسة شر طردة، وظن أنه سيكابد الفقر يومين ثم يعود مستسمحا، كيف لا يظن ذلك وهم الماديّون حتى الثمالة. خرج أخونا من الكنيسة قال: وأنا لا ألبس سوى ما يستر

عورتي ولا أملك سوى هذا الدين العظيم الإسلام، وشعرت حينئذٍ أنني أسعد مخلوق على هذه البسيطة. سار ماشيا باتجاه المسجد الكبير وسط البلد وفي الطريق أخذ الناس يمشون بجانبه مستغربين، ويقول بعضهم: لقد جن القسيس، وهو لا يرد على أحد حتى وصل المسجد فلما هم بالدخول حاولوا منعه متسائلين إلى أين؟ وإذا بالجواب الصاعقة: جئت أُعلن إسلامي. عجباً، القسيس الأشهر في البلاد الذي تنصر على يديه المئات، الذي يظهر في شاشة التلفاز مرتين أسبوعيا، الذي يمثل النصرانية في البلد، الذي الذي الذي..... يأتي اليوم ليُعلن إسلامه إنها سعادةٌ لا توصف، وفرحة لا تعبر عنها الكلمات، ولا تقدر على تصويرها الجمل والعبارات، إنه أنسٌ غامر، وإشراقة منيرة، وكأن بالتاريخ يدوّي بصيحة اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، ومع فارق التشبيه إلا أنه رب إسلام شخص واحدٍ يجر خلفه إسلام المئات وإنقاذ العشرات من براثن التية والضلال وحمأة الكفر والانحلال.

المسلمون فرحون، هذا أعطاه بنطالا وذاك أعطاه قميصا وآخر وهبه الشال، حتى دخل المسجد وألقى بالمسلمين المتواجدين خطبة عصماء، أعلن فيها إسلامه انطلقت على إثرها صيحات التكبير وارتفعت خلالها أصوات التهليل والتسبيح، استبشارا وفرحا بإسلام مَن طالما دعاهم إلى الضلال، إذا به اليوم يدعوهم إلى الهداية والإسلام، وخلال يومين رجع الكثير الكثير ممن تنصروا إلى واحة دينهم الإسلام الوارفة الظلال، حيث ينعمون في ظله وكنفه بآثار الهداية وطمأنينة سلوك السبيل القويم وراحة البال والضمير والخير العميم. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

بعد يومين من إعلانه إسلامه بدأ النصارى الحاقدون يبحثون عنه ليقتلوه وتهددوا وتوعّدوا فقام المسلمون بتهريبه إلى سيراليون سرا، حيث أُعلِن عبر الإذاعة التي تملكها لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية أنه سيُلقي خطابا للأمة

بمناسبة إسلامه، وأخذ الجميع يترقّب هذا الخطاب والكنيسة كانت ضمن المترقبين وقد توقعت أن يقوم بمهاجمتها أشد المهاجمة وإخراج كثير من أسرارها أمام الملأ والتجني عليها، هذا ما كانت تتوقعه، وقد أعدّت قبل خطابه مسودة لبيان سوف تنشره وكان يرتكز على أنها وجدته معدماً فقيراً وقامت بمساعدته وتبنيه وتربيته وتكفلت بتعليمه حتى بلغ أعلى المستويات العلمية ثم هو يقوم بنكران الجميل وخيانة الأمانة ورد المعروف بالإساءة، والتنكر لمن آواه ورعاه.

لكن الله خيّب فألهم وأغلق عليهم الطرق، حيث قام صاحبنا بإلقاء خطاب خلاف توقعهم بدأ فيه بشكرهم على كل ما قدّموا له وذكر ما قدّموا له من رعاية ومأوى وتعليم وغيره بالتفصيل ودان لهم بعد الله بالفضل، إلا أنه نوّه وأشار بطريقة لبقة تتسم بالذكاء إلى أن العقيدة وحرية الدين ليست تسير وفق العواطف بطريقة عمياء وفضل الله تعالى فوق كل فضل، ونعمة الله تعالى فوق كل نعمة، ذلك بصياغة تجعل كل مَن خَدَمَتهُ الكنيسة يُعِيدُ النظرَ في هذه الخدمة والرعاية وأنها ليست مقياسا لصحة العقيدة، وليست العامل المرجّح لاختيار الدين، فأصاب الكنيسة في مقتل وأغلق الطريق أمامها لانتقاده والتشنيع عليه، وأظهر دين الإسلام بأنه لا يرضى لأتباعه بنكران الجميل، بل قال إن الدين الإسلامي يعلم أتباعه الوفاء، لكنه لا يرضى لهم أبدا بإلغاء عقولهم **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (الرعد: ٤/ النحل: ٦٧/ الروم: ٢٤).

بعد الخطاب بيومين كان هناك حفل افتتاح مسجد الجامعة حيث حضر هذا الحفل في باحة الجامعة رئيس جمهورية سيراليون وجمع من المسئولين وبعض رجال الكنيسة الذين دعتهم الجامعة لتكريس التسامح الديني ولتلطيف الجو بعد الخطاب الذي ألقاه القس الذي أسلم، وفي الحفل بعد تلاوة القرآن الكريم قام الشيخ طايس الجميلي حفظه الله ممثل لجنة مسلمي أفريقيا التي تكفلت ببناء المسجد بإلقاء كلمة أشار فيها إلى إسلام ذلك القس وضمنها قوله

تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾ (المائدة: ٨٢ ـ ٨٣)، وأن هذا هو حاله وما حدث معه وعندما شرع في شرح هذه الآية ووصل بشرحه عند الآية ترى أعينهم تفيض من الدمع والمترجم يترجم على الفور، قال رأيت القساوسة الذين حضروا أخرجوا مناديلهم يمسحون دموعهم، تأثرا أو مجاملة والله أعلم. قال أحد القساوسة لزميله الذي بجانبه أقسم أن هذا هو من أرشد ذلك القسيس ليجعل خطابه بالصورة التي ظهر عليها وأحرجنا. وسمعهما أحد المسلمين بجانبهما. والحمد لله على نصرة دينه، والله أكبر ولله الحمد.

24 ـ كبير أساقفة جوهانسبرج فردريك دولامارك

الدهشة للمسلمين والمسيحيين بالتساوي من إسلام كبير أساقفة جوهانسبرج.

اهتزت دوائر التنصير العالمية إثر مفاجأة كبرى شهدتها مدينة «جنيف» السويسرية، إذ أعلن المونسينور «فردريك دولامارك» كبير أساقفة «جوهانسبرج» في صحن المركز الإسلامي الكبير بجنيف، مؤكداً استعداده للبدء فوراً في قيامه بالتعريف بحقيقة الإسلام، والعمل على نشر تعاليمه في أنحاء القارة الأفريقية.

وسادت الدهشة والذهول أركان الكنيسة الكاثوليكية بعد أن أعلن الرجل أنه عندما درس الإسلام وجد صورة أخرى مختلفة للمسيح عيس عليه السلام مما أحدث في نفسه أعمق الأثر... وتخشى الكنيسة من تأثر عدد كبير من قادة العمل التنصيري بتلك المفاجأة، حيث اشتهر «فردريك» برجاحة عقله وإنصافه للحقيقة.

المثير للانتباه أن «فردريك» قد وصلت غيرته على الإسلام إلى حد التأكيد على ضرورة تطوير أساليب الدعوة والاهتمام بدعمها، حيث إن هناك قصوراً في هذا الصدد ينبغي معالجته... وقد صرح بهذا المعنى في قوله:

«من المؤسف حقّاً أن الجهود التنصيرية لا تشكو من أي نقص تنظيمي أو حركي أو مالي أو معنوي، وهذا ما نفتقده عند دعاة الإسلام، فضلاً عن المصاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية».

25 ـ القس السابق الأيرلندي[1]
يبكي عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم

جاء إلى مصر بعد أن استقال من منصبه كأسقف في إحدى الولايات الأمريكية ليدرس الإسلام على يد شيوخ الأزهر وعلمائه.

كان يشعر بالشك في عقيدته بعد أن درس الفلسفة واللاهوت.. وبعد أن كان يقوم بتدريس المواد الدينية في إحدى المدارس الثانوية الكاثوليكية.. فقد كان مشغوفاً بالبحث والدراسة حتى يستطيع أن يقوم بعمله خير قيام. ولكن دراساته وبحوثه لم تزده إلا شكّاً في عقيدته وطبيعة عمله.

وقبل أن يسرد في حكايته قصة اتجاهه للإسلام واعتناقه يتناول بالحديث طبيعة نشأته ومراحل دراسته وتطورها التي أوصلته للعمل كأسقف بولاية «نيو جيرسي».... فيقول:

«أنا شاب أيرلندي الأصل، نشأتُ في بيئة كاثوليكية متمسكة بعقيدتها.. وكل الآباء هناك يتمنون أن يكون من أبنائهم قسيس يخدم الدين المسيحي، لأن هذا شرف كبير للعائلة، لذلك درست في مدرسة ثانوية دينية، ثم التحقت بكلية خاصة بالقسس بجامعة «سانت باتريك» لدراسة الفلسفة واللاهوت لمدة ست سنوات.. وخلال فترة دراستي لم أسمع كلمة واحدة عن الإسلام.

وبعد تخرجي بشهرين فقط عام 1971 ذهبت إلى أمريكا للتبشير، حيث تُخرج الكلية مائتي قسيس كل عام.. ويأتي الأساقفة الأمريكيون فيأخذون أغلبهم إلى أمريكا للعمل بالتبشير في مناطق مختلفة.. وعملت أسقفاً بولاية «نيو جيرسي».. وأصبحت مسئولاً عن إعداد برامج التوجيه الديني لكل المستويات

(1) المصدر: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء محمد كامل عبدالصمد.

وتدريب القائمين بهذا العمل، وإلى جانب ذلك عملت مدرساً للمواد الدينية بالمدرسة الثانوية الكاثوليكية.. وكنت مشغوفاً بالبحث والدراسة حتى أستطيع أن أؤدي واجبي تجاه إرشاد الناس.. وكنت كلما تعمقت في البحث والدراسة انتابني شعور غريب بالشك في عقيدتي.. ولم أستطع أن أكتم شكوكي، فقررت مفاتحة رئيس الأساقفة وقلت له: لدي شك في عملي، بل وفي إيماني بالله حسب عقيدتنا. فنصحني بالتريّث والتفكير، وأعطاني مهلة لمدة عام ريثما أفكر في الموضوع بهدوء».

ويتنهد ويزفر بزفرات حارة وهو يهز رأسه قائلاً:

«... وخلال هذا العام عكفتُ على البحث والدراسة، وتوجت بحثي بالحصول على درجتين للماجستير، إحداهما في التربية الدينية، والأخرى في اللاهوت والكتاب.. ولكن هذه الدراسات والبحوث لم تزدني إلا شكّاً في عقيدتي وعملي.. وعدت إلى رئيس الأساقفة ومعي استقالتي من عملي فوافق..».

ثم يلتقط أنفاسه ليعود مستدركاً ما بدا له أنه قد فاته توضيحه فيقول:

«ولكن حتى هذه اللحظة لم أكن قد عرفت أي شيء عن الإسلام».

ويبدو أن هناك أسباباً وراء شكوكه في عقيدته كانت وراء استقالته من عمله دون أن يكون واقعاً تحت تأثير أي عقيدة أخرى.. فيحدثنا عنها قائلاً:

«هناك أسباب كثيرة، فقد كان انتقالي من «أيرلندا» حيث المجتمع الريفي المتماسك، إلى «أمريكا» حيث المجتمع الصناعي المادي، وما يتميز به من أمور غريبة من ذلك مثلاً عدد المذاهب المسيحية الذي يربو على ثلثمائة مذهب... كل واحد منها يزعم أنه على الحق دون غيره، مما جعلني أشك في صدق هؤلاء.

كما أن هناك اشياء أخرى لم أكن مقتنعاً بها، مثل السلطة البابوية المطلقة على الناس.. والتعسف، في معالجة الأمور، مثلما حدث من جدال طويل قد ثار

حول موقف البابا من تنظيم النسل.. فهم يرفضون التنظيم مع أنه لايوجد في الأناجيل ما يمنع ذلك.

كما أنني لم أكن مقتنعاً بفكرة الرهبنة، حيث كثير من رجال الدين في المسيحية ممنوعون من الزواج بأمر البابا.. وهذا شيء ضد طبيعة الإنسان وفطرته.

هذه هي بعض الأسباب التي ضاعفت شكوكي، وجعلتني أعيش في حيرة.. كيف أعظ الناس وأنا غير مقتنع بما أقول.. لذلك قررتُ الاستقالة دون أن أعرف شيئاً عن الإسلام».

وبعد أن استقال قرر أن يستأنف دراسته للحصول على الدكتوراه من جامعة «هارفارد»، وذلك بعد أن اشتغل في الكنيسة تسع سنوات.

وفي فترة دراسته تلك كانت توافيه معلومات وبيانات عن الإسلام، فأراد أن يستزيد منها.. فماذا يفعل؟... يجيب عن ذلك بقوله:

«أَردت أن أعرف المزيد عن الإسلام، فدرست تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية.. كما حرصت على حضور بعض المحاضرات لعدد من علماء المسلمين الذين يحاضرون في القرآن والحديث وأركان الإسلام، وكل ما يتصل به. وذلك من باب حب الاستطلاع.

ويصمت برهة ليسترجع ذكريات حبيسة في نفسه فيقول:

«أذكر في ذلك الوقت أنني قد سمعتُ عن مصر والأزهر ودوره الإسلامي الكبير.. والغريب الذي أعجب منه كلما استرجعه أن بداية معرفتي بالأزهر جاءت بعد رؤيتي لعرض يقدّمه شيخان من الأزهر بزيهما الديني المميز اعترافاً وتقديراً لدور الأزهر كأقدم جامعة في العالم، وذلك في أثناء الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على إنشاء جامعة «هارفارد»، حضره مندوبون من جامعات العالم العريقة.

وهذه الصورة محفوظة في سجل الجامعة هناك... ولذلك قررت أن يكون

موضوع رسالتي للدكتوراه عن علماء الدين الإسلامي.. أهميتهم ودورهم في المجتمع المصري من أيام الشيخ عبدالمجيد سليم وحتى الآن».

وحتى ذلك الوقت لم يكن قد قرر اعتناق الإسلام، وإنما كان اهتمامه بالدراسة فقط، والتي كانت تستدعي منه مجيئه إلى مصر ليقوم بدراسة الإسلام من كليات الأزهر المتخصصة، مثل كلية أصول الدين، والتقائه بأساتذتها، وعلماء الإسلام، فضلاً عن قراءاته المستفيضة لعدد كبير من الكتب الإسلامية.

وعندما حضر إلى مصر وشاء قَدَرُ الله أن يكون ذلك في شهر رمضان، استرعى انتباهه ظاهرة غريبة بالنسبة له كأجنبي... عنها يقول:

«حين جئت إلى مصر في شهر رمضان.. شاهدت المجتمع المصري منتظماً في أسلوب حياته القائم على أساس من الدين.. فالناس يذهبون إلى المسجد عند سماع الأذان، ويتطهرون بماء الوضوء، ثم يقفون في صفوف منتظمة.. وعند الإفطار تخلو الشوارع من المارة».

عندئذ يضحك ساخراً من نفسه عندما فسر في البداية خلو الشوارع من المارة بوجود تعليمات بحظر التجوال في ذلك الوقت.. فيعبر عن ذلك بقوله:

«ظننت في بداية الأمر أن هناك قانوناً بحظر التجوال بعد الغروب.. ولكنني عرفت السبب بعد ذلك».

ثم يعود ليستكمل روايته عن تلك الظاهرة التي استرعت انتباهه في شهر رمضان فيقول:

«ورأيت أيضاً المسلمين يُصلُّون العشاء والتراويح.. ويذهب بعضهم إلى أعمالهم ومتاجرهم حتى ساعة متأخرة، يقال عنها «السحور».. ثم يصلون الفجر وينامون».

ثم يندفع في كلامه ليؤكد حكماً استخلصه من مشاهداته في المجتمع المصري كمجتمع مسلم فيقول:

«فالمجتمع إذن منظم على أساس من الدين.. يكفي أنه قد شد انتباهي أن الأمن والأمان سائدان - في شوارع القاهرة - بشكل لم أرهما من قبل في أي مكان... فالناس يسيرون في الشوارع ليلاً في أمن واطمئنان بدون أن يتعرضوا للاعتداء عليهم بالقتل أو غيره.. في حين أنّ عندنا في نيويورك مثلاً يوجد كل يوم ثمانية قتلى في الشوارع، مع أن الأمريكيين لا يسيرون في الشوارع والطرقات ليلاً خوفاً على حياتهم ليس ذلك في نيويورك وحدها، بل في باقي الولايات الأمريكية.. فبرغم القوانين والعقوبات تنتشر الجرائم والانحرافات انتشاراً مخيفاً، ولكن الأمر يختلف في المجتمع المسلم، كما هو الحال في مصر، فإيمان الناس بدينهم يجعلهم يطبقون تعاليمه بدون خوف من عقوبة أو قانون، بل احتراماً لمبادئهم وعقيدتهم. وهذا هو الفرق بين المجتمع هنا والمجتمع في الغرب حيث لا أمن ولا أمان».

وبرغم اقتناعه بالإسلام كمنهج حياة ينظم للبشر أسلوب معيشتهم وسلوكياتهم - كما رأى بعينه من انتظام الناس في العبادة في شهر رمضان.. وبرغم قراءاته في الكتب الإسلامية المترجمة، ولاسيما ترجمة معاني القرآن الكريم وغيرها من كتب، ككتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل، الذي استخدم فيه الأسلوب العلمي الدقيق في الرد على شبهات المستشرقين حول الرسول وزوجاته الطاهرات.. وبرغم مقابلاته مع شيوخ وعلماء الأزهر.. برغم ذلك كله لم يعلن إسلامه على الفور.. ليس عن عناد فكرٍ وغشاوة قلب.. وإنما لسبب آخر... عن ذلك يقول موضحاً:

«إنه برغم اقتناعي الكامل بالإسلام كدين خاتم يجب أن يؤمن به الناس جميعاً فإنني ترددت أربعة أشهر قبل أن أعلن إسلامي، لأدرس القرار في تأنٍّ من جميع جوانبه.. لأنه من الصعب على الإنسان أن يغير دينه...

بعدها شرح الله صدري للإسلام، فدخلت في دين الله الحق.. وسميت نفسي «مصطفى مولاني» تيمناً باسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم».

وفي نبرة سعادة خفية كشفتها عيناه وهي تلمع كوميض الضوء وهو يصرخ قائلاً:

«في لحظة اعتناقي للإسلام شعرتُ أنني أدخل عالماً نورانيّاً يسمو بالروح والنفس.. وذلك حينما تسلمت شهادة إشهاري الإسلام.. قد شعرت بأنني حصلت على أعلى شهادة في الدنيا.. وأحسست في الوقت ذاته أنني ألقيتُ عن كاهلي عبئاً ثقيلاً من الهموم والقلق والشكوك والشقاء.. نعم شعرت بسعادة غامرة لم أشعر بها من قبل».

وعن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي هاجمه عندما كان قسيساً قال:

«لقد اقتنعتُ تماماً بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين.. واقتنعت بسنته وتشريعاته التي اتخذها الغرب مدخلاً للطعن في رسالته مثل تعدد الزوجات التي اقتنعت تماماً بحكمتها».

ثم أضاف قائلاً:

«لقد قمت بعمل عُمرة، وزُرتُ البيت الحرام، والروضة الشريفة، وفاضت عيناي بالدموع أمام قبر المصطفى صلى لله عليه وسلم وقلت لنفسي حينئذ: من أنا حتى أقف أمام قبر أعظم إنسان عرفته البشرية.. وشكرت الله تعالى أن هداني للإسلام».

إن قصة اعتناق الأسقف الأمريكي للإسلام تبين إلى أي مدى ينتشر دين الله.. في قلعة الكفر التي لا تعترف بالإسلام ولا برسوله وتناصبهما العداء.. ولكن عندما تشاء إرادة الله في هداية أحد من عباده فلا رادَّ لمشيئته.

26 ـ أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق أفريقيا سابقاً أشـــوك كولـــن يانـــج[1]

•• الكاردينال السابق أشوك كولن يانح يكشف جوانب جديدة عن رحلته إلى الإسلام..

أثارت المقابلة التي أجريت مع أمين عام مجلس الكنائس لوسط وشرق أفريقيا سابقاً أشوك كولن يانج ردود فعل واسعة النطاق وتناقلتها عشرات، المواقع الإليكترونية ووسائل الإعلام.. وكان كولن يانج الذي اعتنق الإسلام عام 2002 قد كشف في حوار لمجلة المجتمع أبعاد المخطط الكنسي الرامي لتنصير المسلمين وضرب الحركة الإسلامية، عبر توظيف العلمانيين لمواجهة المد الإسلامي، وإنفاق أموال طائلة على بعض الأجهزة والأفراد ذوي الصلة..

وفي هذا الموضوع يكشف الكاردينال السابق جوانب جديدة من رحلته «من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإسلام، ومن حال أهل النار إلى حال أهل القبلة» على حد تعبيره وفيما يلي التفاصيل:

• تغيير الإنسان عقيدته ليس أمراً سهلاً، خاصة إذا كان هذا الإنسان يحتل قمة الهرم الذي يدعو إلى هذه العقيدة.. فما الذي قادك إلى التغيير، ومن ثم اعتناق الإسلام من واقع دراستك للأناجيل؟

ـ سؤال مهم.. الإنسان مهما علا شأنه إذا كان صادقاً وجادّاً في البحث عن الحقيقة، فإنه حتماً سيصل إليها يوماً مَّا، وهذه الحقيقة التي سيصل إليها إما أنها تعزز ما يؤمن به، أو تهديه إلى سبيل آخر... هذا أولاً.

أما كيف غيرت عقيدتي فأجيب من خلال أقوال المسيح التي وردت في

---

(١) المصدر مجلة المجتمع العدد 1644.

الأناجيل، فقد جاء في إنجيل يوحنا في الإصحاح الثامن فقرة 40 عندما همَّ اليهود بقتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله».

فالمسيح عليه السلام إنسان اختاره الله وحمّله رسالة وجعله نبيّاً، ولذلك يقول عليه السلام كما جاء في الإصحاح الثامن فقرة 42: «لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت، لأني لم آت من نفسي بل ذلك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي»؟، وقد صرحت بعض الأناجيل بنبوة عيسى عليه السلام كما جاء في لوقا الإصحاح السابع فقرة 16: «فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم»، وجاء في متى الإصحاح الحادي والعشرين فقرة (9، 10، 11): «ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا النبي الذي من ناصرة الجليل»، وهذه النصوص تتفق مع قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (المائدة: ٧٥).

رسالة عيسى:

• إذاً أنت ترى أن هذه النصوص التي اقتبستها من الأناجيل كفيلة بتغيير العقيدة من النصرانية إلى الإسلام؟

- الإيمان برسالة سيدنا عيسى عليه السلام يكون بتصديقه فيما أخبر، فلا نرد خبره ولا نكذب قوله ولا نخالفه، فالمسيح عليه السلام جاءنا من الله لأمرين مهمين:

أولاً: لتعليم الأمة التي بُعث إليها كيف تتقرب إلى الله وتعبده.

أما معرفة الله فيقول المسيح عليه السلام: «إن الله واحد لا شريك له ولا نظير له ولا شبيه له»، فقد جاء في إنجيل مرقص في الإصحاح الثاني عشر

فقرة 30 لما سأله الكتبة: أي وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا «إسرائيل» الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب: صحيح يا معلم حسب الحق تكلمت فإن الله واحد لا آخر سواه»، وتتأكد هذه الحقيقة عن ذات الله بما جاء في إنجيل متى الإصحاح 23 فقرة 8، يقول المسيح عليه السلام: «وأما أنتم فلا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماء»، وجاء في يوحنا في الإصحاح 20 فقرة 18 قال المسيح:«إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» وكلمة الأب «أبي وأبيكم» تعني في لغة الإنجيل الرب أي ربي وربكم.

فإلى محبي المسيح أقول: ألم تتضمن وصايا المسيح عليه السلام تعريفاً واضحاً لذات الله العلي الكبير المتفرد، يقول الله تعالى في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ (سورة الإخلاص)، كما جاء في القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

ثانياً: إن مهمة عيسى عليه السلام الثانية أن يهدي الأمة التي بعث إليها إلى عبادة الله، وهي أمة بني إسرائيل، أما غيرهم من الأمم فلا تعنيهم شريعة عيسى، وهذا ما تقرره الأناجيل المسيحية، فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح 15 فقرة 5 قول يسوع: «لم أُرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة»، وجاء في متى الإصحاح 10 فقرة 5: هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: «إلى طرق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بني إسرائيل الضالة» أعمال الرسل 11 الفقرة الأولى.

وإلى محبي المسيح أقول: يا من تبحث عن الحق ويا من آمن بالله الواحد

الأحد، إليك هدية من القلب: آمن بالله إلهاً واحداً وبأن المسيح رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وبأن محمداً عبد الله ورسوله وخاتم النبيين والمرسلين، واتبعه حق الاتباع، قل لا إله إلا الله يؤتك الله أجرك مرتين، قال تعالى في القرآن الكريم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤)﴾ (القصص: ٥٢ ـ ٥٤).

اللحظة الفاصلة:

• صف لنا اللحظة الفاصلة التي قررت فيها اعتناق الإسلام.. وماذا ترتب على ذلك؟

ـ حينما قررت اعتناق الإسلام، ذهبت إلى الكنيسة وتقدمت بطلب إجازة لكي أقضيها مع أسرتي، فطلب مني أن أنتظر حتى تعتمد لي الكنيسة من 50 إلى 100 ألف دولار لكي أنفقها على أولادي.

قلت لهم أنا لا أريد «قروشكم» وكانت عندي للكنيسة عمارتان و «قروش» تبلغ مليونين و400 ألف دولار أمريكي، و320 مليون جنيه سوداني، فقمت بتسليمها إلى راعي ميزانية التنصير، فكانت مفاجأة كبيرة للكنيسة.

وبعد ذلك قضيت يومين مع أسرتي نفكر في هذا الأمر ونناقشه، وقد كانت أسرتي المكونة من زوجتي وأربعة أبناء تدرك أنني أفكر في اعتناق الإسلام، وحينما أبلغتهم أن الوقت قد حان، كان ردهم أنت أعلم منا ونحن نثق بك وقرارك قرارنا، وبالفعل ذهبنا إلى أحد المساجد المجاورة «مسجد النور» وأشهرنا الإسلام، وصحيح أنني خسرت أموالاً كثيرة غير أنني كسبت الإيمان والراحة النفسية بعد 40 سنة قضيتها في الباطل، وعلى أثر ذلك اتهمتني الكنيسة بالجنون وأنني مريض نفسياً.

لست مجنوناً:

• قلت إن الكنيسة اتهمتك بالجنون... فهل أثبت لها أنك في كامل قواك العقلية وقد أسلمت بعد قناعة ودراسة أم ماذا حدث؟

ـ لقد شاء الله أن أدرس مقارنة الأديان وكان الهدف أن أتعرف على الأديان السماوية وغير السماوية من أجل ممارسة التنصير بعلم وخبرة ومنهجية، لكن الله أراد شيئاً آخر، فقد درست الأديان السماوية وهي معروفة، كما درست غير السماوية وهي البوذية والهندوسية وعبادة النار والشمس والشيطان والأصنام، وخلال مرحلة الدراسة كانت تتكشف أمامي الحقائق عن الإسلام أولاً بأول، وبدأ تكويني الديني يتشكل وأفكاري تتغير وتتداخل، وفي إحدى مراحل الدراسة أيقنت أن الإسلام هو الدين الصحيح، فكنت حينما أسمع الأذان أتوقف عن إلقاء المحاضرة احتراماً للنداء الإلهي، وحينئذ أصبحت شخصاً بوجهين، وجه يرى أن الإسلام الدين الحق وأن الله واحد لا شريك له، ووجه يغالط نفسه ويواصل انخراطه في أعمال الكنيسة والتمتع بأموالها الطائلة.

ولما بدا تعاطفي مع الإسلام اجتمعت مجالس القساوسة والرهبان الكاردينالات، وكان رأيهم أنني أميل للإسلام، وهنا مارس مجلس الكنائس ضغوطاً كثيرة عليَّ، ولما فشل قرر إيقافي عن العمل بالكنيسة، وصدر قرار من الكنائس بأن الجنون قد أصابني، فقلت لهم إنني لست مجنوناً فأنا أخاف الله الواحد ربي وربكم ورب محمد وعيسى، إنني أخاف من عذاب الله، إنني أخاف من الله، وعلمت بعد ذلك أن تقرير الأطباء أثبت أنني لست مجنوناً، ولكنني أتطلع إلى اعتناق الإسلام.

• السيد أشوك.. لماذا لم تغير اسمك إلى اسم مسلم كما جرت عادة كل من يعتنق الإسلام؟

ـ لم أغير اسمي لاعتبارين:

الأول: لأن الإسلام لا يرى في ذلك حرجاً، وهذا ما يهمني بالدرجة الأولى، فلا بأس أن يعتنق غير المسلم الإسلام ويبقى محافظاً على اسمه القديم، فالدين الإسلامي يركز على الإيمان.

الثاني: لقد أحببت الاحتفاظ باسمي لأهداف دعوية وهي أن أظل مقبولاً لدى غير المسلمين، ومن ثم أستطيع أن أبين لهم الحق، بعد أن شرح الله صدري بالإسلام وخرجت من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإسلام، ومن حال أهل النار إلى حال أهل القبلة.

الكاردينالية:

● وصلت في الكنيسة إلى درجة كاردينال كما احتل والدكم هذا المنصب.. ماذا يعني منصب كاردينال؟ وما وظيفته في الكنيسة؟

- لقد تقلدت مناصب كبيرة في الكنيسة، ومن بين ذلك كنت كاردينالاً كما كان والدي كذلك، وهذا المنصب في الكنيسة الكاثوليكية يوازي وظيفة المفتي في الإسلام، ويجب أن يعرف القس أنه ليس إلهاً لكي يغفر للناس ذنوبهم وآثامهم، فالعجيب أنه إذا أخطأ عبد ذهب إلى القس يوم الأحد قبل الصلاة، ويقول له لقد أخطأت في كذا وكذا، فيقول القس: اذهب قد غُفر لك، كيف يتجرأ هذا القس على حمل سلطة الله؟! ومن الذي أعطاه هذه الصلاحية وهو بشر!

وأنا أتحدى أياً من كبار القساوسة الشرقيين أو الغربيين أن يحاججني، بل أنا على استعداد لمناظرة أي درجة عالية في الكنيسة لإثبات صحة الإسلام وأحقيته بالاتباع، فأنا لم أسلم عاطفيّاً أو عبثاً، وإنما أسلمت بعد دراسة معمقة للأديان، وصلت في نهاية الدراسة إلى أن الإسلام هو الدين السماوي الذي ختم الله به الرسالات السماوية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن عيسى عليه السلام إنسان من البشر وهو نبي ورسول وليس أكثر

من ذلك، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ (المائدة: ٧٥)، وأنا لست أول من يسلم من القساوسة، فقد سبقني إلى الإسلام عدد كبير من القساوسة والمبشرين، وعلى رأسهم الأمين العام لمجلس مؤتمر المطارنة في الكنيسة الكاثوليكية، ورئيس القساوسة في الولاية الشرقية.

● أنت الآن داعية إسلامي ومن قبل كنت داعية نصرانياً... ما الفرق؟

ـ في السابق كان كل همي، تنصير المسلمين أو إبعادهم عن دينهم حتى لو فسدوا وارتكبوا كل الموبقات، فلم يكن مهمّاً أن يكون المسلم إنساناً صالحاً أو سويّاً في المجتمع حتى بعد تحوله عن الإسلام، والكنيسة لا تهتم بدعوة النصارى إلى الالتزام، فجل اهتمامها أن يحمل الإنسان كلمة مسيحي، وليس شرطاً أن يكون متديناً أو ملتزماً، أما الآن فالمرء في الإسلام محاسب على كل صغيرة وكبيرة، وكل من يعتنق الإسلام عليه أن يكون صاحب عقيدة سليمة وعبادة صحيحة.

● المسلمون ينتقدون أعمال التنصير فيما يمارسون الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين.. لماذا الازدواجية؟

ـ هناك فرق كبير بين الدعوة للإسلام والدعوة للنصرانية، فدعاة الإسلام يوضحون مبادئه وتعاليمه ويعكسون الصورة الصحيحة للإسلام، ولا يجبرون أحداً على الدخول فيه، لأن الإنسان إذا لم يعبد الله عن قناعة واعتقاد لا ريب فيهما فلا قيمة لإسلامه، أما دعاة التنصير فهم للأسف ينتهزون حاجة الفقراء والمعوزين ويقدمون لهم الغذاء والدواء أو فرص التعليم مقابل اعتناق النصرانية، فهؤلاء المنصرون لا يقنعون أحداً بعقيدة لأنه لا توجد تعاليم نصرانية مقنعة، وكل ما هنالك أن هؤلاء لديهم ميزانيات كبيرة، ومن الإنصاف أن نقول بأن المنظمات الإسلامية العاملة في الحقل الإنساني تقيم الكثير من المشاريع التي يستفيد منها

المسلم وغير المسلم، ولا تتوقف عند ديانة المستفيد، ولا تبتزه أو تساومه على أساس الغذاء مقابل اعتناق الإسلام.

المسلمون الجدد:

• ما دوركم الآن في مجال الدعوة الإسلامية؟

- نحن نرعى عشرات الآلاف من الذين اعتنقوا الإسلام من خلال نشاطاتنا في «منظمة التضامن الإسلامي للتنمية والإعمار» ومن بينهم مثقفون وضباط ومسؤولون في قطاعات مختلفة حيث نقيم لهم المدارس والخلاوي القرآنية، فهناك أكثر من 12 ألفاً من المسلمين الجدد من النساء والرجال ينتظمون في خلاوي تحفيظ القرآن الكريم، وتضم كل واحدة منها من 300، 400 رجل وامرأة يحفظون القرآن ويدرسون السيرة والحديث الشريف والفقه الإسلامي.

ونهتم بقيادات القبائل والسلاطين فهؤلاء يتمتعون باحترام أتباعهم وأنصارهم فإذا أسلموا، أسلم من خلفهم، وقد لاحظنا أن الكثير من النصارى في الجنوب ينحدرون من أسر مسلمة، وكان الإنجليز أثناء احتلالهم للسودان قد نصَّروهم، ومن ثم فنحن نعمل على إعادتهم إلى أصولهم الإسلامية.

27 ـ القس جنت كمديدو متى[1]

●● إسلام قسيس في جنوب تشاد في مدينة سار..

أسلم بتاريخ السادس من شعبان لعام 1424 للهجرة النبوية القس جنت كمديدو متى، وذلك في أحد المخيمات الدعوية التي تقيمها الندوة العالمية للشباب الإسلامي وذلك على يد الداعية الشيخ عبدالمجيد كاسمبيو جزاه الله خيرا وجعل ذلك في موازين حسناته، وقد تلقت الكنيسة التوحيدية في تشاد هذا الخبر بذهول كبير إذ أن هذا القس بالنسبة لها يعتبر من خير كوادرها وأكثرها نشاطا ولذلك أنفقت على تعليمه وتأهيله مبالغ طائلة وبعثته للدراسة في أمريكا واليابان، ومع سماع هؤلاء بخبر إسلامه اتصلوا به مباشرة وحاولوا إغراءه بشتى المغريات المادية كما هي عادتهم، فأكد لهم أنه دخل الإسلام عن قناعة شخصية وبعد نقاش عاصف مع أخينا الشيخ عبدالمجيد وأنه مهما عرضتم عليَّ من متاع الدنيا فهو شيء زائل ولذا فهذا قرار لن أتنازل عنه وحسبي الله ربي عليه توكلت وإليه المئاب، ومازالوا به يمنونه ويغرونه حتى أنهم اقترحوا عليه عدم تركه للإسلام ولكن يكفيهم منه أن يبقى موظفا لديهم لحاجتهم إلى إدارته وذكائه المفطور، ولقد هدى الله سبحانه وتعالى هذا الرجل فرفض هذا العرض المغري الذي سيبقي على أقل تقدير شيئا كثيرا من ميزاته التي كان سيحصل عليها سابقا قبل إسلامه.

فلما يئس هؤلاء من عودته بدأوا بترهيبه بشتى الطرق وحرضوا المسؤولين في المنطقة عليه وضيقوا عليه تضييقا عظيما حتى اضطروه للخروج من منطقته التي ينتمي إليها فهاجر هو وأبناؤه الأربعة وزوجته التي أسلمت معه إلى العاصمة

(1) القسم الإعلامي لمؤسسة مكة الخيرية.

أنجمينا وهو عازم على عدم العودة إلى منطقته حتى يتسلح بالعلم الشرعي وتعلم لغة القرآن الكريم الذي آمن به وصدق به وأنه كلام الله تعالى الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن بدورنا نحث إخواننا المقتدرين على دعم هذا الرجل بالأمور التالية

أولاً: توفير سكن له ولأبنائه ولزوجته وهذا يكلف إيجارا شهريا لا يتجاوز 150 ريالا سعوديا كحل مؤقت إلى أن يهيىء الله تعالى له وضعا أفضل.

ثانياً: كفالته كفالة شهرية لا تتجاوز الـ 100 دولار كدعم عاجل له في أزمته.

ثالثاً: تقديم منحة دراسية له حسب رغبته للتعلم (حيث إن الرجل محب للتعلم وللدعوة إلى الله تعالى كما لمسنا صدق ذلك منه).

رابعاً: إن من أقوى أسباب رفع معنوياته وشد أزره هو توفير فرصة له لحج بيت الله الحرام لهذا العام علما أن تكلفة الحج لا تتجاوز الـ 5000 خمسة آلاف ريال سعودي.

28ـ المبشر الإنجليزي جون سنت

المبشر الإنجليزي «جون سنت» الذي أسلم وأطلق على نفسه «محمد جون» هو رئيس جمعية المسلمين الإنجليز، وبدايته مع الإسلام كانت منذ كان صبيا في الخامسة عشرة، إذ بدأ اهتمامه بدراسة الأديان، فدرس المسيحية في جمعية الإخلاص الإنجليزية، ويقول عن هذه الجمعية التبشيرية: إنها لم تعطه الجواب الشافي على كثير من الأسئلة التي تدور في حياة الناس وصلاتهم، فبدأ يداخله الشك، واتجه ناحية أديان أخرى ومذاهب أخرى، فلم يجد فيها طريقه وخلاصه، حتى انتهى في دراسته إلى الإسلام، وكان في استراليا ضمن بعثة تبشيرية.

وبعد أن درس حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، دراسة عميقة وواسعة وشاملة لكل جوانب السيرة العظيمة، يقول:

وجدت البساطة بأوضح معالمها في كل خطوات حياتي، ووجدتني بعد الاطلاع المتواصل على تفاصيل الإسلام ومبادئه، في خدمة الفرد والمجتمع تساوي عدالته في إقامة المجتمع على أسس من المساواة والتوحيد، وجدتني أندفع إلى الإسلام بكل عقلي وروحي، وعاهدت الله منذ هذا اليوم أن أكون داعية للإسلام مبشرا بهديه في كل البقاع.

ويقول محمد جون: عندما رجعت إلى إنجلترا، قمت بتأليف جمعية المسلمين الإنجليز، وقد دخل كثير من الإنجليز الدين الإسلامي بعد أن عرفوا عنه الكثير.

29ـ المبشر اللورد برنتون

صب جل اهتمامه على التنصير وانتهى به المطاف إلى نور الإسلام

ولد ونشأ بين أبوين مسيحيين... وولع بدراسة اللاهوت وهو في سن مبكرة، وارتبط بالكنيسة الإنجليزية وأعطى أعمال التبشير كل اهتمامه.

وحدث ذات يوم أن زاره صديق هندي مسلم تحدث معه في موضوع العقائد المسيحية ومقارنتها بالعقيدة الإسلامية، وانتهت الزيارة، إلا أنها لم تنته في نفسه، فقد أثارت انفعالاً شديداً في ضميره وعقله، وصار يتدبر كل ما قيل فيها من جدال، مما دفعه إلى إعادة النظر في العقائد المسيحية... ويعبر عن ذلك فيقول: «عندئذ قررت أن أبحث بنفسي، متجاهلاً عقائد الناس، بعد أن أيقنت بضرورة البحث عن الحقيقة مهما طال المدى في هذا السبيل، ومهما كان الجهد، حتى أصل لمزيد من المعرفة بعد أن قيل إن الإنجيل وتعاليم المسيح قد أصابها التحريف.. فعدت ثانياً إلى الإنجيل أوليه دراسة دقيقة، فشعرت أن هناك نقصاً لم استطع تحديده.. عندئذ ملك عليّ نفسي رغبة أن أفرغ كل وقتي لدراسة الإسلام... وبالفعل كرست كل وقتي وجهدي له، ومن ذلك دراسة سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولم أكن أعلم إلا القليل النادر عنه، برغم أن المسيحيين أجمعوا على إنكار هذا النبي العظيم الذي ظهر في الجزيرة العربية... ولم يمض بي وقت طويل حتى أدركت أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى جدية وصدق دعوته إلى الحق وإلى الله».

ثم أخذ يكرر هذا المعنى وهو يقول: «نعم شعرت أنه لا خطيئة أكبر من إنكار هذا «الرجل الرباني» بعد أن درست ما قدمه للإنسانية، وجعل من المسلمين أقوى مجتمع رفيع يعاف الدنايا... إني غير مستطيع أن أحصي ما قدمه هذا الرسول من جليل الأعمال...».

بعدها تساءل في ألم ووجوم قائلاً: «أمام كل هذا الفضل وهذا الصفاء.. أليس من المحزن الأليم حقّاً أن يقدح في شأنه المسيحيون وغيرهم؟!».

30 ـ منَصّر بلغاري كبير يعتنق الإسلام ويدعو إليه

كان كاثوليكيّاً متعصباً.. حصل على دراسات متقدمة في الفاتيكان، وأُرسل إلى أنحاء مختلفة من إفريقيا وآسيا ليقوم بعمليات التنصير بين المسلمين، وذلك بعد أن صار أحد كبار المنصرين في بلغاريا.

ويشاء القدر أن يميل إلى الإسلام فيعتنقه، ولكن كيف حدث ذلك؟

يحكي المنصر السابق «عيسى» عن ظروف تحوله إلى الإسلام فيقول:

«إن بداية شغفي بالتعرف على الإسلام جاءت في أثناء دراساتي في الكنيسة الكاثوليكية، حيث اطلعت في مكتبة الكنيسة على مجموعة كبيرة من الكتب لم أجد فيها شيئاً إيجابيّاً واحداً عن الإسلام، مما دفعني ذلك إلى عمل دراسات مقارنة بين الأديان الثلاثة، خاصة أنني لديَّ إلمام كبير بالتوراة والإنجيل، وعلى دراسة تامة بالمثالب الكثيرة التي تكشف مقدار التزوير الذي دخل عليهما، ومن ثم أخذت أربط بين ما في القرآن الكريم وما في كتب النصارى الموضوعة، ولم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً حتى اهتديت للإسلام».

ثم يمضي قائلاً:

«لقد حدث أن قابلت مجموعة من المسلمين، وساعدوني على التعرف أكثر عن الإسلام وتعاليمه ومنهاجه، حتى اقتنعتُ تماماً بالإسلام الذي اعتنقته في بداية الأمر سرّاً، ونجحت في إقناع عشرة طلاب من جامعة «صوفيا» من بينهم فتاتان للدخول في الإسلام».

ويضيف فيقول:

«إنني أقابل المسلمين في مكان سريّ لأطلعهم على خطط المنصّرين وأماكن تحركهم لأساعدهم على إفشالها، وإنني أمتنع عن الذهاب إلى المسجد خوفاً من

كشف أمري والانتقام مني، ولكنني في الوقت ذاته أقوم بالدعوة إلى الإسلام بين أصدقائي الذين أثق فيهم، وخصوصاً أن فرصة اعتناق عدد كبير من «البلغار» الإسلام كبيرة، خاصة أنهم في الأصل مسلمون قد أجبروا على الارتداد».

هذا، ويناشد المنصر الكبير السابق «عيسى» دعاة العالم الإسلامي بالتركيز على «بلغاريا» وحل المشاكل المادية التي تقف عقبة في سبيل الدعوة الإسلامية».

31 ـ القس النيجيري فروس

سبحان الله! كلمتان لا يستطيع الإنسان إلا أن يذكرهما، وهو يسمع تلك القصة التي أوردتها جريدة عكاظ التي جاءت كالتالي:

نشرت جريدة «ترتيم» النيجيرية الواسعة الانتشار يوم الأربعاء خبرا لايزال حديث الناس في نيجيريا بأسرها فقد زلزل معقلا من معاقل المسيحية في ولاية كنجولا النيجيرية، الخبر يقول بأنه وقف القس ولبرووس راعي كنيسة المدينة وبيده مصحف كان قد جذبه من بين يدي أحد الحاضرين ثم ألقى به على الأرض وسكب عليه مقداراً من البنزين، وهم بإشعال عود الثقاب على المصحف، وأصيبت يده بحروق شديدة، ولم تمس النار المصحف الشريف، وكان الحاضرون يتابعون هذا المشهد، وهم في ذهول حيث جرى ذلك أثناء قداس في الكنيسة، وعقب هذا الحادث مباشرة أعلن القس فروس دخوله في الإسلام، وتبعه رئيس الكنيسة يعقوب موسى، وتوالى دخول المبشرين المسيحيين في الإسلام حتى بلغ عددهم 200 مبشر، وقدم يعقوب موسى بعد سنة استقالته من منصبه كسكرتير عام للجمعية النيجيرية للتنصير في كنجولا، وفي حديث لرئيس تحرير الجريدة الحاج إبراهيم سليمان نشر في اليوم التالي صرح يعقوب موسى بأنه يعكف في الوقت الراهن على نشر الدعوة الإسلامية في أواسط المسيحيين في نيجيريا والقصة تدعو إلى العبرة والاعتبار.

وسبحان الله العظيم.

32ـ عماد.. الشاب المصري النصراني سابقاً[1]

قصة الفتى النصراني عماد الذي هداه الله إلى الإسلام من أعجب القصص وأغرب الحكايات.. تنطق بالنعمة التي تطوق رقبة كل مسلم.. في الزمن الذي تخلى فيه كثير من المسلمين عن تقدير تلك النعمة.. وعن توقير حق هذه المكرمة.. عسى الله أن يجعل في هذا يقظة لقلوب غافلة.. إنها نعمة الإيمان..

يقول عماد:

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

بتوفيق من الله وبمشيئته سأتحدث عن أسرتي قبل الإسلام وبعد الإسلام وأحب التأكيد على القيمة الكبرى لنعمة الإسلام، فالمسلم الذي يعيش في ظل عقيدة التوحيد يتمتع بنعمة عظيمة مَنَّ الله بها عليه ألا وهي نعمة الإسلام. كان لزاماً عليّ أن أبدأ حديثي بهذا التأكيد قبل أن أقص قصتي.

أسرتي قبل الإسلام:

كانت أسرتي تتكون مني وأختي وأمي وأبي.. أربعة أفراد فقط وكانت أسرة نصرانية متدينة تواظب على دروس الكنيسة وتؤدي العبادات النصرانية بانتظام، وكنت أختلف إلى دروس الكنيسة مع أسرتي وكنت أواظب على أداء الصلوات. وكان والدي يعمل في تجارة الحبوب، وكنت منذ صباي ألازمه في متجر الحبوب الذي كان ملكاً للعائلة الكبيرة التي تتكون من الجد والجدة والأعمام

(1) نقلاً عن كتاب: قصة الفتى النصراني الذي اهتدى.. (بتصرف يسير).

والعمات، وكانت لي مكانة مميزة لدى الجد والجدة برغم وجود أبناء العائلة وأولاد الأعمام، وكنت الأثير لديهم، وكنت سعيداً بهذه المكانة التي ميزتني عن أفراد العائلة وأبناء العم حتى أن الجد كان يفاخر دائماً أبناء العم بذكائي ومهارتي في التجارة برغم حداثة سني حينذاك مما كان يغيظ أبناء أعمامي جداً، وحتى عمي الذي لم يرزق أولاداً كان يبدي إعجابه بي ويقول: (إنني أعتبرك مثل ابني، وإننا على يقين بأن والدك لايعرف قيمتك مثلي)، والحمد لله رب العالمين كنت ماهراً في التجارة ماهراً في التعامل مع الناس حتي اشتهرت بالدقة في الميزان وحسن التعامل مع المشترين الأمر الذي حببهم في متجرنا وكان أسلوبي اللطيف الطيب في المعاملة مما فطرت به ونشأت عليه، والحمد لله كنت بأسلوبي ذلك متمشياً مع أدب الإسلام الذي جعل الدين المعاملة والكلمة الطيبة صدقة والابتسامة في وجوه الناس صدقة وكنت سعيداً بهذا التقدير أيما سعادة.

وقد شعر الفتى بتوجه أمه نحو الإسلام وميلها إليه، ونفورها من النصرانية وكان ذلك في شهر رمضان منذ نحو أحد عشر عاماً، فقد وافق صيام شهر رمضان الصيام عند النصارى حيث يفطر المسلمون عند أذان المغرب ويفطر النصارى بالليل عند ظهور نجم معين في السماء، ولاحظ الفتى أن أمه تفطر عند سماع أذان صلاة المغرب فيدهش لذلك من أمه، ويتساءل في نفسه كيف تفطر أمه مع المسلمين، ويستمهلها حتي يظهر النجم ـ كما هو الحال في صيام النصارى ـ فتجيبه بأنها ترى النجم في السماء وقد ظهر! ويرد الصبي ـ في براءة ـ أين هو؟ إنني لا أراه! فتجيبه بأنها تراه. وتقول له: ولكنك لا تراه. وتشير إلى السماء! وأدرك فتانا بعد ذلك أن أمه كانت بسلوكها تتجه نحو الإسلام، وأنها كانت تصوم صوم المسلمين.

موقف آخر يقصه الفتى عن تعلق أمه بدرس التفسير الأسبوعي للشيخ

محمد متولي الشعرواي ـ رحمه الله ـ فيقول: (لاحظت أن لحديث الشيخ الشعراوي الأسبوعي أثراً أشبه بالرعد في آذان المتعصبين من النصارى وساعة الحديث الأسبوعي ساعة نحس عندهم وتمثل عبئاً نفسيًا ومعاناة لهم، بيد أن الأمر كان مختلفاً مع أمي كل الاختلاف حيث كنت أراها تفتح التلفاز وتشاهد درس الشيخ الشعراوي الأسبوعي يوم الجمعة فأسألها دهشاً: ماذا تصنعين؟! فتجيب قائلة: أتابع هذا الشيخ لأنظر ماذا يقول؟ وأسمعه ربما يخرف! ولم أكن أدري أن ردها عليّ وقتها كان من باب التمويه حتى لا أخبر أبي!

وهناك برنامج آخر كانت تتابعه أمي وهو برنامج (ندوة للرأي) أراها تشاهده فلما كنت أنكر عليها ذلك مستفسراً ترد قائلة: أشاهد وأسمع لأرى مايقوله هؤلاء العلماء عن النصرانية والنصارى! فأسمع جوابها دون تعليق.. وأواصل مراقبتها، وكانت أمي سمحة المعاملة لطيفة المعشر، وكادت في معاملتها تبدو أقرب للإسلام والمسلمين، حتى إن أحد القساوسة سبّها ذات مرة لأنها حلفت أمامه قائلة: والنبي ـ على طريقة العامة من المسلمين في مصر وكما هو معلوم بأن ذلك لايجوز شرعاً ـ فسبّها القس ونهرها قائلاً لها: أي نبي ذلك الذي تقصدين؟! وعنفها حتى سالت الدموع من عينيها.

يقول الفتى: ولما فكرت أمي في الإسلام، استدعتني ذات مرة وقالت لي: تعال ياعماد أنت ابني الوحيد ولن أجد أحداً يسترني غيرك! فقلت لها خيراً يأمي، فقالت: أنت ابني الكبير وأنا مهما كانت الأمور وفي كل الأحوال أمك.. ومن المستحيل أن تتخلى عني أو ترميني في التهلكة، فقلت لها: نعم ياأمي. فقالت: ماذا تفعل لو أن أهلك قالوا عني كلاماً سيئاً ورموني بتهم باطلة؟! فقلت لها: ولم يفعلون ذلك وهم جميعاً يحبونك؟ قالت: ماذا تفعل لو حاولوا قتلي والتخلص مني؟ فقلت لها: كيف ذلك؟ ولم يحاولون قتلك وهم يحبونك؟! قالت: ماذا تفعل لو صرت مسلمة؟ هل ستحاربني مثلما الحال مع أبيك وأعمامك وأخوالك وأقاربك؟! فكانت إجابتي لها: الأم هي الأم وأنت أمي في كل الأحوال.

ولكن الفتى دهش لحديث أمه إليه، وأوجس في نفسه خيفة، وقوّى ذلك الإحساس لديه كثرة مشاجرة أبيه مع أمه في شأن رغبتها في اعتناق الإسلام وكانت تصارح أباه في هذا، وكان أبوه يغضب من تهديدها بترك النصرانية ويتحداها أن تعتنق الإسلام.

وذات يوم عاد الفتى إلى المنزل قادماً من مدرسته فلم يجد أمه التي كانت تنتظر مجيئه كل يوم، فأسرع إلى أبيه في متجره يسأله فزعاً عن أمه فيجيبه الوالد بأنها في البيت، ويتساءل الأب - في هدوء -: أين تراها قد ذهبت؟! لعلها ذهبت إلى إحدى صديقاتها! فيقول الفتى: إن خزانة ملابسها خالية تماماً! فصمت الوالد قليلاً وتعجب للأمر وأقسم أنه لم يغضبها، ولم يقع بينهما مايوجب الخلاف أو الغضب، فجعل يسأل عنها في كل مكان يمكن أن تذهب إليه..

وكانت الصدمة.. أنها أسلمت! أسلمت وأعلنت إسلامها أمام الجهات المسؤولة ولن تعود إلى البيت أبداً.. فجن جنون العائلة كلها وفقدت توازنها وصارت تقول في الإسلام والمسلمين كل مايمكن أن يقال من ألفاظ السباب واللعن والتهديد والوعيد وصار الجميع من أخوال وأعمام فضلاً عن الأب في حالة عصبية انفعالية في الكلام والسلوك إنهم غاضبون من كل شيء ومن أي شيء... إنها الكارثة قد نزلت بهم، وإنه الشؤم قد حل بساحتهم.. ويقول الفتى: وكنت أستمع إلى الشتائم توجه إلى أمي من الأقارب والأخوال والأعمام، فمن قائل: إنها كانت تشبه المسلمين في كذا وكذا، وهذا الخال يوجه كلامه إليّ قائلاً: «انظر كيف تركتكم، وتخلت عنك وعن أختك؟! انظروا من سوف يرعاكم ويقوم على تربيتكم؟!» أما العم فقد كان يقول كلاماً مشابهاً ويقول موجهاً كلامه لي ولأختي: «ترى لو ذهبت أنت وأختك إليها وتوسلتما إليها وبكيتما بين يديها.. هل ترجع إليكم؟!».

ويواصل العم حديثه إليّ قائلاً: «اذهب ياعماد.. اذهب إليها وابك بين يديها لعلها ترجع إليكم!»، وكنت أسمع ذلك وأشاهد ماحولي ولا أجد جواباً، فقد كنت أنا أيضاً ضائقاً مما حدث وغير راضٍ وكان العم يذهب إليها في الجهات المختصة ليوقع الإقرار تلو الإقرار بعدم التعرض لها.. وأحياناً كان يلقاها ويستعطفها كي تعود إلى ولديها لشدة حاجتهما إليها، ولكن أمي رفضت بشدة بعدما ذاقت حلاوة الإسلام والإيمان وأسلمت لله رب العالمين وتركتنا وديعة عند من لا تضيع عنده الودائع سبحانه هو خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين، وأيقنت أن الله سوف يحرسنا بعينه ويرعانا برعايته.

ولم يزل الفتى يتردد على الكنيسة ودروسها ولاسيما درس الثلاثاء ـ وهو درس أسبوعي يهتم بالشباب والمراهقين بخاصة، وبجمهور رواد الكنيسة بعامة ـ وكان درساً مشهوداً، يعرض فيه القس لكل مايهم المجتمع والدين والسياسة ويقول مايشاء دون خوف من حسيب أو رقيب، وخلال درس الثلاثاء ذات مرة تعرّض القس لأم الفتى! ويقول الفتى: (وكنت موجوداً ومعروفاً لجمهور الحاضرين، فقد كنت من عائلة معروفة بارتباطها القوي بالكنيسة)، وخلال المحاضرة نظر القس إلى الفتى وابتسم ابتسامة خبيثة وصرح معرضاً بأمه موجهاً كلامه لجمهور الحاضرين قائلاً: «تذكرون فلانة الفلانية ـ وذكر اسمها) ـ ودون أن يذكر كنيتها (أم عماد) ـ التي أسلمت أراد المسيح أن يفضحها بعد أن خانت الكنيسة وهي الآن ملقاة في السجن في قضية من قضايا الآداب!». وأسقط في يد الفتى وأصبح في حيرة شديدة.. هل هذا معقول؟! ـ ويقول في نفسه: أبعد أن تسلم وجهها إلى الله وتجازف بترك دينها ولا تخشى العواقب ـ مهما كانت ـ تدخل السجن؟! واتجهت الأنظار إلى شخصي وصوبت سهامها نحوي وكأنني ارتكبت جرماً عظيماً وخرجت من درس اليوم كاسف البال ولم أعقّب!!

وبينما كنت في تلك الحال الكئيبة وأنا أسير في الطريق إذا صوت ينادي: (ياعماد ياعماد). إنه صوت أمي تسير قرب منزلنا لترانا على حذر وقد أرسلتْ من يستدعينا في غفلة من الأهل واقتربت فإذا أمي.. وتنتابني جملة من المشاعر المتضاربة في مزيد من الرغبة في الانتقام ممن ساعدوها على التعرف على الإسلام واعتناقه وبخاصة زميلاتها اللاتي يعملن معها في حقل التمريض وشعور بالشوق والحنين إليها والتقدير لها.. إنها أمي.. مهما كانت وحبها كامن في قلبي فأقبلت إليها وسلمت عليها وكانت مع أناس مسلمين لا أعرفهم.

وكانت أمي ترتدي الحجاب ورأيتني أنظر إليها في دهشة وأسألها ـ في براءة ـ ألست مسجونة؟!

فأجابت في دهشة: ماذا تقول ياحبيبي؟! ومامعني: مسجونة؟ هاك العنوان وأرجو أن تزورني.

وأعطتني العنوان وانصرفت.

وبرغم حبي لأمي إلا أنني لم أكن مستريحاً لتلك المقابلة وكان قلبي قلقاً ولم يكن اللقاء مفعماً بالحب وبالعواطف الجياشة نحوها.

وأخذت العنوان وقفلت راجعاً إلى منزلنا أفكر في الأمر وبعد يومين أو ثلاثة عزمتُ على زيارة أمي على عنوانها الجديد في موعد يسبق يوم الثلاثاء اللاحق لموقف القس السابق في درس الكنيسة، وبلغت مسكن الوالدة، وشاء الله أن يكون ذلك مع أذان المغرب... ياسبحان الله.. وأستمع إلى أذان المغرب وكأني أسمعه لأول مرة برغم سماعي له آلاف المرات ولكن الأذان هذه المرة وقعه مغاير تماماً لما ألفته من قبل.

وتستقبلني أمي أثناء الآذان مرحبةً بي، وأراها وأسمعها تردد الأذان وهي لا تكاد تنتبه لحديثي إليها وبعد الأذان ذهبت فتطهرت وتوضأت ثم دخلت في

صلاتها وجعلت تتلو القرآن في الصلاة بصوت مسموع فكنت لأول مرة أسمع القرآن من أمي، إنها تتلو سورة الإخلاص، وكان لذلك وقع لا يوصف في قلبي وأثر ساحر في نفسي إن مشاعري في تلك اللحظة لا أقوى على وصفها، فلقد شملني نورٌ ربانيٌّ وتملكني شعور غريب تمنيت معه في تلك اللحظة لو جثوت على ركبتي وقبّلت قدم أمي وهي تصلي، شعرت بشيء ما يغسل قلبي، وداخلني صفاءٌ ونقاءٌ لم أشعر بهما من قبل، أجل إن شعوري في ذلك اليوم لايمكن وصفه أو التعبير عنه.. إنه روح جديدة تسري في جسدي وعروقي، أحسست بمدى الظلم الذي وقع على أمي من ذلك القس في درس الثلاثاء الماضي، تمنيت لو خنقته لافترائه على أمي دون وجه حق، لماذا يشوه سيرتها؟! أهذا عدل؟ وهل المسيح أمر بذلك؟!

ولكن الأمر كان عند القوم مختلفاً، إن لديهم قاعدة تقول: (ابحث عن الخروف الضال قبل أن تبحث عن أحد الغرباء ليدخل الكنيسة) والمعنى أنه يجب أن تبحث عن النصراني الذي ابتعد عن عبادة المسيح قبل أن تبحث عن أحد تغريه بعبادة المسيح، ويواصل الفتى تساؤله: لماذا يفتري ذلك القس على أمي؟ ويشنع عليها؟ ودخلت في صراع مع نفسي، وبعد الصلاة جاءت أمي بالطعام وعرضت عليّ أن أتناول الطعام معها، وقالت: هيا لتأكل معي أم أنك تخشى أن تأكل معي؟! وأنظر بعينين تفيضان بالشوق إليها والإكبار لها، وأطالع في وجهها نوراً ونضارة لم أعهدهما من قبل، إنها أم جديدة غير التي ألفتها من قبل، إنها مختلفة تماماً.. ماهذه الوضاءة التي تنور وجهها؟! ما الذي حدث؟!

وتمضي تساؤلات الفتى تموج في أعماقه فيما كان يطالع وجه أمه فيقول: ماذا حدث لأمي.. لقد عشت معها عمري.. ما الذي جد عليها؟! ماهذا النور الذي يفيض به وجهها؟! يقول الفتى: وبرغم مشاعري المتناقضة وقتذاك من مشاعر حب الأم وكراهيتها لأنها خانت المسيح بتركها المسيحية (حسب رأيهم)...

إلا أني أرى أمي مختلفةً تماماً، أرى في وجهها نوراً وبياضاً وجمالاً لم أعهده في وجهها من قبل.. هل هي نضارة الإسلام؟ أم هو نور الإسلام؟... وتناولت معها الطعام وكنا وحدنا لم يشهد هذا اللقاء أحد من أهلي.. ثم ودعت أمي متوجهاً إلى البيت أعود لأستلقي على سريري وأسترجع أحداث زيارتي لأمي كأنها حلم جميل.. لا أكاد أصدق أن هذا حدث.. ويقترب موعد درس الثلاثاء التالي وأذهب إلى الكنيسة للاستماع إلى محاضرة القس الأسبوعية في يوم الثلاثاء التالي للثلاثاء الذي تعرض فيه لأمي بالتشهير والشتم.

وأعود إلى الكنيسة للاستماع إلى المحاضرة الأسبوعية، وفي هذه المرة وخلال المحاضرة تجاوز القس كل الحدود في الإساءة لأمي والتعريض بها وسبها وإهانتها بأقذر الأساليب وبأشنع الافتراءات للدرجة التي زعم فيها أنه تحدث معها في السجن وقد زارها فيه، فأعجبُ لمستوى الكذب والزور والبهتان الذي بلغه القس، وأدهش لمستوى التدني الذي انحدر إليه، وبرغم مايتمتع به ذلك القس وأمثاله من مكانة روحية كبيرة في نفوس أتباع الكنيسة إلا أني وجدت نفسي لا أحتمل السكوت عليه وعلى وقاحته فاندفعت أصيح في وجهه قائلاً: كفى إلى هذا الحد من فضلك.. وهذا أمر جلل أن يوقف فتى في سن المراهقة مثلي القس المحاضر في الجمهور وهو الأب الروحي للكنيسة وروادها، ويقاطعه فتى بهذه الجرأة وبهذا الأسلوب الغاضب المهين، ويواصل الفتى كلامه الغاضب للقس قائلاً: انتظر من فضلك.. كفى إلى هذا الحد، توقف! أنت كذاب.

وهنا يتدخل جمهور الكنيسة في محاولة للحد من ثورة الفتى وإسكات غضبه يذكرونه بمكانة الرجل ويناشدونه الهدوء والسكوت، ولكن دون جدوى؛ لأن الفتى لم تهدأ ثورته ولم يملك غضبه وواصل إنكاره على القس الذي التفت إليه في محاولة لتهدئته قائلاً: مالك ياعماد؟!.. اسكت يابني.. ماذا بك؟.. ماذا في الأمر؟.. ويجيبه الفتى: لا. أنت كذاب، ويتوجه إلى جمهور الحاضرين قائلاً:

ياجماعة، أنا كنت عند أمي (وأقسمت لهم بقسم المسيح عندهم) أني كنت عندها وعندما سمعت أمي الأذان قامت فتطهرت وتوضأت وصلت، منتهى النقاء، والله رأيت في وجهها نضارة.

ويصف الفتى وقع كلماته على الحاضرين - فيقول: (لاحظت وجوههم اسودت وكشروا عن أنيابهم عندما سمعوني أتحدث عن أمي بهذه الطريقة وواصلت الحديث قائلاً لهم: والله إن القس لكذاب وأمي ليست في السجن كما يزعم القس، وهاكم العنوان لمن يرغب بزيارتها.. أمي بفضل الله رب العالمين حين سمعتها تقرأ القرآن أمامي كانت تغسلني وتطهرني، فقاطعني القس قائلاً: (اسكت ياولد وإلا سأطردك خارج الكنيسة)، ولكن الفتى لايسكت، ويواصل هجومه على القس المفتري قائلاً له: دعني أسألك أيها القس، هل تتطهر قبل الصلاة كما يتطهر المسلمون؟! حينئذ جن جنون الحاضرين وتتابعت تهديداتهم وكادوا يفتكون بي فمن قائل: اسكت لقد جاوزت كل حدود الأدب، ومن قائل: أنت تهذي وتخرف. أما القس فقد تغير لونه وارتعشت يداه وظهر على وجهه الاضطراب والهزيمة والفضيحة، بينما يصيح ثالث: هل أجرت لك أمك غسيلاً للمخ؟ وكانت ردودي كأنها الطلقات النارية في وجه القس والمتعاطفين معه، وانفض الموقف.

وخرجت من الكنيسة باكياً أكفكف دمعي المنهمر من عيني المحمرتين لطول البكاء والغضب، ولم أجد مايخفف من وقع محنتي إلا التوجه إلى بيت أحد أصدقائي الأعزاء الذين قويت صداقتي معهم مع مر الأيام فلم أجده في البيت ورأفتْ أمه لحالي التي كنت عليها فرقتْ لحالي، وحزنتْ من أجلي وقالت: منها لله أمك.... هي السبب.. فيما أنت عليه من حزن وأسى.. فلينتقم الله منها!

ولم أكد أسمع كلام هذه المرأة حتى رغبت في الهجوم عليها وخنقها هي وكذلك القس الكذاب ورميتها بعيني كأنهما جذوتان تبعثان بالشرر الحارق

وانصرفتُ قافلاً إلى بيتنا حزيناً كئيباً تتنابني مشاعر شتى أريد أن أذهب إلى أمي وأعتذر لها عما أصابها من افتراء هذا القس الكذاب وأريد أن أعود إلى القس لأشفي غليلي منه أريد أن أهينه.. أشعر بالضيق.. إن روحي تكاد تزهق.. ولكن غالبتُ نفسي وقلت: لعل هذا الغضب في مواجهة القس وذلك التجرؤ عليه وسوسة من الشيطان فلأرجع إلى الإنجيل لعلي أجد فيه السكينة والهداية والهدوء.

ويعاود الفتى قراءة الإنجيل ـ ويوقن بفطرته كما يقول ـ أنه محرّف وأن القرآن الكريم هو كتاب الله حقّاً، هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالإنجيل عندما طالعته وجدته كتاباً كأي كتاب يؤلف في سيرة شخص أو عظيم حيث تطالعك أخبار عن المسيح الذي يأكل والمسيح الذي يشرب والمسيح الذي يموت والمسيح الذي يقوم.. من الذي يتحدث بهذه الأخبار؟ هل هو الله؟ أم هو المسيح؟!

إن الإنجيل كتاب كأي كتاب يحكي قصة شخص أكل وشرب ونام، وفعل كذا من المعجزات أو له كذا من المعجزات والخوارق، من المتحدث في كل هذا؟ أو من الذي كتب هذه الأخبار بعد وفاة المسيح؟ ولماذا تتعدد الروايات وتختلف وتتناقض أحياناً بتعدد الأناجيل واختلافها، حتى والمسيح على الصليب ـ كما يزعمون ـ ينادي: (إيلي إيلي لماذا؟ شبقتني!).

أي: إلهي إلهي لماذا تركتني وخذلتني؟! لماذا؟ ينادي مَنْ؟ وهو مَنْ؟ وكيف يتخلى الأب عن ابنه وهو يستصرخه ويستنصره ويستنجد به؟! أهذا منطق؟! أسئلة كثيرة رَسمتْ أمامي علامات استفهام كبيرة، وفي هذا أنشأتُ في خطابي للنصارى والنصارى أقول: (ياعُبَّاد المسيح... لي عندكم سؤال... لايجب عنه إلا من وعاه... كيف مات الإله بصنع قوم؟.. فهل هذا إله؟.. وعجباً لقبر يحوي هذا الإله.. والأعجب منه بطن حواه.. ثم يخرج من بين الفرج فاتحاً للثرى فاه.. فهل هذا إله؟!) ـ وهذه القصيدة مقتبسة من أخرى لابن القيم رحمه الله تعالي ـ.

وقد أصاب الفتى الملل من قراءة الإنجيل ـ كما يحكي ـ لأن قراءته في الإنجيل ضاعفت من حيرته ولم تجب عن أسئلته، ويمضى الفتى قائلاً: ولكن حرصى على الوصول للحقيقة دفعني لمزيد من المراجعة ومعاودة قراءة الإنجيل مرة أخرى حتى انتهيتُ من قراءته لأصل إلى الاطمئنان النفسي والعقلي والروحي فما وجدت إلا المزيد من الإبهام والغموض، فاشتدت حيرتي حتى طالعت في الإنجيل قول السيد المسيح:

(الحق الحق أقول لكم: إن من يتبع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية).

الله أكبر. الله أكبر.. إذاً جاءت صريحة وعلى لسان المسيح عبارته تلك التي تؤكد أنه رسول من عند الله، فقوله: (الحق. الحق) قسم وقوله: (إن من يتبع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني) تأكيد على أنه رسول من عند الله، وقوله: (فله حياة أبدية) أي له الجنة والحياة الخالدة في الجنة.

وتكثر تساؤلات الفتى، فيذهب إلى القس في الكنيسة، ويعرض عليه تساؤلاته واستنتاجاته، ويحار القس ولا يرد عليه جواباً، فينصرف الفتى عنه وبعد عدة أيام يرسل إلى الفتى هدية غالية القيمة (من حيث قيمتها المادية) وكانت صليباً من الذهب الخالص يثبت في سلسلة تعلق في العنق.. يقول الفتى: ولاحظت أنه قد غيّر من معاملته معي فصار يعاملني برقة ولطف ويشملني بنظرات عطفه وإشفاقه وقربني إليه، وذات مرة فاجأني بقوله ـ في لغة حانية ـ: (أنا آسف إذ ذكرت أمك بما ذكرتها على تلك الصورة التي ضايقتك، فأنت ابن المسيح، ونحن نحبك، والمسيح يحبك....) ولم أكن أدري أنه يدبر لي بليل ويحفر لي حفرة عميقة، وقال لي في لهجة ودودة: أتمنى لو أرسلت والدك وأرجو أن يأتي في صحبته عمك. ويواصل الفتى قائلاً: وكانت لأبي وعمي مكانة عالية عند القس في الكنيسة حيث كان يستعين بهما في حل مشاكل عائلتنا. ومضى

القس يقول للفتى: «أريد أن تبلغ أباك وعمك أني أريدك في أمر سيسعدك كثيراً وسيريحك للغاية، ولا تنس أباك الروحي فلاناً الذي يحبك كثيراً وأنا أحبك وأعتز بك كثيراً وأرجو أن تقبل أسفي لأني ذكرت أمك بالسوء وسببت لك كل هذا الإزعاج وكل تلك المضايقة.. ويصدق الفتى ـ بطيبة وبراءة ـ مقولة القس ولم يكن يدري ـ كما يحكي ـ بأنه كان يدبر له مكيدة وأنه يريد والده وعمه من أجل هذا!!

ويعود الفتى إلى والده ويخبره أن الأب فلاناً (القس) يريده ومعه عمه بعد قدّاس يوم الجمعة القادم، فأجابه الوالد موافقاً، وفي اليوم المذكور اصطحب الرجلان الوالد والعم الفتى قاصدين الكنيسة والتقيا بالقس في الموعد المحدد، وهناك استقبلهما القس. يقول الفتى: (ولما هممت بالدخول في صحبتهما، استوقفني القس وسألني أن أنتظر خارج الغرفة، لأن الحديث مع الوالد والعم في شأن خاص بك وسيسعدك كثيراً ويحمل لك مفاجأة سارة).

هكذا خاطب القس الفتى كما حكى ـ ومكثوا في اجتماعهم قرابة الساعة بعدها خرج الوالد والعم ناكسي الرؤوس ـ وسألتهما: ماذا حدث؟ فيجيب الوالد: لاشيء.. كل ماهناك أن الأنبا (فلان) أرسل في طلبك لتمكث معه وفي صحبتك أختك يومين أو ثلاثة، فقلت: خيراً ولم أعقب، واستبشرت بتلك الزيارة؛ لما لذلك الأنبا من مكانة عالية في النفوس (عند النصارى) ولما له من كرامات ـ كما يزعمون في النصرانية ـ الأمر الذي يتمناه كل نصراني. وأخبرني الوالد أن الأنبا يريد أن يقدم لك هدية قيمة ويريد أن يسلمها لك بنفسه، وأن تمكث معه وأختك يومين أو ثلاثة داخل الدير في مكان سيعجبك جدّاً وستستريح فيه كثيراً، فأجبته من فوري بالموافقة السعيدة وسألني أن أتأهب للسفر يوم الاثنين التالي للقاء، فصرت متلهفاً للسفر تواقاً لذاك اللقاء؛ لما كنت أسمع من معجزات ذلك الأنبا وكراماته ـ كما يزعمون ـ وكنت أريد أن أرى بعيني مايزيد يقيني في هذا الرجل (فما راءٍ كمن سمع).

وفي يوم الاثنين الموعود يلاحظ الفتى أن والده يساعده في إعداد حقيبة السفر ويضع فيها كل الملابس ويعجب من أمر أبيه كيف يضع كل تلك الملابس؟! ولما سأل والده أجاب عنه بقوله: بعد حين ستعرف كل شيء، وصمت الفتى ولم يلق بالاً، وانطلقا إلى المطرانية في القاهرة، ويراقب الفتى الموقف عن كثب، فهاهو الوالد منهمك في إنهاء بعض الإجراءات ولم يشأ الابن أن يسأل الوالد عن أي شيء مما يرى.. ومن القاهرة انتقل الركب إلى بني سويف حيث (بيت الشمامسة) وهناك تسلمني قس ـ والكلام للفتى ـ وتركني والدي وأوصاني بأختي الصغيرة خيراً وانصرف.

وفي بيت الشمامسة ـ حيث المقر الجديد للفتى ـ لم تلبث أن تغيرت وتتابعت الأوامر الصارمة والتعليمات المشددة أين ملابسك؟ أجلس أقبل... هذا سريرك الذي ستنام عليه وهذا مكان حفظ ملابسك، ويسأل الفتى عن أخته فيجيبه المسؤول قائلاً: لا دخل لك بها.. ستكون في مكان وهي في مكان آخر.

كان الموقف صعباً على الفتى.. فالمكان غير مريح ـ كما يقول ـ: إن نظرة واحدة لنظام غرفة النوم تذكرك بعنبر السجن حيث الأسرّة ذات الطابقين وكثرة عدد المقيمين في البيت... ومرت الثلاثة أيام والسبعة والعشرة أيام، والفتى يتساءل في حيرة متى سفري إلي أهلي؟ ومتى أعود لمدينتي؟ وسرعان ماتأتيه الإجابة: انس كل شيء ولا تفكر في مدينتك ولا أهلك ولا في العودة إلى بيتك.. أنت هنا لن تغادر.. نحن نحبك! ألست تحبنا كما نحبك؟! وهل نقصّر في خدمتك أو في حقك؟! الطعام يقدم لك في مواعيد والنوم في مواعيد والدروس في مواعيد، وحياتك منظمة، ونحن نحبك ونريدك.

فشعرت بالأسى والحزن يعتصرني وكأني في سجن لا إرادة لي فيه ولا حرية ولا اختيار، وجعلوا يعدونني إعداداً لأصبح شماساً.. الدروس المتتابعة والتلقين المستمر، ولم يكن لي من همٍّ إلا أن أحفظ تعاليم النصرانية ودروس

اللاهوت، وأن أردد كل مايلقي إليّ كالببغاء إلى أن بلغت الفترة التي أهلتني لأصبح شماساً وقد تُوجْتُ في تلك الفترة بوشم الصليب في شعر رأسي بقص مقدمته على هيئة الصليب، وقام بذلك الأنبا وأجازني شماساً.. وصرتُ منذ تلك اللحظة حائزاً على درجة شماس داخل الهيكل ولم تزل الحياة هنالك تبعث على الملل والسأم.

كنا مجموعة كبيرة من الفتيان في الحجرة نحيا حياة لا جدة فيها ولا طرافة وإنما حياة رتيبة.. دروس مملة تفرض علينا فرضًا وتعاليم المسيحية تصب في رؤوسنا على غير شرح أو إقناع، وليس أمامنا إلا أن نستظهر تلك الدروس وإلا فالعقاب الأليم ينتظرنا فضلاً عن صحبة غير طيبة من الشباب المستهتر وحياة لم آلفها ولم أعتدها، الأمر الذي يناقض تكويني ونفسي وتربيتي مما دعاني للكتابة إلى أبي أستعطفه وأرجوه أن يأتي ليخرجنا من هذا المكان وأقول له في خطابي: ياوالدي، إني أحبك.. حرام عليك! أهكذا تتركنا وتخدعنا وتلقي بنا في هذا المصير... وأيًا كانت الأحوال فأنا ابنك وأحبك. ويتابع الابن إرسال خطاباته إلى أبيه مستغيثاً مستعطفاً إياه ولكن دون جدوى!

وتزداد معاناة الفتى فيفاجأ بعد معاناته السابقة طيلة ستة أشهر بتقرير من مطرانية بني سويف بترحيله إلى بني مزار في محافظة المنيا إلى مكان يعرف ببيت النعمة وشهرته عند المسلمين (مدرسة الأقباط الإعدادية المشتركة) كما يقول صاحبنا.

ويواصل حديثه عن بيت النعمة فيقول: وهناك في (بيت النعمة) الذي كان في الحقيقة (بيت النقمة) شربت المر ألواناً وعشت الصبر أشجاناً، وصرت أذكر أيام المعاناة في بني سويف بكل خير، فقد كانت أيامي فيها نعيماً قياساً على أيامي التي قضيتها في (بيت النعمة)... والله الذي لا إله إلا غيره كلما ذكرت أيامي في بني مزار في (بيت النعمة) شعرت بآثار السياط تلهب ظهري وترهق

كاهلي! لشدة ماكانت عليه العجوز الحيزبون من قسوة في معاملتنا. إذ حرمها الله من كل مسحة جمال ونعتها بكل ماهو قاسٍ وقبيح... إنها مخيفة مرعبة، فهي تتعامل مع الشباب بالسياط الحامية، لقد كانت تطاردنا في أرجاء البيت بعصاها الغليظة حتى كان شباب البيت يختبئون تحت الأسرة وخلف الأبواب خوفاً من عقابها ولم يكن غريباً أن تراقبنا ساعة تناول الطعام وتلاحقنا بأوامرها ولم يكن غريباً أن تأمر الفرد منا أن ينهض ويترك الطعام دون أن يشبع إذلالاً له وإهانة لكرامته، أما أختي فقد قصوا لها شعرها وأخبروها أنها ستتزوج قسّاً رغماً عنها عندما تبلغ الخامسة عشرة، وأتساءل في حيرة وضجر إلى متى سأظل على هذا العذاب؟ فتكون الإجابة: إلى أن تموت!... لن ترى والدك ولا أحد أفراد أسرتك ولا أحباءك إلى أن تموت!

ومضت الشهور - كما يقول الفتى - شهراً تلو شهر، وعاودت الكتابة إلى أبي مستجيراً به أستعطفه لينقذني من هذا الكرب الذي كنت أعيش فيه ولكن دون جدوى مما جعلني أكتب إليه ذات مرة داعياً عليه، وقلت في رسالتي إليه ذات مرة فلينتقم الله منك! وأصابني المرض والهزال، وبلغ التعب والأرق بي مبلغه وغايته، وكان الوقت يمر ثقيلاً في صحبة فتية ممن ساءت أحوالهم واستحقوا التأديب والعقاب من الكنيسة، فمنهم من أسلم أبوه ومنهم من أسلمت أمه ومنهم من هو مطلوب لثأر في الصعيد.

وعاودت الكتابة إلى أبي أتوسل إليه أن يأتي ليشاهدني ولو مرة واحدة، ولم يكن من الممكن أن نفر من هذا البيت ولا سبيل للنجاة من هذا العذاب؛ لأن حراسته كانت شديدة، ولم يكن من الممكن أن ينجح أحد في اقتحام الصعوبات المفروضة للحراسة حتى لو نجح أحد في اختراق الحراسة فإنها محاولة غير مأمونة العواقب ويمكن الإمساك به وإعادته مرة أخرى، ليلقى مزيداً من العذاب.

ولكن إلحاحي في الكتابة إلى والدي دفعه لزيارتنا، وما أن جاء لزيارتنا

ورأى الصورة التي كنت عليها من الهزال والضعف وسوء حالي، حتى احتضنني باكياً، الأمر الذي شجعني على الارتماء في حضنه وتقبيل يديه وقدميه والاستغاثة به، لينقذني من المعاناة التي كنت فيها، حتى إن أختي كانت معي في نفس البيت في الطابق الأعلى ولم أتمكن من رؤيتها طوال مدة وجودي فيه، مما رقق قلب أبي فذهب إلى رئيس البيت، وقال له: لو سمحت، أريد أن أعود بالولدين: عماد وأخته - إن شاء الله - وحسبهما هذه المدة التي مكثوها عندكم، فرد المسؤول: لا إن شاء الله لن تأخذهم أبداً أبداً أبداً، فقال له أبي: مامعنى هذا؟ فأجاب رئيس البيت: لو أخذت الولدين معك إلى مدينتكم فسوف يتعلقون بأمهما، وسيسبب هذا لك وللكنيسة إزعاجاً لاداعي له، فأجابه الوالد بنبرة قاطعة: أريد أولادي وإليكم الأوراق المتعلقة بذلك، وأصر والدي على موقفه، فرد المسؤول في نبرة تحدٍّ: لن نسلمك أولادك (واخبط راسك في الجدار) واصنع ما بدا لك، فرد الوالد قائلاً: إذاً سأخرج من هنا إلى المحافظ وأشكو إليه أمركم وأفضح أمركم على الملأ، فلما وجد المسؤول ذلك الإصرار من والد الفتى رد عليه في غلظة وسلم الفتى وأخته مضطرًا.

يقول الفتى: وفيما نحن في الطريق إلى مدينتنا، سألت والدي عن حال أمي، فقال لي: يابني. إن أمك قد ماتت إثر حادث صدام بالسيارة، وصدمها خالك وقضت نحبها، ويسقط في يد الفتى ويصدم صدمة نفسية عميقة يعاف معها الحياة، إذ ضاق بالحياة ذرعاً بعد فراقها ويقول لأبيه في تساؤل حزين: إذن لماذا نذهب إلى مدينتا، عد بنا من حيث أتينا، فما قيمة العودة دون أمل في لقاء أمي والأنس بها؟! وواصلنا المسير حتى بلغنا مدينتنا.

وتمضي الأيام ويعود الفتى وأخته إلى بيت الوالد، ويستأنف الفتى عمله في متجر العائلة مع أبيه، وبعد مضي أربعين يوماً، وبينما كان الفتى في متجر أبيه إذا بصوت سيدة تنادي من جانب قريب: ياعماد ياعماد. ويدرك الفتى على الفور

بأنه صوت أمه، فيسرع نحوها ويرتمي في أحضانها، ويوقن وقتها بأن أباه قد أخفى الحقيقة عنه حتى لايفكر فيها، ولا يعاود الاتصال بها، وتعطيه الأم الحنون عنوانها، ويعود الأمل من جديد، يقول الفتى: وصرتُ أسير حثيثاً نحو النور، وبعد أيام قليلة قمت بزيارتها فرحبت بي وغمرتني بعطفها وحبها وحنانها ورأيت النضارة تعود إلى وجهها من جديد، بعد أن عانت أشد المعاناة في بعدنا عنها.

ولما عدت إلى بيت والدي استدعاني أبي وفاتحني في موضوع زواجه من جديد أملاً ألا يسبب هذا الموضوع أي إزعاج لي فوافقته من فوري، ولم أعارضه، وقلت له: إنها حياتك أنت ولك التصرف. وسعى أبي لاستخراج التصريح اللازم لهذا الزواج حسب مايقضي به المذهب الأرثوذكسي، فذهب إلى مطرانية القاهرة لهذا الغرض وهناك رأى عجباً فمن قائل له: لابد أن تدفع 200 جنيه وآخر يطلب 150 جنيهاً لعمل تصريح الزواج، وثالث يطلب 70 جنيهاً لاستخراج التصريح، ولما حصل الأب على التصريح له بالزواج تعهدته امرأة العم - وكانت امرأة متعصبة للنصرانية تعصباً أعمى تكره الإسلام والمسلمين كراهية شديدة - فاختارت له زوجة نصرانية متعصبة للنصرانية أيضاً، ودخل بها - وكان فارق السن بينها وبين أبي كبيراً - وصارت معاملتها لنا تسوء يوماً بعد يوم، حتى إنها شكتني إلى أبي ذات يوم قائلة له - زوراً وبهتاناً -: هل تتخيل أن ابنك يرفع يده عليّ؟ فغضب أبي أشد الغضب واشتعلت ثورته فانهال عليّ ضرباً لا رحمة فيها؛ من أجل إرضاء زوجته الصغيرة المدللة مما دفعني للعودة إلى أمي؛ لأستعير منها بعض الكتب التي تساعدني على التعرف على الإسلام، ونصحتني أمي أن أقرأ بعمق وقالت لي: يابني، إنك ملم بتعاليم النصرانية، فأنت شماس داخل الهيكل أرجو أن تقرأ القرآن الكريم بعمق وتعاود قراءة الإنجيل وتطالع كتب السيرة ثم تقارن بينها... ولكنها حذرتني أن يطلع أبي على هذا الأمر.. أو تلك الكتب؛ وإلا فسيكون مصيري هو الموت!

فلما علم أبي بترددي على أمي وزيارتها استدعاني ذات مرة وجرى بيني وبينه الحوار التالي قائلاً لي: ما الخبر؟ هل عاودت زيارة أمك؟ فأجبته: نعم عاودت زيارتها؛ لأنتقم منها لأنها خانت المسيح..

فقال لي: كيف ذلك؟ فقلت له: اصبر وسترى - إن الله مع الصابرين - سوف أنتقم منها انتقاماً شديداً.

ولما تحدثت مع عمي في هذا الأمر وقلت له ما قلت لأبي أعجب بي كثيراً ورأيته متهللاً وقال لي: أحسنت ومضى يقول: لقد أخبرني القس في الكنيسة بأنه يتوقع لك مستقبلاً باهراً. وأنك ستصبح مع الترقي قسيساً في الكنيسة بعد عدة سنوات، وانتقم يابني من أمك بالطريقة التي تحلو لك، فسررت كثيراً لقناعة أبي وعمي بما قلت لهما تبريراً لزيارة أمي وكان ذلك تمويهاً وبعثاً للأمان في نفسي؛ حتى أجد الأمان في البحث عن الحقيقة ومعرفة حقيقة الإسلام وبعد معاناة في البحث والاطلاع والمقارنة بين مصادر الإسلام والنصرانية غمرني نور الإسلام وذقت مع مطالعة مصادره حلاوة وطمأنينة، لم أكن أجدها قبل الإسلام، فعدت إلى أمي وفاتحتها في أمر اعتناق الإسلام.

وقد ساعد الفتى في الوصول إلى القناعة التامة بقبول الإسلام ديناً وجود مسجد قريب من منزل أمه الصالحة فكان بتشجيع من والدته يمارس فيه الشعائر الدينية من إقامة الصلاة وقراءة القرآن ومتابعة الأذان. يقول الفتى: وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وكنت أقضي نهاري عند والدتي وأعود للمبيت في بيت أبي. ولما وصل الفتى إلي هذه الدرجة العالية من اليقين بالحق في دين الإسلام وفي شريعته الغراء.. قال: (فاتحت أمي في رغبتي في اعتناق الإسلام وترك النصرانية، فوافقتني وهي فرحة، فأعلنت إسلامي على يد أمي أولاً قبل الشروع في اتخاذ الإجراءات الرسمية في إشهار إسلامي، وسمحت لي بأن أتردد على المسجد، لأداء الصلاة،

وقد عرف إمام المسجد بقصتي فكان يساعدني في فهم قواعد الإسلام وفقه العبادات ولاسيما فقه الصلاة، وكان وشم الصليب لايزال واضحاً وجليّاً في معظم اليد مما كان يسبب لي حرجاً وعنتاً شديدين لمن لا يعرف قصتي.

ومن المواقف التي تعرض لها عماد للحرج الشديد خلال تردده على المسجد المذكور في حالته التي كان عليها ـ كما يحكي ـ فيقول: هممت بالوضوء من مياه المسجد ذات مرة وكشفت عن ذراعي وفيما أرفعهما أثناء الوضوء إذا جاري المسلم ـ أثناء الوضوء ـ يلمح وشم الصليب في يدي. فقال لي: ماذا تصنع؟ فأجبته ملمحاً: نسأل الله الهداية. فسكت ولم يغضب، وترك مكان الوضوء بجانبي ونأى عني واستكمل وضوءه، وفي موقف آخر تعرضت لإحراج شديد، حيث أقيمتْ الصلاة وكبّر الإمام تكبيرة الإحرام كنت خلف الإمام في الصف الأول وبينما أرفع يدي مع تكبيرة الإحرام إذا بأحد المصلين من العامة يلمح وشم الصليب في يدي فيلتفت نحوي في غضب ويجذبني من ملابسي في قسوة يجرجرني بعيداً عن صفوف المصلين ويصب عليّ جام غضبه، وتنصبُّ عليَّ شتائمه وتهديداته ويقول لي: (يادسيسة) جئت تتجسس على المسلمين، وقال ألفاظاً أخرى لا أذكرها مما أحزنني كثيراً، ولولا يقيني في الإسلام وقد شرح الله صدري إليه لفتنت في ديني، وكان شيخ المسجد يعرف قصتي فلما فرغ من الصلاة عنّف الرجل وإن كان الرجل الجاهل قد اعتذر إلي بعد أن أشهرت إسلامي وقال لي: (أنت الآن من أهل الجنة).

وكان هدفي من ترددي على المسجد أن أتزود من فقه الإسلام ولأزداد يقيناً على يد الشيخ:حسين أحمد عامر حتى أتمكن من مواجهة شدائد مابعد إشهار إسلامي رسميّاً، وصارحت والدتي برغبتي في إعلان إسلامي رسميّاً فقالت: أختك من قبلك؛ لأنها ستضيع... وقد تلاقي عندهم ما تلاقيه من شقاء وعنت إذا أسلمت وتركتها عندهم، مما أشعرني بالخوف على أختي ودفعني لمساعدتها

على معرفة الإسلام وفهمه عسى الله أن يشرح صدرها إليه وأن يهديها إلى الدين الحق دين الإسلام ملة إبراهيم ودين رسل الله وجميع أنبيائه.

وذات يوم تعود الفتاة من الكنيسة وهي تحمل صورة لميلاد المسيح (حسب زعمهم)، وكان عمرها حينذاك لايجاوز الاثني عشر ربيعاً فيسألها الفتى الأخ:

ـ ماذا تحملين؟

فأجابت: هذه صورة للمسيح في مذود البقر، ويعاود الفتى سؤال أخته: وما هذا الذي حول الصورة؟ ومن هذا الذي في الصورة؟ فقالت: ربنا!، ويدهش الفتى.

ويواصل السؤال: ومن هذا الذي حوله؟ فقالت: بقر وحمار وحيوانات أخرى.

ويسأل سؤالاً آخر: وأين ولد الرب؟ فأجابت: في مذود البقر، فقال: ومامعني مذود البقر؟

فقالت: حظيرة حيوانات.

فيرد الفتى: وهل يليق بالرب والإله أن يولد في حظيرة البهائم.

فقالت: لا. هذا تواضع منه كما علمتني المعلمة في الكنيسة.

فيعلق الفتى: هل التواضع من إله ـ ولله المثل الأعلى ـ أن يولد في بيت متواضع أم في حظيرة حيوانات قذرة؟

فإذا الأخت تقول: أنا أيضاً غير مقتنعة بهذا المنطق النصراني، وراغبة في الإسلام، ومالبثت الفتاة أن أعلنت إسلامها على يد أخيها ونطقت بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) أمامه ثم اتجها إلى الجهات المسؤولة ليعلنا إسلامهما معاً وهناك وجدا أشد المعاناة وتعرضا لاختبارات كثيرة وبلاء شديد حتى سمح لهما باعتناق الإسلام ـ كما يقول الفتى:

(مناقشات طويلة وضغوط من النصارى وتهديدات وأسئلة في فقه الإسلام وعقيدته، وتمكنا بفضل الله وتوفيقه أن نجتاز الاختبارات بنجاح)، وإن كانت المناقشة قد طالت وأرهقته؛ لأنها كانت شاقة وحادة وطويلة، وقد امتدت فترة المعاناة العقلية والنفسية في رحلة فتانا من الشك إلى اليقين خمس سنوات كانت أصعب سنين عمره وقد صارت حياته بعد إسلامه تفيض بمحبة الإسلام.

يقول الفتى: (ذات يوم وبعد إسلامي، تقابلت أنا وأحد القساوسة، وكان معه شابان فقال لي القس في سخرية: بعت دينك ياعماد مثل فلان، ويقصد بفلان هذا الرجل الذي باع دمه من أجل الحصول على لقمة العيش، فرددت عليه قائلاً: هل تعلم أن البابا تزوج؟ فقال على الفور: البابا لايتزوج، فقلت: سبحان الله البابا لا يتزوج والإله يتزوج، عجباً لك تحرم هذا الأمر على البابا وترضاه للإله؟!).

ويمضي الفتى قائلاً: (تحدثت مع أحد أفراد الكنيسة قلت له: لماذا قدم المسيح نفسه قرباناً لمغفرة خطيئة آدم ولم يقدم آدم نفسه بدلاً عنها؟! ولماذا كان عيسى عليه السلام مسؤولاً دون غيره عن خطيئة آدم، ومطالباً بالتكفير عنها، وأين المسؤولية الفردية؟ أليس ضياعها في المجتمع دليلاً على أنه يحكم بشريعة الغاب؟ ثم أليس من الأعدل أن يحيي الله آدم ويأمره بتقديم نفسه قرباناً؟ ولماذا يقدم عيسى نفسه قرباناً بلا سبب وجيه؟ ثم من الذي أحيا المسيح بعد موته؟ هل أحيا نفسه؟ أم أحياه غيره؟ وإن كان هذا عن طيب خاطر فمن ذا الذي كان يصيح ويستغيث على الصليب ويقول: (إيلي إيلي لماذا شبقتني؟) أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ سمع محاوري هذا وبعدها فرَّ هارباً ولم يعقِّبْ).

ويحكي الفتى قائلاً: (تحدثت مع أحد رجال الدين النصراني. قلت له: أين أولادك حتى أسلم عليهم (وهذا دون قصد مني) فقال: أنا ليس عندي أطفال ولم أنجب، وبنظرة سريعة إلى عينيه المملوءتين بالدموع، استطرد فبدأ حديثه معي قائلاً: الفرد منا يريد أن ينجب طفلاً ليحمل اسمه ويكمل رسالته بعد موته..

نظرت في وجهه وقلت: سبحان الله، هل الله في حاجة إلى من يحمل اسمه أو يكمل رسالته؟! وقرأت عليه قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ (مريم: ٨٨ ـ ٩٥).

خاتمـــة

إذاً لابد من وقفة تأمل لحال هؤلاء الأعلام الذين أعلنوا إسلامهم أتعتقد أنهم يبحثون عن زيادة في الشهرة والمنصب بعدما وصل المسلمون لما وصلوا إليه، أم أنهم فضلوا اتباع دين الحق من حيث أتى؟ وكان شعارهم الحق أحق أن يتبع، وآثروا على مكانتهم الاجتماعية وشهرتهم العلمية ما سيواجهونه من تأثيرات مقابل إسلامهم.

هؤلاء العلماء والأعلام قد مهدوا لك الطريق للدخول في الإسلام بعد الدراسة المستفيضة والتعمق في المقارنة والتأكد الذي لا يقبل الشك كلٌّ في مجاله.

ثم أولئك الناس الطيبون من عامة الشعوب الذين أراد الله لهم الخير، فنظروا وفرّقوا بين الحق والباطل، فالحق أحق أن يتبع، فاتبعوا الحق، وما بعد الحق إلا الضلال.

فلا تتردد إذا كانت الشهرة أو المنصب أو الوضع الاجتماعي تمنعك من إعلان إسلامك لأنك راحل من هذه الدنيا مهما بلغت من العلو وإنك ستُنسى كما نُسِي من هم مثلك أو أفضل منك ولو دامت هذه الدنيا لغيرك ما وصلت إليك وعندها لا تساوي لحظة عذاب للحياة الأبدية في الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

تم بعون الله وتوفيقه.

السيرة الذاتية

- الاسم: الحسيني الحسيني معدي.
- تاريخ الميلاد: 26/10/1968.

■ المؤهلات العلمية:

- ليسانس آداب وتربية تخصص «لغة عربية» عام 1991.
- دبلوم خاص في التربية وعلم النفس عام 1995.
- ماجستير في التربية «تخصص أصول تربية» عام 2002، في موضوع «التربية الجنسية بالمرحلة الثانوية في مصر ـ الواقع والممكن».
- يعد رسالة الدكتوراه في قسم «التربية المقارنة».

■ المؤلفات العلمية:

1 ـ التربية الجنسية بين الفكر الإسلامي والغربي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2003.

2 ـ التربية الجنسية في مختلف المراحل التعليمية «من منظور إسلامي» دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2003.

3 ـ أسس ومبادئ التربية الجنسية في الإسلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2003.

4 ـ التربية الجنسية للمراهقين والشباب «من منظور إسلامي» دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2004.

5 ـ المهتدون إلي الحق، أربعة أجزاء، دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة.

6 ـ الأجوبة الجلية للرد على الأسئلة المسيحية (مسيحي يسأل ومسلم يجيب)، أربعة أجزاء، دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة.

المحتويـــــات